

الأخلاق

الجزء الثاني



شبر، عبدالله، ١٧٧٤ - ١٨٢٦م.

الأخلاق/ تأليف عبدالله شبر؛ تحقيق علي القصير. - كربلاء: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٢٩ق. = ٢٠٠٨م.

٢ج. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٢)

المصادر : ص. ٣٨١ - ٣٩٦؛ وكذلك في الحاشية

١. الأخلاق الإسلامية ٢. الأخلاق - من الناحية القرآنية. ٣. أحاديث أخلاقية. ألف. القصير، علي، ١٩٦٧- م، محقق. ب. عنوان.

٣ ألف ٢ش / ٧ / ٢٤٧ BP

مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

الأخلاق

تأليف

السيد عبدالله شبر

تحقيق

السيد علي القصير

الجزء الثاني

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة
شعبة التحقيق

الطبعة الأولى

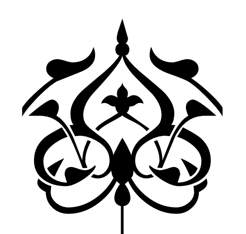
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



العراق: كربلاء المقدسة-العتبة الحسينية المقدسة-هاتف: ٣٢٦٤٩٩

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com



الركن الثالث

في المهلكات من الأخلاق الردية
التي هي السموم القاتلة المهلكة
للدين، وفيه أبواب





الباب الأول

شهوة البطن



في شهوة البطن

إعلم أن البطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات، إذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق[1] إلى المنكوحات، ثم يتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة إلى التوسع في المطعومات والمنكوحات، ويتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات[2] وضروب المنافسات والمحاسدات، ويتولد من ذلك آفة الرياء وغائلة[3] التفاخر والتكاثر والكبرياء، ثم يتداعى ذلك إلى الحسد والحقد والعداوة والبغضاء، ثم يفضي ذلك بصاحبه إلى

(١) الشبق: شدة الغلمة وطلب النكاح. يقال: رجل شبق وامرأة شبقة. وشبق الرجل، بالكسر، شبقا، فهو شبق: اشتدت غلمته، وكذلك المرأة.
لسان العرب، ابن منظور: ١٠/ ١٧١، مادة "شبق".

(٢) رعن: الأرعن: الأهوج في منطقه المسترخي. والرعونة: الحمق والاسترخاء. رجل أرعن وامرأة رعناء، بينا الرعونة والرعن أيضا.
لسان العرب، ابن منظور: ١٣/ ١٨٢، مادة "رعن".

(٣) الغوائل جمع غائلة: وهي: الحقد. يقال: غاله يغوله غولا من باب قال: إذا ذهب به وأهلكه.
مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: ٣/ ٣٣٩، مادة "غول".

اقتحام البغي والمنكر والفحشاء، وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد من بطر[1] الشبع والامتلاء.

ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق مجاري الشيطان لأذعنت[2] نفسه لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر والطغيان، ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك في الدنيا وإيثار العاجلة على العقبى، ولم يتكالب[3] هذا التكالب على الدنيا[4]. قال رسول الله ﷺ: لا يدخل ملكوت السماوات قلب من ملأ بطنه[5].

وقال ﷺ: الفكر نصف العبادة، وقلة الطعام هي العبادة[6].

وقال ﷺ: لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلب كالزرع[7] يموت إذا كثر[8] عليه الماء[9].

---

(١) البطر: الطغيان عند النعمة وطول الغنى.

لسان العرب، ابن منظور: ٤/ ٦٩، مادة "بطر".

(٢) أذعن له: خضع وذل وأقر وأسرع في الطاعة وانقاد كذعن، كفرح.

القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ٢٢٥/٤، فصل الذال.

(٣) من المجاز: الكلب (الحرص)، كلب على الشيء كلبا إذا اشتد حرصه على طلب شيء.

تاج العروس، الزبيدي: ٤٥٩/١، مادة "كلب".

(٤) أنظر: جامع السعادات، النراقي: ٢/ ٨، المقام الثالث، الشره. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٧٣/٣، كتاب كسر الشهوتين.

(٥) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ١٤٦/٥، باب كسر الشهوتين، بيان فضيلة الجوع وذم الشبع.

(٦) المغني عن حمل الأسفار، أبوالفضل العراقي: ٢/ ٧٤٩، كتاب كسر الشهوتين/ ح٢٧٤٥.

(٧) في شرح ابن أبي الحديد: "فإن القلب يموت بهما كالزرع".

(٨) في شرح ابن أبي الحديد: "إذا أكثر".

(٩) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٩/ ١٨٧، باب الحكم والمواعظ، نبذة من الأقوال الحكمية في حمد القناعة وقلة الكلام.

وقال ﷺ : ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان هو فاعلاً لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه[1].

وعنه ﷺ : إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم ، فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش[2].

وقال الصادق عليه السلام : إن البطن ليطغى من أكلة ، وإن أقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى إذا خف بطنه ، وأبغض ما يكون العبد إلى الله تعالى إذا امتلأ بطنه[3].

وعنه عليه السلام[4] قال : ليس لابن آدم بد من أكلة يقيم بها صلبه ، فإذا أكل أحدكم طعاماً فليجعل ثلث بطنه للطعام وثلث بطنه للشراب وثلثه للنفس[5] ، ولا تسمنوا سمن[6] الخنازير للذبح[7].

وقال الباقر عليه السلام : ما من شيء أبغض إلى الله تعالى[8] من بطن مملوء[9].

وقال لقمان لابنه : يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة[10].

---

(١) المحجة البيضاء ، الفيض الكاشاني : ١٤٧/٥ ، كتاب كسر الشهوتين ، بيان فضيلة الجوع وذم الشبع.

(٢) أعلام الدين ، الديلمي : ١٢١ ، باب صفة المؤمن.

(٣) أنظر : المحاسن ، البرقي : ٤٤٦/٢ ، كتاب المآكل ، باب ٤٤ النهي عن كثرة الطعام وكثرة الأكل /ح ٦.

(٤) أي : "الإمام الصادق عليه السلام".

(٥) في الكافي : "وثلث بطنه للنفس".

(٦) في الكافي : "تسمن".

(٧) الكافي ، الكليني : ٦/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠ ، كتاب الأطعمة ، باب كراهية كثر الأكل/ح٩.

(٨) في المحاسن : "إلى الله عزّوجل".

(٩) المحاسن ، البرقي : ٤٤٧/٢ ، كتاب المآكل ، باب النهي عن كثرة الطعام وكثرة الأكل /ح٨.

(١٠) مجموعة ورام ، ورام ابن أبي فراس : ١/ ١٠٢ ، باب تهذيب الأخلاق.

وفوائد الجوع كثيرة:

الأولى: صفاء القلب واتقاد[١] القريحة[٢] ونفاذ البصيرة، فإن الشبع يورث البلادة[٣] ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ كشبه السكر.

الثانية: رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيأ لإدراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر[٤].

الثالثة: الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والأشر[٥] الذي هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله.

---

(١) وقد: وقدت النار توقدت، وبابه وعد، ووقودا بالضم ووقيدا بالفتح وقدة بالكسر ووقدا ووقدانا بفتحتين فيهما وأوقدها هو واستوقدها أيضا، والاتقاد كالتوقد والوقود بالفتح الحطب وبالضم الاتقاد.

مختار الصحاح، الرازي: ٣٧٤، باب الواو، مادة "وقد".

(٢) قرحا: رماه به واستقبله به. الاقتراح: ارتجال الكلام. والاقتراح ابتدع الشيء تبتدعه وتقترحه من ذات نفسك من غير أن تسمعه، وقد اقترحه فيهما.

لسان العرب، ابن منظور: ٢/ ٥٥٨، مادة "قرح".

(٣) البلادة ضد الذكاء. وقد بلد بالضم فهو بليد.

الصحاح، الجوهري: ٢/ ٤٤٩، مادة "بلد".

(٤) قال السيد الخوئي: الذكر، هو: الصلاة.

كتاب الصلاة، السيد الخوئي: ٣/ ١٨٤، فصل في القيام.

قال الكاشاني: قيل، هو: الدعاء.

بدائع الصنائع، أبو بكر الكاشاني: ٢/ ١٣٦، فصل الوقوف بمزدلفة.

(٥) الأشر: البطر. وقد أشر بالكسر يأشر أشرا، فهو أشر وأشران.

الصحاح، الجوهري: ٢/ ٥٧٩، مادة "أشر".

الرابعة: أن لا ينسى بلاء الله وعذابه، ولا ينسى أهل البلاء، فإن الشبعان ينسى الجائعين وينسى الجوع، والفطن[1] لا يشاهد بلاءً إلا ويتذكر بلاء الآخرة، فيتذكر بالجوع جوع أهل النار وأن ﴿**لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاّ مِن ضَرِيعٍ ۞ لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ**﴾[2]، وبالعطش عطشهم وعطش أهل المحشر في عرصات[3] القيامة.

الخامسة: كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء[4]، فإن منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى، ومادة الشهوات والقوى الأطعمة والأشربة.

السادسة: دفع النوم ودوام السهر، فإن من شبع شرب كثيراً، ومن كثر شربه كثر نومه، وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب.

السابعة: تيسير المواظبة على العبادة، لأن كثرة الأكل تحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالأكل وتحصيله وتحصيل الآلة وأسبابه، والاشتغال بإدخاله وإخراجه.

---

(١) الفطنة: كالفهم. والفطنة: ضد الغباوة. ورجل فطن بين الفطنة والفطن وقد فطن لهذا الأمر. وأما الفطن فذو فطنة للأشياء.

لسان العرب، ابن منظور: ١٣/ ٣٢٣، مادة "فطن".

(٢) سورة الغاشية/ ٦ ـ ٧.

(٣) العرصات: جمع عرصة، وقيل: هي كل موضع واسع لا بناء فيه.

لسان العرب، ابن منظور: ٧/ ٥٣، فصل العين المهملة، مادة "عرص".

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاّ ما رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سورة يوسف/٥٣.

الثامنة: صحة البدن ودفع الأمراض، فإن سببها كثرة الأكل وحصول فضول الأخلاط في المعدة والعروق، ثم المرض يمنع العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر ويحوج إلى الفصد[1] والحجامة[2] والدواء والطبيب، وإلى مؤن وتبعات لا يخلو الإنسان فيها بعد التعب من أنواع المعاصي.

قال عليه السلام[3]: المعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء[4]، وأعط كل بدن ما عودته[5].

التاسعة: خفة المؤونة.

العاشرة: التمكن من الإيثار والتصدق بالفاضل عن الضروري[6].

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: قلة الأكل محمودة على كل حال وعند كل قوم، لأن فيها المصلحة للظاهر والباطن، والمحمود من المأكول أربعة: ضرورة، وعدة، وفتوح، وقوت. فالضرورة للأصفياء، والعدة لقوم الأتقياء، والفتوح للمتوكلين، والقوت للمؤمنين.

---

(١) الفصد: شق العرق، فصده يفصده فصدا و فصادا، فهو مفصود و فصيد.
لسان العرب، ابن منظور: ٣/ ٣٣٦، مادة "فصد".

(٢) الحجم: فعل الحاجم، وقد حجمه يحجمه من باب قتل: شرطه، فهو محجوم، واسم الصناعة، حجامة بكسر الحاء. والمحجم بالكسر والمحجمة: الآلة التي يجمع فيها دم الحجامة عند المص.
مجمع البحرين، الطريحي: ٤٤٥ ـ ٤٤٦، باب الحاء، مادة "حجم".

(٣) النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

(٤) في العوالي: "والحمية رأس الدواء".

(٥) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي: ٢/٣٠، الباب الأول في أحاديث المتعلقة بأبواب الفقه، المسلك الرابع/ح٧٢ .

(٦) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣ / ٧٧ ـ ٨٠، كتاب كسر الشهوتين، بيان فوائد الجوع وآفات الشبع.

وليس شيء أضر لقلب المؤمن من كثرة الأكل، وهي مورثة شيئين: قسوة القلب، وهيجان الشهوة. والجوع أدام للمؤمن، وغذاء للروح، وطعام للقلب، وصحة للبدن[1] ـ الحديث.

واعلم أنه حيث كان طبع الإنسان طالباً لغاية الشبع جاء الشرع في المبالغة في الجوع، حتى يكون الطبع باعثاً والشرع مانعاً، فيتقاومان ويحصل الاعتدال والوسط المطلوب في جميع الأخلاق والأحوال، فالأفضل حينئذ بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا بألم الجوع، فإن المقصود من الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة، وثقل الطعام يمنع العبادة وألم الجوع أيضاً يشغل القلب ويمنع منها، فالمقصود أن يأكل أكلاً معتدلاً بحيث لا يبقى للأكل فيه أثر، ليكون متشبهاً بالملائكة، فإنهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع[2]. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلا تُسْرِفُواْ**﴾[3].

والقوام فيه أن لا يأكل طعاماً ولا يشرب شراباً حتى يشتهيه، ويكف نفسه عنهما وهي تشتهيه[4].

---

(١) أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ٧٧، الباب ٣٤ في الأكل.

(٢) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٦٧، الباب الثاني فيما يؤدي إلى مساوي الأخلاق، الفصل الأول الاعتدال في شهوتي البطن والفرج. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/٧٦ ـ ٨٠، كتاب كسر الشهوتين، بيان فوائد الجوع وآفات الشبع.

(٣) سورة الأعراف/ ٣١.

(٤) طب الأئمة، ابنا بسطام: ٦٠، لوجع الخاصرة.



الباب الثاني

شهوة الفرج



في شهوة الفرج

إعلم أن هذه الشهوة من أعظم المهلكات لابن آدم إن لم تضبط وتقهر وترد إلى حد الاعتدال، ولها طرفان: إفراط بأن تقهر العقل فتصرف همة الرجل إلى التمتع بالنساء والجواري فتحرمه عن سلوك طريق الآخرة وقد تقهر الدين وتجر إلى اقتحام الفواحش، وقد تنتهي به إلى الفسق البهيمي الذي ينشأ عن استيلاء الشهوة فيسخر الوهم العقل لخدمة الشهوة. وقد خلق العقل ليكون مطاعاً لا ليكون خادماً للشهوة محتالاً لأجلها، وهو مرض قلب فارغ لا همة له، ولذا قيل: إن الشيطان قال[1] للمرأة: أنت نصف جندي وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطئ، وأنت موضع سري، وأنت رسولي في حاجتي[2]. فنصف جنده الشهوة ونصفه الغضب.

وأعظم الشهوة شهوة النساء، ويجب الاحتراز منها في مبدأ الأمر بترك معاداة النظر والفكر، وإلا فإذا استحكم عسر دفعه، ولهذا قيل: إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله[3].

---

(١) في الإحياء: "يقول".

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ٩٠، كتاب كسر الشهوتين، القول في شهوة الفرج.

(٣) أنظر: جامع السعادات، النراقي: ٢/ ١٢ ـ ١٣، المقام الثالث، الشهوة الجنسية. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ٩٠، كتاب كسر الشهوتين، القول في شهوة الفرج.

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[1].

وقال النبي ﷺ: النظرة[2] سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركها خوفاً من الله أعطاه الله[3] إيماناً يجد حلاوته في قلبه[4].

وقال ﷺ: إتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء[5].

وتفريط هذه الشهوة إما بالعفة الخارجة من الاعتدال أو بالضعف عن امتناع المنكوحة، وهو أيضاً مذموم، والمحمود أن تكون هذه الشهوة معتدلة منقادة للعقل والشرع في الانبساط والانقباض، ومهما أفرطت فكسرها يكون بالجوع والصوم وبالتزويج. قال النبي ﷺ: معاشر الشباب عليكم بالباءة[6]، فمن لم يستطع فعليه بالصوم، فإن الصوم[7] له وجاء[8].[9]

---

(١) سورة النور/ ٣٠.

(٢) في الجامع: "النظر".

(٣) ليس في الجامع لفظ الجلالة: "الله".

(٤) جامع الأخبار، الشعيري: ١٤٥، الفصل السابع والمائة في الزنا.

(٥) كشف الخفاء، العجلوني: ١/ ٣٩، الهمزة مع التاء المثناة/ ح٧٦.

(٦) عليكم بالباءة، يعني: النكاح والتزوج. يقال فيه الباءة والباء، وقد يقصر، وهو من الباءة: المنزل، لأن من تزوج امرأة بوأها منزلا. وقيل: لأن الرجل يتبوأ من أهله، أي: يستمكن كما يتبوأ من منزله.
النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ١/ ١٥٧، باب الباء مع الواو، مادة "بوأ".

(٧) في الإحياء: "فالصوم".

(٨) وجى بوزن عصا، يريد التعب والحفى، إلا أن يراد فيه معنى الفتور. لأن من وجي فتر عن المشي، فشبه الصوم في باب النكاح بالتعب في باب المشي.
لسان العرب، ابن منظور: ١/ ١٩١. مادة "وجأ".

(٩) إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ٩١، كتاب كسر الشهوتين، القول في شهوة الفرج.

والحكمة في إيجاد هذه الشهوة مع كثرة غوائلها وآفاتها بقاء النسل ودوام الوجود، وأن يقيس بلذتها لذات الآخرة، فإن لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد، كما أن ألم النار أعظم آلام الجسد، والترهيب والترغيب يسوقان الخلق إلى سعاداتهم وثوابهم[1].

(١) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٦٨، الباب الثاني فيما يؤدي إلى مساوي الأخلاق، الفصل الأول الاعتدال في شهوتي البطن والفرج. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/٩٠ ـ ٩١، كتاب كسر الشهوتين، القول في شهوة الفرج.



الباب الثالث

اللسان



في اللسان

وهو من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة ومننه الجسيمة، فإنه صغير جرمه عظيم طاعته وجُرمه، ولا يعلم الكفر والإيمان اللذان هما غاية الطاعة والطغيان إلا بشهادة اللسان، وما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناوله ويتعرض له بإثبات أو نفي بحق أو باطل.

وهذه الخاصية لا توجد في غيره من الأعضاء، فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور، والأذن لا تصل إلى غير الأصوات، واليد لا تصل إلى غير الأجسام، وكذا سائر الأعضاء.

واللسان رحب الميدان، له في الخير والشر مجال واسع، فمن أهمله فرخي[1] العنان سلك به طرق الهلكة والخسران، إذ لا تعب في تحريكه ولا مؤونة في إطلاقه[2]، فينبغي ضبطه تحت حكم العقل والشرع.

---

(١) المراخاة: أن ترخى رباطا أو ربقا، يقال: راخ له من خناقة، أي: رفه عنه. وأرخ له القيد، أي: وسعه ولا تضيقه، وأرخ له الحبل، أي: وسع عليه في تصرفه حتى يذهب حيث شاء.
تاج العروس، الزبيدي: ١٤٧/١٠، مادة "رخى".

(٢) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٦٩، الباب الثاني فيما يؤدي إلى ←

وحيث كان الطبع مائلاً إلى إطلاقه وإرخاء عنانه[١] جاء الشرع بالبحث على إمساكه حتى يحصل التعادل، كما تقدم في الجوع.

وتحقيق الكلام فيه يتم في فصول:

الفصل الأول: في خطر إطلاقه وفضيلة صمته

قال النبي ﷺ: من صمت نجا[٢].

وقال ﷺ: الصمت حكمة، وقليل فاعله[٣].

وقال ﷺ: من يتكفل[٤] لي بما بين لحييه[٥] ورجليه أتكفل له بالجنة[٦].

وقال ﷺ: من وقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي[٧]، والقبقب: البطن[٨]. والذبذب: الفرج[٩]. واللقلق: اللسان[١٠].

مساوي الأخلاق، الفصل الأول الاعتدال في شهوتي البطن والفرج. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٩٨/٣، كتاب كسر الشهوتين، القول في شهوة الفرج.

(١) العنان: سير اللجام.

النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٣/ ٣١٣، باب العين مع النون، مادة "عنن".

(٢) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٢/ ٤٦٩، مجلس في ذكر حفظ اللسان والصدق والاشتغال عن عيوب الناس.

(٣) سبل السلام، العسقلاني: ٤/ ١٨٠/ ح١١.

(٤) في سبل السلام: "تكفل".

(٥) انكسر أحد فكيه، أي: لحييه.

لسان العرب، ابن منظور: ١٠/ ٤٧٦، مادة "فكك".

(٦) سبل السلام، العسقلاني: ٤/ ١٨٠، باب الزهد والورع.

(٧) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١٠٥، باب ما جاء في الصمت وحفظ اللسان.

(٨) مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٤٥٠، مادة "قبقب".

(٩) تاج العروس، الزبيدي: ١/ ٢٥١.

(١٠) غريب الحديث، ابن قتيبة: ١/ ١٧٠.

وقال ﷺ: هل يكبُّ الناس على مناخرهم[١] إلا حصائد ألسنتهم[٢].

وقال ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت[٣].

وقال ﷺ: إن لسان المؤمن وراء قلبه، فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره[٤] بقلبه ثم أمضاه بلسانه، وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذا همّ بشيء[٥] أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه[٦].

وقال ﷺ: من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به[٧].

وقال ﷺ: أمسك لسانك فإنها صدقة تتصدق[٨] بها على نفسك. ثم قال ﷺ: ولا يعرف عبد حقيقة الإيمان حتى يخزن لسانه[٩].

ومر أمير المؤمنين عليه السلام برجل يتكلم بفضول الكلام، فوقف عليه فقال[١٠]: يا هذا إنك تملي على حافظيك كتاباً إلى ربك فتكلم بما يعنيك ودع ما لا يعنيك[١١].

---

(١) في شرح ابن أبي الحديد: "وهل يكب الناس في النار على مناخرهم".

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩٠/٧، الخطب والأوامر، فصل في مدح قلة الكلام وذم كثرته.

(٣) المغني، ابن قدامه: ٣/ ٢٦٦، محذورات الإحرام وهي تسعة.

(٤) في مجموعة ورام: "يدبره".

(٥) في مجموعة ورام: "بالشيء".

(٦) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١٠٦، باب ما جاء في الصمت وحفظ اللسان.

(٧) إحياء علوم الدين، الغزالي: ١٠١/٣، كتاب آفات اللسان، بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت.

(٨) في الكافي: "تصدق".

(٩) الكافي، الكليني: ١١٤/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الصمت وحفظ اللسان/ ح٧.

(١٠) في الفقيه: "ثم قال".

(١١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٤/ ٣٩٦، باب ذكر جمل من مناهي النبي ﷺ، من ألفاظ رسول الله ﷺ الموجزة التي لم يسبق إليها.

وعن السجاد عليه السلام قال: إن لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه كل صباح فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تركتنا، ويقولون: الله الله فينا، ويناشدونه ويقولون: إنما نثاب ونعاقب بك[1].

وقال الباقر عليه السلام : إن شيعتنا الخرس[2].

وقال الصادق عليه السلام: النوم راحة للجسد، والنطق راحة للروح، والسكوت راحة للعقل[3].

وقال[4]: في حكمة آل داود: على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه[5].

وقال عليه السلام[6]: قال لقمان لابنه: يا بني إن كنت زعمت أن الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب[7].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: المرء مخبوء تحت لسانه، فزن كلامك واعرضه على العقل والمعرفة، فإن كان لله وفي الله فتكلم[8] وإن كان غير ذلك فالسكوت خير منه[9].

---

(١) الكافي، الكليني: ٢/١١٥، كتاب الإيمان والكفر، باب الصمت وحفظ اللسان/ ح١٣.

(٢) مشكاة الأنوار، الطبرسي: ١٧٥، الباب الثالث في محاسن الأفعال وشرف الخصال وما يشبههما، الفصل العشرون في حفظ اللسان.

(٣) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٤/ ٤٠٢، باب النوادر، من ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الموجزة / ح١٠٢.

(٤) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٥) الكافي، الكليني: ٢/ ١١٦، كتاب الإيمان والكفر، باب الصمت وحفظ اللسان/ ح٢٠.

(٦) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٧) الكافي، الكليني: ٢/١١٦، كتاب الإيمان والكفر، باب الصمت وحفظ اللسان/ح١٦.

(٨) في المحجة: "فتكلموا به".

(٩) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٥/ ١٩٦ ـ ١٩٧، كتاب آفات اللسان، بيان عظم خطر ←

وسئل السجاد عليه السلام عن الكلام والسكوت أيهما أفضل؟ فقال عليه السلام: لكل واحد منهما آفات، فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت. قيل: وكيف ذاك يا بن رسول الله؟ قال: لأن الله عزّوجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، إنما بعثهم بالكلام، ولا استحقت الجنة بالسكوت، ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت، ولا توقيت النار بالسكوت، ولا تجنب سخط الله بالسكوت، إنما ذلك كله بالكلام، ما كنت لأعدل القمر بالشمس إنك تصف فضل السكوت بالكلام ولست تصف فضل الكلام بالسكوت[1].

الفصل الثاني: في آفات اللسان، وهي أمور

الأول: وهو أهونها وأحسنها ـ التكلم في المباح، وهو تضييع للعمر الشريف ويحاسب عليه ويكون قد استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير[2].

روي أن لقمان دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع ولم يكن رآها قبل ذلك، فجعل يتعجب مما يرى، فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته الحكمة فأمسك نفسه ولم يسأله، فلما فرغ قام داود ولبسها فقال: نعم الدرع للحرب. فقال لقمان: الصمت حكم وقليل فاعله ـ أي حصل العلم به من غير سؤال. وقيل: كان يتردد إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك ولم يسأل[3].

اللسان وفضيلة الصمت.

(١) أنظر: الاحتجاج، الطبرسي: ٢/ ٣١٥، احتجاجه عليه السلام في أشياء شتى من علوم الدين وذكر طرف من مواعظه البليغة.

(٢) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ١٠٢، كتاب آفات اللسان، الآفة الأولى: الكلام فيما لا يعنيك.

(٣) أنظر: قصص الأنبياء، الجزائري: ٣٢٩، باب فيه قصص لقمان وحكمه عليه السلام.

وعلاج هذا أن يعلم أن الموت بين يديه، وأنه مسؤول عن كل كلمة، وأن أنفاسه رأس ماله، وأن لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين، فإهماله وتضييعه خسران. والعلاج من حيث العمل أن يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود اللسان ترك ما لا يعنيه.

الثاني: الخوض في الباطل، وهو الكلام في المعاصي، كحكايات أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الأغنياء وتجبر الملوك وأحوالهم.

قال النبي ﷺ: إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك[1] بها جلساءه يهوى[2] بها أبد من الثريا[3].[4]

وقال النبي ﷺ: أعظم الناس خطايا يوم القيامة هو[5] أكثرهم خوضاً في الباطل[6].

وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ**﴾[7]. ويدخل في هذا الخوض حكايات البدع والمذاهب الفاسدة، فإن الحديث في ذلك كله خوض في الباطل[8].

---

(١) في مجموعة ورام: "ليضحك".

(٢) في مجموعة ورام: "فيهوي".

(٣) الثريا: من الكواكب، سميت لغزارة نوئها. وقيل: سميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها. لسان العرب، ابن منظور: ١٤/ ١١٢، مادة "ثرا".

(٤) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١١١، باب ما جاء في المراء والمزاح والسخرية.

(٥) ليس في المحجة كلمة: "هو".

(٦) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٢٠٧/٥، كتاب آفات اللسان، الآفة الثالثة الخوض في الباطل.

(٧) سورة التوبة/ ٦٥.

(٨) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٢٠٧/٥، كتاب آفات اللسان، الآفة الثالثة الخوض في الباطل.

الثالث: المراء[1] والمجادلة. قال ﷺ: لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعداً فتخلفه[2].

وقال ﷺ: من ترك المراء وهو محق بني له[3] في أعلى الجنة، ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في مربض الجنة[4].[5]

وقال ﷺ: لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء والجدال[6] وإن كان محقاً[7].

وقال لقمان لابنه: يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك[8].

واعلم أن المراء عبارة عن الطعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير وإظهار مزيد الكياسة[9]. والجدال عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها.

---

(١) المراء: الجدال. والتماري والمماراة: المجادلة على مذهب الشك والريبة.
لسان العرب، ابن منظور: ١٥ / ٢٧٨، مادة "مرا".

(٢) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١ / ١٠٨، باب ما جاء في المراء والمزاح والسخرية.

(٣) في منية المريد: "بني له بيت".

(٤) في منية المريد: "في ربض الجنة".

(٥) منية المريد، الشهيد الثاني: ١٧٠، الباب الأول في آداب المعلم والمتعلم، النوع الأول آداب اشتركا فيها، القسم الثاني آدابهما في درسهما واشتغالهما، الثاني أن لا يسأل تعنتا وتعجيزا.

(٦) في المحجة: "والجدل".

(٧) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٥/ ٢٠٨، كتاب آفات اللسان، الآفة الرابعة المراء والجدال.

(٨) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١٠٩، باب ما جاء في المراء والمزاح والسخرية.

(٩) الكيس: خلاف الحمق، والجماع، والطب، والجود، والعقل، والغلبة بالكياسة، وقد كاسه يكيسه.
القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ٢ / ٢٤٨، مادة "الكيس".

الرابع: الخصومة، وهي لجاج في الكلام ليستوفى به مال أو حق مقصود، وذلك تارة يكون ابتداءً وتارة يكون اعتراضاً، والمراء لا يكون إلا اعتراضاً على كلام سبق.

قال رسول الله ﷺ: إن أبغض الرجال إلى الله الألد[1] الخصم[2].

وقال ﷺ: من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع[3].

الخامس: الفحش والسب وبذاءة اللسان، مصدره الخبث[4] واللؤم.

قال رسول ﷺ: إياكم والفحش، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش[5].

وقال ﷺ: ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفحاش[6] ولا البذي[7].

---

(١) رجل ألد بين اللدد، شديد الخصومة لغيرة.

مجمع البحرين، الطريحي: ٤/ ١١٦، مادة "لدد".

(٢) مسند ابن راهويه، ابن راهويه: ٣/ ٦٥٣، بدء مسند عائشة. وقد أورده بهذا المضمون الفيض الكاشاني في كتابه: المحجة البيضاء: ٥/ ٢١١، كتاب آفات اللسان، الآفة الخامسة: الخصومة.

(٣) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١٠٩، باب ما جاء في المراء والمزاح والسخرية.

(٤) الخبث: ضد الطيب. وقد خبث الشيء خباثة، وخبث الرجل خبثا، فهو خبيث، أي: خب ردئ.

الصحاح، الجوهري: ١/ ٢٨١، فصل الخاء، مادة "خبث".

(٥) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٥/ ٢١٥، كتاب آفات اللسان، الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان.

(٦) في الجامع الصغير: "ولا الفاحش".

(٧) الجامع الصغير، السيوطي: ٢/ ٤٥٣/ ح٧٥٨٤.

وقال ﷺ: الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها[1].

وقال ﷺ: يا عائشة لو كان الفحش رجلاً لكان رجل سوء[2].

وقال ﷺ: إن الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح[3] في الأسواق[4].

وقال ﷺ: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر[5].

السادس: اللعن لإنسان أو حيوان أو جماد. قال النبي ﷺ: المؤمن ليس بلعان[6].

وقال ﷺ: لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه[7]، ومن كان يستحق اللعن لإبداعه في الدين جاز لعنه بل وجب. قال تعالى: ﴿**أُولئكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾[8]. وقال تعالى: ﴿**أُولئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاّعِنُونَ**﴾[9].

وقال ﷺ: لعن الله الكاذب[10] ولو كان مازحاً[11].

---

(١) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١١٠، باب ما جاء في المراء والمزاح والسخرية.

(٢) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٥/ ٢١٦، كتاب آفات اللسان، الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان.

(٣) في الأدب المفرد: "ولا الصياح".

(٤) الأدب المفرد، البخاري: ٧٤، فضل من يعول يتيما له/ ح٣١٠.

(٥) مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ١/ ٣٨٥.

(٦) إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ١١١، كتاب آفات اللسان، الآفة الثامنة: اللعن.

(٧) مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ٥/ ١٥. وفي ذيل الحديث: "ولا بالنار".

(٨) سورة البقرة/ ١٦١.

(٩) سورة البقرة/ ١٥٩.

(١٠) في كشف الخفاء: "الكذاب".

(١١) كشف الخفاء، العجلوني: ٢/ ١٤٣، حرف اللام/ ح٢٠٥٠.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقنت في بعض نوافله بلعن صنمي قريش[1] [2].

السابع: الغناء والشعر. قال الله تعالى: ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**﴾[3]. قال الصادق عليه السلام: هو الغناء[4].

وقال عليه السلام[5] في قوله تعالى: ﴿**لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ**﴾[6] قال: الغناء[7].

وقال عليه السلام[8]: الغناء عشر[9] النفاق[10].

وقال الباقر عليه السلام: الغناء مما وعد الله عزّوجل عليه النار، وتلا هذه الآية: ﴿**وَمِنَ النّاسِ مَن يَشْرِي**[11] **لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[12] [13].

---

(١) أنظر: بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٣٠/ ٣٩٤، كتاب الفتن والمحن، باب ٢٠/ ذيل حديث ١٦٧. مستدرك الوسائل، المحدث النوري: ٤/ ٤٠٥، كتاب الصلاة، أبواب القنوت، باب ٦ استحباب الدعاء في القنوت بالمأثور/ ح٨.

(٢) أنظر دعاء صنمي قريش: مصباح الكفعمي، الكفعمي: ٥٥٢ ــ ٥٥٣، الفصل الرابع والأربعون فيما يتعلق فيما يعمل في شعبان.

(٣) سورة الحج/ ٣٠.

(٤) أنظر: الكافي، الكليني: ٦/ ٤٣١، كتاب الأشربة والأطعمة، باب الغناء/ ح١.

(٥) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٦) سورة الفرقان/ ٧٢.

(٧) أنظر: دعائم الإسلام، المغربي: ٢/ ٢٠٨، كتاب النكاح، فصل ٤ ذكر الدخول بالنساء ومعاشرتهن/ ح١٨.

(٨) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٩) في ثواب الأعمال: "عش".

(١٠) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق: ٢٤٤، عقاب الخيانة والسرقة وشرب الخمر والزنا.

(١١) في النص القرآني: "من يشتري".

(١٢) سورة لقمان/ ٦.

(١٣) الكافي، الكليني: ٦/ ٤٣١، كتاب الأشربة، باب الغناء/ ح٤.

وأما الشعر فيطلق على معنيين:

أحدهما: الكلام الموزون المقفى، سواء كان حقاً أو باطلاً، وعلى حقه يحمل حديث: «إن من الشعر لحكمة[1]»[2] وما ورد في مدح الشعر، فإن المراد به ما كان حقاً من الموزون المقفى الذي ليس فيه تمويه[3] ولا كذب.

والثاني: الكلام المشتمل على التخيلات الكاذبة والتمويهات المزخرفة التي لا أصل ولا حقيقة لها، سواء كان لها وزن وقافية أم لا، وعليه يحمل ما ورد في ذمه، وهو المراد من نسبة قريش القرآن إلى الشعر[4]، وقولهم للنبي صلى الله عليه وآله: إنه شاعر[5]. وقال تعالى: ﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ**﴾[6]، فإن القرآن ليس بموزون[7].

وقال الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ**﴾[8] هل رأيت شاعراً يتبعه أحد، إنما هم قوم تفقهوا لغير الله فضلوا وأضلوا[9].

---

(١) في الفقيه: "إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا".

(٢) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٤/٣٧٩، باب النوادر، ومن ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله الموجزة التي لم يسبق إليها/ح٤٣.

(٣) التمويه: اسم لكل حيلة لا تأثير لها. ولا يقال تمويه إلا وقد عرف معناه والمقصد منه. ولهذا قيل التمويه ما لا يثبت، وقيل التمويه أن ترى شيئا مجوزا بغيره كما يفعل مموه الحديد فيجوزه بالذهب. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: ١٤٤/ الرقم ٥٥٥ الفرق بين التمويه والسحر.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلاً ما تُؤْمِنُونَ﴾ سورة الحاقة/ ٤١.

(٥) أنظر: متشابه القرآن، ابن شهر آشوب: ٢/ ٢٣.

(٦) سورة يس/ ٦٩.

(٧) الخرائج والجرائح، الراوندي: ٣/ ١٠٠٣، باب في أن إعجاز القران المعاني التي اشتمل عليها من الفصاحة.

(٨) سورة الشعراء/ ٢٢٤.

(٩) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ٣٨٥، باب نوادر المعاني/ ح١٩. ونص الحديث: "في قول ←

الثامن: المزاح، وأصله مذموم منهي عنه إلا القدر اليسير في غير معصية الله.

قال ﷺ: لا تمار أخاك ولا تمازحه[1]. والمراد النهي عن الإفراط منه، لقوله ﷺ: «إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً»[2].

وروي أنه ﷺ أتت عجوز إليه فقال لها: لا تدخل الجنة عجوز. فبكت فقال ﷺ: إنك لست يومئذ بعجوز، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ۞ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۞ عُرُبًا أَتْرَابًا**﴾[3].[4]

وروي أنه جاءت إليه ﷺ امرأة يقال لها أم أيمن[5] فقالت: إن زوجي يدعوك. فقال: ومن هذا هو الذي بعينه بياض؟ فقالت: لا والله ما بعينه بياض. فقال ﷺ: بلى إن بعينه بياضاً. قالت: لا والله. فقال: ما من أحد إلا بعينه بياض[6].

الله عزوجل ﴿الشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ سورة الشعراء/ ٢٢٤. قال: هل رأيت شاعرا يتبعه أحد، إنما هم قوم تفقهوا لغير الدين فضلوا و أضلوا".

(١) مجموعة ورام، وارم ابن أبي فراس: ١/ ١١١، باب ما جاء في المراء والمزاح والسخرية.

(٢) كشف الغمة، الأربلي: ١/ ٩، ذكر أسمائه ﷺ.

(٣) سورة الواقعة/ ٣٥ ـ ٣٧.

(٤) أنظر: مجموعة ورام، وارم ابن أبي فراس: ١/١١٢، باب ما جاء في المراء والمزاح والسخرية.

(٥) أم ايمن: حاضنة رسول الله (ﷺ)، واسمها بركة الحبشية ورثها النبي من أبيه. كانت وصيفة لعبد المطلب، وقيل كانت لآمنة أم رسول ﷺ، وكانت تحضنه حتى كبر، فأعتقها حين تزوج خديجة، وتزوجها عبيدة بن زيد بن الحارث الحبشي فولدت له أيمن وكنيت به.
الدرجات الرفيعة، ابن معصوم: ٤٣٩.

(٦) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٥/ ٢٣٤، كتاب آفات اللسان، الآفة العاشرة: المزاح.

وجاءته امرأة أخرى فقالت: يا رسول الله احملني على بعير. فقال ﷺ: نحملك[1] على ابن بعير. فقالت: ما أصنع به لا يحملني[2]. فقال ﷺ: هل من بعير[3] إلا وهو ابن بعير[4].

وروي أنه ﷺ كان يأكل رطباً مع ابن عمه وأخيه أمير المؤمنين، وكان يأكل ويضع النوى أمامه، فلما فرغا كان النوى كله مجتمعاً عند علي عليه السلام، فقال له: يا علي إنك لأكول. فقال له: يا رسول الله الأكول من يأكل الرطب ونواه[5].

التاسع: السخرية والاستهزاء، وهما حرام مهما كانا مؤذيين. قال تعالى: ﴿**لا يَسْخَرْ قَومٌ مِن قَوْمٍ عَسى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ**﴾[6].

ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة بالقول والفعل، وقد يكون بالإشارة والإيماء.

وروي عنه ﷺ أنه قال: إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال: هلم هلم، فيجيء بكربه وغمه، فإذا أتى أغلق دونه، ثم يفتح له باب آخر فيقال: هلم هلم فما يأتيه[7].

(١) في الإحياء: "بل نحملك".

(٢) في الإحياء: "إنه لا يحملني".

(٣) في الإحياء: "ما من ابن بعير".

(٤) إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ١١٦ ـ ١١٧، كتاب آفات اللسان، الآفة العاشرة: المزاح.

(٥) أنظر: التحفة السنية، السيد الجزائري: ٣٢٣.

(٦) سورة الحجرات/ ١١.

(٧) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٥/ ٢٣٦، كتاب آفات اللسان، الآفة الحادية عشر السخرية والاستهزاء.

العاشر: إفشاء السر، وهو منهي عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون.

قال ﷺ: إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة[1]. وقال ﷺ: الحديث بينكم أمانة[2].

الحادي عشر: الوعد الكاذب. قال ﷺ: العدة دين[3]. وقال ﷺ: ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: إذا[4] حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان[5].

الثاني عشر: الكذب في القول واليمين، وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب. قال ﷺ: كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت له فيه[6] كاذب[7].

وقال ﷺ: الكذب ينقص الرزق[8].

وقال ﷺ: على[9] كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب[10].

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي: ٣/ ٢٣٠، باب ما جاء في السخاء/ ح٢٠٢٥.

(٢) كتاب الصمت وآداب اللسان، ابن أبي الدنيا: ٢١٣، باب حفظ السر.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٠/ ١٤٠، باب الخطب والأوامر، ذكر الآثار الواردة في آفات اللسان.

(٤) في صحيح ابن حبان: "من إذا".

(٥) صحيح ابن حبان، ابن حبان: ١/ ٤٩٠/ ح٢٥٦.

(٦) في مجموعة ورام: "وأنت به".

(٧) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١٦٤، باب الكذب.

(٨) العهود المحمدية، الشعراني: ٨٦٧، النهي عن التهاون بالوقوع بالكذب.

(٩) ليس في مجموعة ورام: "على".

(١٠) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١١٤، باب الكذب.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب[1].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ثلاث نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم : المنان بعطية ، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر ، والمسبل[2] إزاره[3].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة[4].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ما لي أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار ، كل الكذب مكتوب كذباً لا محالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فإن الحرب خدعة ، أو يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما ، أو يحدث امرأته يرضيها[5].

الثالث عشر: الغيبة ، وتحقيق الكلام فيها يتم بأمور :

الأول : في ذمها ، قال تعالى : ﴿**وَلا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتا فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾[6].

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ٢٠/ ٢٦٠ ، باب الحكم والمواعظ ، الحكم المنسوبة/ح٤٧.

(٢) أسبل أبزاره : أرخاه. امرأة مسبل : أسبلت ذيلها. وأسبل الفرس ذنبه : أرسله. أسبل فلان ثيابه إذا طولها وأرسلها إلى الأرض.

لسان العرب ، ابن منظور : ١١/ ٣٢١ ، فصل السين المهملة ، مادة "أسبل".

(٣) أنظر : مجموعة ورام ، ورام بن أبي فراس : ١/ ١١٤ ، باب الكذب.

(٤) مجموعة ورام ، ورام بن أبي فراس : ١/ ١١٤ ، باب الكذب.

(٥) بحار الأنوار ، المجلسي : ٦٩/ ٢٥٤ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب ١١٤ الكذب وروايته وسماعه/ح٢٠.

(٦) سورة الحجرات/ ١٢.

وقال ﷺ: من مشى في غيبة أخيه وكشف عورته كانت أول خطوة خطاها وصفها في جهنم[1] وكشف الله عورته على رؤوس الخلائق، ومن اغتاب مسلماً بطل صومه ونقض وضوؤه، فإن مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرم الله[2].

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله[3] الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الآكلة في جوفه[4].

وقال عليه السلام[5]: من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله عزّوجل: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾**[6].[7]

وقال عليه السلام[8]: من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط عن أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان[9].

وقال عليه السلام[10]: الغيبة حرام على كل مسلم، وإنها لتأكل الحسنات كما

---

(١) في منية المريد: "خطاها وضعها في جهنم".

(٢) منية المريد، الشهيد الثاني: ١٠.

(٣) في كشف الريبة: "قال رسول الله ﷺ: ... الحديث".

(٤) كشف الريبة، الشهيد الثاني: ١٠.

(٥) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٦) سورة النور/ ١٩.

(٧) الكافي، الكليني: ٢/ ٣٥٧، كتاب الإيمان والكفر، باب الغيبة والبهت/ ح٢.

(٨) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٩) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ٢/ ٢٠٩.

(١٠) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

تأكل النار الحطب[1].

الثاني: في بيان معناها. قال النبي ﷺ: هل تدرون ما الغيبة، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان له ما تقول فقد اغتبته، فإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته[2].

وعن الصادق عليه السلام: هو أن تقول لأخيك في دينه ما لم يفعل، وتثبّت عليه أمراً قد ستره الله عليه[3].

وفي رواية أخرى: الغيبة أن تقول في أخيك ما ستر الله عليه، وأما الأمر الظاهر فيه ـ مثل الحدة والعجلة ـ فلا[4].

واعلم أن الغيبة غير مقصورة على اللسان، بل تكون بالقول والكتابة والإشارة والإيماء[5] والغمز[6] والحركة وكل ما يفهم المقصود. وقد قيل: «إن القلم أحد اللسانين»[7].

---

(١) كشف الريبة، الشهيد الثاني: ٩.

(٢) أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١١٨، باب الغيبة.

(٣) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٣٥٧، كتاب الإيمان والكفر، باب الغيبة والبهت/ ح٣.

(٤) الكافي، الكليني: ٢/ ٣٥٨، كتاب الإيمان والكفر، باب الغيبة والبهت/ ح٧.

(٥) الإيماء: الإشارة بالأعضاء كالرأس واليد والعين والحاجب.

النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ١/ ٨٢، مادة "أومأ".

(٦) الغمز: الإشارة بالجفن والحاجب.

كتاب العين، الفراهيدي: ٤/ ٣٨٦، مادة "غمز".

(٧) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩/ ٦٧، حكم الغيبة في الدين.

وروي عن عائشة[1] قالت: دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت بيدي (أي قصيرة) فقال[2] ﷺ: قد[3] اغتبتيها[4].

ومن أقسامها أن يذكر عنده إنسان فيقول: الحمد لله الذي لم يبتلنا بطلب الدنيا وحب الجاه ونحو ذلك، فهو جمع بين رياء وغيبة.

الثالث: في الأسباب الباعثة على الغيبة، وهي أمور: منها تشفي الغيظ بذكر مساوئ عدوه، ومنها موافقة الأقران ومساعدتهم في التفكه في أعراض الناس[5] حتى لا يستثقلوه ولا ينفروا عنه، ومنها العدد كقوله إن أكلت حراماً ففلان وفلان يأكله وإن فعلت كذا ففلان فعل ونحوه، ومنها الاستشعار من إنسان أنه سيقصده بطول لسانه فيه فيقدح في حاله حتى يسقط أثر شهادته، ومنها أن ينسب إلى شيء فيريد أن يبرأ منه بذكر الذي فعله، ومنها إرادة أن يرفع نفسه بنقص غيره بأن يقول فلان جاهل وفهمه ركيك وغرضه أنه أفضل منه، ومنها الحسد له بأن يريد زوال نعمة إكرام الناس له والثناء عليه بذكر عيوبه، ومنها اللعب والهزل والمطايبة فيذكر غيره حتى يضحك الناس، ومنها السخرية والاستهزاء استحقاراً له فإن ذلك قد

---

(١) عائشة: بنت أبي بكر، تكنى بأم عبد الله، وأمها أم رومان، وسمعت أبا بكر بن أبي شيبة، يقول: توفيت عائشة سنة ثمان وخمسين.

الآحاد والمثاني، الضحاك: ٥/ ٣٨٨، عائشة بنت أبي بكر.

(٢) في كشف الريبة: "قال".

(٣) ليس في كشف الريبة: "قد".

(٤) كشف الريبة، الشهيد الثاني: ١٤، الفصل الأول.

(٥) قال الكركي: "وضابط الغيبة المحرمة: ما يكون الغرض منها التفكه بعرض الغير، وليس مقصودا به غرض صحيح".

رسائل الكركي، المحقق الكركي: ٢/ ٤٤، رسالة في العدالة.

يجري في الحضور فيجري أيضاً في الغيبة، ومنها التعجب من المنكر كأن يقول ما أعجب ما رأيت من فلان كذا وكذا، ومنها الرحمة وهو أن يغتم بسبب ما ابتلي به، ومنها الغضب لله على منكر فعله فيذكره في غيابه، وكان ينبغي له في الثلاثة الأخيرة لو كان مخلصاً فيها أن لا يذكر الاسم.

الرابع: في العلاج، وهو قسمان إجمالي وتفصيلي:

أما الإجمالي فهو أن يعلم أنه معرض لسخط الله، وأنه أحبط حسنات نفسه واستحق دخول النار وكفى بذلك رادعاً عنها، وحكي أن رجلاً قال لآخر: «بلغني أنك تغتابني. فقال: ما بلغ من قدرك عندي أن أحكمك في حسناتي»[1].

وأما التفصيلي فلينظر إلى السبب ويعالجه بضده، فإن كان هو الغضب فيعالجه بما يأتي فيه ويقول إن أمضيت غضبي فيه فلعل الله يمضي غضبه عليّ وقد قال ﷺ: إن لجهنم باباً لا يدخله[2] إلا من شفى غيظه بمعصية الله[3].[4]

وإن كان هو الموافقة فليعلم أنه تعرض لسخط الخالق في رضاء المخلوق[5].

---

(١) أنظر: كشف الريبة، الشهيد الثاني: ٢٣ ـ ٢٧، الفصل الثاني في العلاج الذي يمنع الإنسان عن الغيبة.

(٢) في مجموعة ورام: "لا يدخلها".

(٣) في مجموعة ورام: "الله تعالى".

(٤) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١٢١، باب الغيبة.

(٥) قال المازندراني: (يا عيسى إني إن غضبت عليك لم ينفعك رضاء من رضى عنك وإن رضيت عنك لم يضرك غضب المغضبين) بفتح الضاد على صيغة المفعول من أغضبه فهو ←

وأما تنزيه النفس فأن يعلم أنّ التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت الخلق وسخط الله عليه متيقن ورضاء الناس مشكوك فيه.

وأما العدد فهو جهل، لأنه تعذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به، وكان كمن يلقي نفسه من شاهق[1] اقتداءً بغيره.

وأما قصد المباهاة[2] وتزكية النفس فليعلم أنه أبطل فضله ضد الله وهو من الناس في خطر، فربما نال اعتقادهم فيه بخبث فعله فيكون قد ﴿**خَسِرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةَ**﴾[3].

وأما الحسد فهو جمع بين عذابين دنيوي وأخروي، لأن الحاسد في عذاب كما يأتي.

وأما الاستهزاء فمقصوده إخزاء غيره عند الناس، وهو قد أخزى نفسه عند

مغضب وذلك مغضب.

وفيه تنبيه على وجوب ترك ما يوجب رضاء المخلوق إذا كان موجبا لغضب الخالق ووجوب طلب ما يوجب رضاء الخالق وإن كان موجبا لغضب المخلوق لأن المخلوق وجوده وعدمه سواء فكيف غضبه ورضاه وضره ونفعه.

شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني: ١٢/١٢٥.

(١) شاهق: ممتنع طولا، والجمع: شواهق.

لسان العرب، ابن منظور: ١٠/ ١٩٢، مادة "شهق".

(٢) المباهاة: المفاخرة.

مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: ١/ ٢٦٠، مادة "بهو".

(٣) سورة الحج/ ١١.

الله والملائكة والأنبياء والأوصياء، فهو بالاستهزاء على نفسه[1].

وأما الترحم فهو وإن كان حسناً ولكن قد حسدك إبليس بأن نقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك.

وأما التعجب المخرج للغيبة فينبغي أن يتعجب بنفسه، حيث أهلك دينه بدين غيره أو بدنياه وهو مع ذلك لا يأمن عقوبة الدنيا.

الخامس: في بيان الأعذار المسوغة[2] للغيبة، وهي أمور:

الأول: التظلم عند من يرجو زوال ظلمه، قال تعالى: ﴿**لا يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاّ مَن ظُلِمَ**﴾[3]. وقال ﷺ: لصاحب الحق مقال[4]. وقال ﷺ: مطل الغنى ظلم[5]. وقال[6] ليُّ الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته[7].

الثاني: الاستفتاء، كأن يقول للمفتي: قد ظلمني أبي أو أخي فكيف طريقي في الخلاص والأسلم التعريض وعدم ذكر الاسم.

---

(١) أنظر: رسائل الشهيد، الشهيد الثاني: ٢٩٩.

(٢) ساغ الشراب يسوغ سوغا، أي: سهل مدخله في الحلق.
الصحاح، الجوهري: ٤/ ١٣٢٢، مادة "سوغ".

(٣) سورة النساء/ ١٤٨.

(٤) كشف الريبة، الشهيد الثاني: ٣٣، الفصل الثالث في الأعذار المرخصة في الغيبة.

(٥) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٣٨٠/٤، باب النوادر، من ألفاظ رسول الله ﷺ الموجزة / ح٥٨١٩.

(٦) أي: "النبي ﷺ".

(٧) تفسير القرطبي، القرطبي: ٦/ ٢، تفسير سورة النساء.

الثالث: تحذير المؤمن من الوقوع في الخطر ونصح المستشير، فإذا رأى متفقهاً يتلبس بما ليس من أهله فلك أن تنبه الناس على نقصه وقصوره. وكذلك إذا استشير في شراء مملوك أو تزويج امرأة وكان مستحضراً للعيوب فليذكرها، لما ورد من جواز الوقيعة في أصحاب البدع[1]، وأن «المستشار مؤتمن»[2].

الرابع: الجرح للشاهد والراوي، صيانة لحقوق المسلمين وحفظاً للأحكام الشرعية.

الخامس: أن يكون المقول فيه ذلك متظاهراً به كالفاسق المتظاهر بفسقه. قال الصادق عليه السلام: إذا جاهر الفاسق بفسقه فلا حرمة له ولا غيبة له[3]. وعن الباقر عليه السلام قال: ثلاثة ليس لهم حرمة: صاحب هوى مبتدع، والإمام الجائر، والفاسق المعلن بالفسق[4]. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له[5]. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ليس لفاسق غيبة[6]. وظاهر هذه الأخبار جواز غيبته وإن استنكف عن ذلك.

السادس: أن يكون الإنسان معروفاً باسم أو لقب يعرب عن غيبته،

---

(١) البدعة: الحدث في الدين بعد الإكمال.
الصحاح، الجوهري: ٣/ ١١٨٤، مادة "بدع".

(٢) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي: ٤٣٩/١، الباب الأول في الأحاديث المتعلقة بأبواب الفقه، المسلك الثالث/ ح١٥٦.

(٣) مجمع الفائدة، المحقق الأردبيلي: ١٣/ ١٦٤.

(٤) قرب الإسناد، الحميري: ٨٢.

(٥) كشف الريبة، الشهيد الثاني: ٣٦، الفصل الثالث في الأعذار المرخصة في الغيبة.

(٦) مجمع الزوائد، الهيثمي: ١/ ١٤٩، باب لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب.

كالأعرج والأعمش[1] والأشتر[2] ونحوها إذا لم يمكن التعريف بدون ذلك. قال الصادق عليه السلام: جاءت زينب العطارة الحولاء[3][4] إلى نساء النبي صلى الله عليه وآله ـ[5] الحديث.

---

(١) رجل أعمش، وامرأة عمشاء، أي: لا تزال عينها تسيل دمعا، ولا تكاد تبصر بها.
كتاب العين، الفراهيدي: ١/ ٢٦٧، مادة "عمش".
الأعمش: الفاسد العين، الذي تغسق عيناه، ومثله الأرمص.
تاج العروس، الزبيدي: ٤/ ٣٢٧، مادة "عمش".

(٢) ابن الأعرابي: يقال للرجل المشقوق الشفة السفلى أفلح، وفي العليا أعلم، وفي الأنف أخرم، وفي الأذن أخرب، وفي الجفن أشتر، ويقال فيه كله أشرم.
لسان العرب، ابن منظور: ١٢/ ٣٢١، مادة "شرم".

(٣) رجل أحول بين الحول وحول: جاء على الأصل لسلامة فعله، ولأنهم شبهوا حركة العين التابعة لها بحرف اللين التابع لها، فكأن فعلا فعيل، فكما يصح نحو طويل كذلك يصح حول من حيث شبهت فتحة العين بالألف من بعدها. وأحال عينه وأحولها: صيرها حولاء، وإذا كان الحول يحدث ويذهب قيل: احولت عينه احولالا واحوالت احويلالا.
لسان العرب، ابن منظور: ١١/ ١٩١، مادة "حول".

(٤) زينب العطارة: عدها البرقي ممن روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
رجال البرقي، أحمد بن محمد البرقي: ٦١، من روى من النساء عن رسول الله صلى الله عليه وآله، زينب العطارة.

(٥) الكافي، الكليني: ٨/ ١٥٣ ـ ١٥٥، كتاب الروضة، حديث زينب العطارة/ ح١٤٣. ونصه: «عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: جاءَتْ زَيْنَبُ الْعَطَّارَةُ الْحَوْلاءُ إِلى نِساءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَبَناتِهِ وَكانَتْ تَبِيعُ مِنْهُنَّ الْعِطْرَ فَجاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وَهِيَ عِنْدَهُنَّ فَقالَ إِذا أَتَيْتِنا طابَتْ بُيُوتُنا فَقالَتْ بُيُوتُكَ بِرِيحِكَ أَطْيَبُ يا رَسُولَ اللَّهِ قالَ إِذا بِعْتِ فَأَحْسِنِي وَلا تَغُشِّي فَإِنَّهُ أَتْقى وَأَبْقى لِلْمالِ فَقالَتْ يا رَسُولَ اللَّهِ ما أَتَيْتُ بِشَيْءٍ مِنْ بَيْعِي وَإِنَّما أَتَيْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ عَظَمَةِ اللَّهِ عزّوجل فَقالَ جَلَّ جَلالُ اللَّهِ سَأُحَدِّثُكِ عَنْ بَعْضِ ذلِكِ ثُمَّ قالَ إِنَّ هَذِهِ الأَرْضَ بِمَنْ عَلَيْها عِنْدَ الَّتِي تَحْتَها كَحَلْقَةٍ مُلْقاةٍ فِي فَلاةٍ قِيٍّ وَهاتانِ بِمَنْ فِيهِما وَمَنْ عَلَيْهِما عِنْدَ الَّتِي تَحْتَها كَحَلْقَةٍ مُلْقاةٍ فِي فَلاةٍ قِيٍّ وَالثَّالِثَةُ حَتّى انْتَهى إِلى السَّابِعَةِ وَتَلا هذِهِ الآيَةَ ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ سورة الطلاق/١٢. وَالسَّبْعُ الأَرَضِينَ بِمَنْ فِيهِنَّ وَمَنْ عَلَيْهِنَّ عَلى ظَهْرِ الدِّيكِ كَحَلْقَةٍ مُلْقاةٍ فِي فَلاةٍ قِيٍّ والدِّيكُ لَهُ جَناحانِ جَناحٌ فِي الْمَشْرِقِ وَجَناحٌ فِي

السابع: إذ علم اثنان أو جماعة معصية من آخر فذكرها بعضهم لبعض جاز ذلك، لأنها لا تؤثر عند السامع، وفيه أشكال.

الثامن: في كفارة الغيبة. يجب على المغتاب أن يندم ويتوب ويأسف على ما فعله ليخرج عن حق الله. وهل يكفي الاستغفار أم لا بد من الاستحلال؟ وجهان بل قولان لتعارض الأخبار ظاهراً:

الْمَغْرِبِ وَرِجْلاهُ فِي التُّخُومِ وَالسَّبْعُ والدِّيكُ بِمَنْ فِيهِ وَمَنْ عَلَيْهِ عَلَى الصَّخْرَةِ كَحَلْقَةٍ مُلْقاةٍ فِي فَلاةٍ قِيٍّ وَالصَّخْرَةُ بِمَنْ فِيها وَمَنْ عَلَيْها عَلى ظَهْرِ الْحُوتِ كَحَلْقَةٍ مُلْقاةٍ فِي فَلاةٍ قِيٍّ وَالسَّبْعُ والدِّيكُ وَالصَّخْرَةُ وَالْحُوتُ بِمَنْ فِيهِ وَمَنْ عَلَيْهِ عَلَى الْبَحْرِ الْمُظْلِمِ كَحَلْقَةٍ مُلْقاةٍ فِي فَلاةٍ قِيٍّ وَالسَّبْعُ والدِّيكُ وَالصَّخْرَةُ وَالْحُوتُ وَالْبَحْرُ الْمُظْلِمُ عَلَى الْهَواءِ الذَّاهِبِ كَحَلْقَةٍ مُلْقاةٍ فِي فَلاةٍ قِيٍّ وَالسَّبْعُ والدِّيكُ وَالصَّخْرَةُ وَالْحُوتُ وَالْبَحْرُ الْمُظْلِمُ وَالْهَواءُ عَلَى الثَّرى كَحَلْقَةٍ مُلْقاةٍ فِي فَلاةٍ قِيٍّ ثُمَّ تَلا هذِهِ الآيَةَ ﴿لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّرى﴾ سورة طه/ ٦. ثُمَّ انْقَطَعَ الْخَبَرُ عِنْدَ الثَّرى وَالسَّبْعُ وَالدِّيكُ وَالصَّخْرَةُ وَالْحُوتُ وَالْبَحْرُ الْمُظْلِمُ وَالْهَواءُ وَالثَّرى بِمَنْ فِيهِ وَمَنْ عَلَيْهِ عِنْدَ السَّماءِ الأُولى كَحَلْقَةٍ فِي فَلاةٍ قِيٍّ وَهَذا كُلُّهُ وَسَماءُ الدُّنْيا بِمَنْ عَلَيْها وَمَنْ فِيها عِنْدَ الَّتِي فَوْقَها كَحَلْقَةٍ فِي فَلاةٍ قِيٍّ وَهاتانِ السَّماءانِ وَمَنْ فِيهِما وَمَنْ عَلَيْهِما عِنْدَ الَّتِي فَوْقَهُما كَحَلْقَةٍ فِي فَلاةٍ قِيٍّ وَهَذِهِ الثَّلاثُ بِمَنْ فِيهِنَّ وَمَنْ عَلَيْهِنَّ عِنْدَ الرَّابِعَةِ كَحَلْقَةٍ فِي فَلاةٍ قِيٍّ حَتّى انْتَهى إِلى السّابِعَةِ وَهُنَّ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَنْ عَلَيْهِنَّ عِنْدَ الْبَحْرِ الْمَكْفُوفِ عَنْ أَهْلِ الأَرْضِ كَحَلْقَةٍ فِي فَلاةٍ قِيٍّ وَهَذِهِ السَّبْعُ وَالْبَحْرُ الْمَكْفُوفُ عِنْدَ جِبالِ الْبَرَدِ كَحَلْقَةٍ فِي فَلاةٍ قِيٍّ وَتَلا هَذِهِ الآيَةَ ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ﴾ سورة النور/٤٣. وَهَذِهِ السَّبْعُ وَالْبَحْرُ الْمَكْفُوفُ وَجِبالُ الْبَرَدِ عِنْدَ الْهَواءِ الَّذِي تَحارُ فِيهِ الْقُلُوبُ كَحَلْقَةٍ فِي فَلاةٍ قِيٍّ وَهَذِهِ السَّبْعُ وَالْبَحْرُ الْمَكْفُوفُ وَجِبالُ الْبَرَدِ وَالْهَواءُ عِنْدَ حُجُبِ النُّورِ كَحَلْقَةٍ فِي فَلاةٍ قِيٍّ وَهَذِهِ السَّبْعُ وَالْبَحْرُ الْمَكْفُوفُ وَجِبالُ الْبَرَدِ وَالْهَواءُ وَحُجُبُ النُّورِ عِنْدَ الْكُرْسِيِّ كَحَلْقَةٍ فِي فَلاةٍ قِيٍّ ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَلا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ سورة البقرة/ ٢٥٥. وَهَذِهِ السَّبْعُ وَالْبَحْرُ الْمَكْفُوفُ وَجِبالُ الْبَرَدِ وَالْهَواءُ وَحُجُبُ النُّورِ وَالْكُرْسِيُّ عِنْدَ الْعَرْشِ كَحَلْقَةٍ فِي فَلاةٍ قِيٍّ وَتَلا هَذِهِ الآيَةَ ﴿الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى﴾ سورة طه/ ٥. وَفِي رِوايَةِ الْحَسَنِ: الْحُجُبُ قَبْلَ الْهَواءِ الَّذِي تَحارُ فِيهِ الْقُلُوبُ».

فعن الصادق قال: سئل النبي ﷺ: ما كفارة الاغتياب؟ قال: تستغفر الله لمن اغتبته كلما ذكرته[1].

وفي العلل عنه ﷺ قال: الغيبة أشد من الزنا. فقيل: يا رسول الله ولم ذلك؟ قال: أما صاحب الزنا يتوب فيتوب الله عليه، وأما صاحب الغيبة يتوب فلا يتوب الله عليه حتى يكون صاحبه الذي يحله[2].

وقد روي عن الصادق عليه السلام ما يصلح للجمع بين الأقوال والأخبار. قال عليه السلام[3]: إن اغتبت فبلغ المغتاب فاستحل منه، وإن لم يلحقه فاستغفر الله[4] وذلك لأن في الاستحلال مع عدم البلوغ إليه إثارة للغيبة وجلباً للضغائن، وفي حكم من لم يبلغه من لم يقدر على الوصول إليه بموت أو غيبة.

الرابع عشر: النميمة

قال تعالى: ﴿**هَمّازٍ مَشّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذلِكَ زَنِيمٍ**﴾[5] وقال تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ**﴾[6]. قيل الهمزة: النمام، واللمزة: المغتاب[7].

---

(١) الكافي، الكليني: ٢/ ٣٥٧، كتاب الإيمان والكفر، باب الغيبة والبهت/ ح٤.

(٢) أنظر: علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ٢/ ٥٥٧، باب ٣٤٥ العلة التي من أجلها صارت الغيبة أشد من الزنا/ ح١.

(٣) الإمام الصادق عليه السلام.

(٤) أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ٢٠٥، الباب المائة في الغيبة.

(٥) سورة القلم/ ١١ ـ ١٣.

(٦) سورة الهمزة/ ١.

(٧) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٥/ ٢٧٥، كتاب آفات اللسان، الآفة السادسة عشر النميمة.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: لا يدخل الجنة نمام[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: شراركم المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، المبتغون للبراء المعايب[2].

وقال الباقر عليه السلام: الجنة محرمة على المغتابين والمشائين بالنميمة[3].

والنمام هو من ينم قول الغير إلى المقول فيه ويكشف ما يكره كشفه، سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه: أو كرهه ثالث، وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو الإيماء، وسواء كان المنقول من الأعمال أو الأقوال، وسواء كان ذلك عيباً ونقصاناً على المنقول عنه أو لا. فحقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر وكشفه.

ومن حملت إليه النميمة فعليه بأمور ستة.

الأول: عدم تصديقه لأنه فاسق وقد قال تعالى: ﴿**إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾[4].

الثاني: أن ينهره عن ذلك لقوله تعالى: ﴿**وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾[5].

الثالث: أن يبغضه لأنه بغيض الله.

---

(١) كشف الريبة، الشهيد الثاني: ٤١، الفصل الرابع فيما يلحق بالغيبة عند التدبر.

(٢) الكافي، الكليني: ٢/ ٣٦٩، باب الإيمان والكفر، باب النميمة/ ح٣.

(٣) الكافي، الكليني: ٢/ ٣٦٩، كتاب الإيمان والكفر، باب النميمة / ح٢. ونصه: «مُحَرَّمَةٌ الْجَنَّةُ عَلى الْقَتَّاتِينَ الْمَشَّاءِينَ بِالنَّمِيمَةِ».

(٤) سورة الحجرات/ ٦.

(٥) سورة لقمان/ ١٧.

الرابع: أن لا يظن المنقول عنه السوء، لقوله تعالى: ﴿**اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾[1].

الخامس: أن لا يحمله ذلك على التجسس[2] والبحث ليتحقق حقيقة الحال، قال تعالى: ﴿**وَلا تَجَسَّسُوا**﴾[3].

السادس: أن لا يرضى لنفسه ما نهي عنه النمام فلا يحكي نميمته ويقول قال فلان فيك كذا. وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن رجلاً أتاه يسعى إليه برجل فقال: يا هذا نحن نسأل عما قلت فإن كنت صادقاً مقتناك[4] وإن كنت كاذباً عاقبناك. وإن شئت أن نقيلك[5] أقلناك. قال: أقلني يا أمير المؤمنين[6].

الخامس عشر: كلام ذي اللسانين

وهو الذي يتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه وذلك عين النفاق. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً[7] لسانه في قفاه

---

(١) سورة الحجرات/ ١٢.

(٢) التجسس: التفتيش عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال في السر.

النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ١/٢٦٣، مادة "جسس".

(٣) سورة الحجرات/ ١٢.

(٤) المقت: بغض من أمر قبيح ركبه، فهو مقيت، وقد مقت إلى الناس مقاتة، ومقته الناس مقتا.

كتاب العين، الفراهيدي: ٥/ ١٣٢، مادة "مقت".

(٥) أقال الله عثرتك و أقالكها، أي: صفح عنك.

تاج العروس، الزبيدي: ٨/ ٩٢.

(٦) كشف الريبة، الشهيد الثاني: ٤٥، الفصل الرابع فيما يلحق بالغيبة عند التدبر.

(٧) دلع لسانه يدلع دلعا ودلوعا، أي: خرج من الفم، واسترخى وسقط على عنفقته.

كتاب العين، الفراهيدي: ٢/ ٤١، مادة "دلع".

وآخر من قدامه يلتهبان ناراً حتى يلتهبا خده[١]، ثم يقال: هذا[٢] الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين يعرف بذلك يوم القيامة.[٣]

وقال الباقر عليه السلام: بئس العبد عبداً يكون ذا وجهين وذا لسانين يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً، إن أعطي حسده وإن أبتلي خذله.[٤]

السادس عشر: المدح

وفيه ست آفات أربع في المادح:

الأولى: إنه قد يفرط فينتهي به الإفراط[٥] إلى الكذب.

الثانية: إنه قد يدخله الرياء[٦]، فإنه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمراً[٧] له ولا معتقداً لما يقوله، فيكون مرائياً[٨] منافقاً.

---

(١) في الخصال: "حتى يلهبا جسده".

(٢) في الخصال: "ثم يقال له هذا".

(٣) الخصال، الشيخ الصدوق: ١/ ٣٨، باب الاثنين، ما جاء في ذي وجهين/ ح١٦.

(٤) إرشاد القلوب، الديلمي: ١/ ١٧٨، الباب الحادي والخمسون في أخبار عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار.

(٥) الإفراط: إعجال الشيء في الأمر قبل التثبت. يقال: أفرط فلان في أمره، أي: عجل فيه.
لسان العرب، ابن منظور: ٧/ ٣٦٩، مادة "فرط".

(٦) الرياء نفاق إلا أن المنافق يظهر غير ما يسر، وذو الريا يبدي للناس خلاف ما يضمر.
غريب الحديث، ابن قتيبة: ١/ ١٨٥، ألفاظ من أحاديث المولد والمبعث.

(٧) أضمرت الشيء: أخفيته.
لسان العرب، ابن منظور: ٤/ ٤٩٣، مادة "ضمر".

(٨) مرائيا يرائي الناس بقوله وعمله، لا يكون وعظه وكلامه حقيقة.

←

الثالثة: إنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له للاطلاع عليه.

الرابعة: إنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم فاسق وذلك غير جائز. قال ﷺ: إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق[1].

واثنتان في الممدوح: إحداهما أنه قد يحدث فيه كبر أو إعجاب وهما مهلكان. الثانية أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه.

فإذا سلم المدح من هذه الآفات فلا بأس به[2]. وروي عنه ﷺ أنه قال: أحثوا التراب في وجوه المداحين[3]. وقال أمير المؤمنين عليه السلام لما أثني عليه: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤخذني بما يقولون واجعلني خيراً مما يظنون[4].

→ النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٤/ ٧٠.

(١) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٥/ ٢٨٣، كتاب آفات اللسان، الآفة الثامنة عشر المدح. كشف الخفاء، العجلوني: ٢/ ٢٤٨، حرف اللام والألف/ ح٢٤٧٤.

(٢) أنظر لتمام الفصل الثاني وما ورد في آفات اللسان: إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ١٠٥ ـ ١٤٥، كتاب آفات اللسان. الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٦٩ ـ ٧٢، الباب الثاني فيما يؤدي إلى مساوي الأخلاق، الفصل الثاني في اللسان وآفاته.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ٤٥، أبواب الكتب والرسائل، باب ٥٣ ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي رحمه الله لما ولاه على مصر وأعمالها، فصل النهي عن سماع السعاية وما هو. ونصه: «أحثوا في وجوه المداحين التراب».

(٤) أنظر: نهج البلاغة، الشريف الرضي: ٤٨٥، حكم أمير المؤمنين/ الحكمة رقم ١٠٠.



الباب الرابع

الغضب



في الغضب

وهو شعلة من النار اقتبست من ﴿**نارُ اللّهِ الْمُوقَدَةُ**﴾[1] إلا أنها لا ﴿**تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ**﴾[2] وإنها لمستكنة في طي[3] الفؤاد استكنان[4] الجمر تحت الرماد، ويستخرجها الكبر الدفين من قلب ﴿**كُلُّ جَبّارٍ عَنِيدٍ**﴾[5]، كما يستخرج الحجر النار من الحديد، وتستخرجها حمية الدين من قلوب المؤمنين.

وسببه ثوران نار الغضب، وهي الحرارة المودعة في الإنسان واشتعالها، فيغلي بها دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع إلى أعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر، ولذلك ينصب إلى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكي ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها.

---

(١) سورة الهمزة/ ٦.

(٢) سورة الهمزة/ ٧.

(٣) الطية تكون نزلا، وتكون منتوي، تقول: مضى فلان لطيته، أي: لنيته التي نواها. كتاب العين، الفراهيدي: ٤٦٥/٧، مادة "طوي".

(٤) منه الحديث: "على ما استكن"، أي: استتر. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٤/ ٢٠٦.

(٥) سورة إبراهيم/ ١٥.

وإنما ينبسط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه، فإن صدر الغضب على من هو فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزناً، ولذلك يصفر اللون، وإن كان الغضب على نظير يشك فيه تولد منه تردد بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب.

وقوة الغضب محلها القلب، ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام، وإنما تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها، وإلى التشفي والانتقام بعد وقوعها، والانتقام فوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به.

والناس في هذه القوة على درجات ثلاث في أول الفطرة من التفريط[1] والإفراط[2] والاعتدال[3]:

أما التفريط: فبفقد هذه القوة أو ضعفها، وذلك مذموم، وهو الذي يقال فيه إنه لا حمية له، ومن ثمرته عدم الغيرة على الحرام، واحتمال الذل وصغر النفس والخور[4] والسكوت عند مشاهدة المنكرات. وقد وصف الله تعالى خيار الصحابة بالشدة والحمية فقال: ﴿**أَشِدّاء عَلَى الْكُفّارِ**﴾[5] وقال تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ**

---

(١) فرط في الأمر يفرط فرطا، أي: قصر فيه وضيعه حتى فات، وكذلك التفريط.
لسان العرب، ابن منظور: ٧/ ٣٦٨، مادة "فرط".

(٢) الإفراط: إعجال الشيء في الأمر قبل التثبت. وأفرط فلان في أمره، أي: عجل فيه جاوز القدر.
كتاب العين، الفراهيدي: ٤١٩/٧، مادة "فرط".

(٣) الاعتدال: توسط حال بين حالين في كم أو كيف، وكل ما تناسب فقد اعتدل وكل ما أقمته فقد عدلته وعدلته.
القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ٤/ ١٣، مادة "العدل".

(٤) الخور: رخاوة وضعف في كل شيء، تقول خار يخور خورا، ورجل خوار، وخور تخويرا.
كتاب العين، الفراهيدي: ٤/ ٣٠٢، مادة "خور".

(٥) سورة الفتح/ ٢٩.

الْكُفَّارَ وَالْمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[1] والشدة والغلظة من آثار قوة الغضب[2].

والإفراط: هو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج من سياسة العقل والدين وطاعتهما فلا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكر واختيار، ويعمى ويصم عن كل موعظة، ومن آثاره تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام وانطلاق اللسان بالفحش والشتم[3] وقبح الكلام والضرب والتهجم[4]، ولذلك قال ﷺ: الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل[5].

وعن ميسر[6] قال: ذكر الغضب عند أبي جعفر عليه السلام فقال: إن الرجل ليغضب فما يرضى أبداً حتى يدخل النار، فأيما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك، فإنه سيذهب عنه رجز الشيطان، وأيما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسه، فإن الرحم إذا مست سكنت[7].

---

(١) سورة التوبة/ ٧٣.

(٢) أنظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٧٠/ ٢٦٩، كتاب الإيمان والكفر، باب ١٣٢ ذم الغضب ومدح التنمر في ذات الله.

(٣) الشتم: السب، والاسم الشتيمة.
الصحاح، الجوهري: ٥/ ١٩٨٥، مادة "شتم".

(٤) هجم على القوم يهجم هجوما: انتهى إليهم بغتة. وقيل: دخل بغير إذن. وقال الجوهري وغيره: وهجمت أنا على الشيء بغتة أهجم هجوما وهجمت غيري، يتعدى ولا يتعدى.
لسان العرب، ابن منظور: ١٢/٦٠٠ ـ ٦٠١، مادة "هجم".

(٥) الكافي، الكليني: ٢/ ٣٠٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب/ ح١.

(٦) ميسر بن عبد العزيز: بياع الزطي، مات في حياة الصادق عليه السلام، وقيل: ميسر بفتح الميم، من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام.
وقال الكشي: قال علي بن الحسن: إن ميسر بن عبد العزيز كان كوفيا وكان ثقة.
نقد الرجال، التفرشي: ٤/ ٤٤٦، الرقم ٢.

(٧) الكافي، الكليني: ٢/ ٣٠٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب/ ح٢.

وعن أبي حمزة الثمالي[١] عنه عليه السلام[٢] قال: إن الغضب جمرة من الشيطان توقد في جوف ابن آدم، وإن أحدكم إذا غضب احمرت عيناه وانتفخت أوداجه ودخل الشيطان فيه، فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض، فإن رجز الشيطان يذهب عنه عند ذلك[٣].

وعن الصادق عليه السلام: الغضب مفتاح كل شر[٤].

وعنه عليه السلام[٥] قال: من كف غضبه ستر الله عورته[٦].

وعنه عليه السلام[٧] قال: إن في التوراة مكتوب: ابن آدم[٨] اذكرني حين تغضب أذكرك عند غضبي فلا أمحقك في ما أمحق[٩]، وإذا ظلمت بظلمة فارض بانتصاري لك فإن انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك[١٠].

---

(١) ثابت بن دينار: أبو حمزة الثمالي، ودينار أبوه يكنى بأبي صفية، كوفي، ثقة، لقي علي بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبد الله وأبا الحسن عليهم السلام، وروى عنهم، وكان من خيار أصحابنا، وثقاتهم، ومعتمدهم في الرواية والحديث.

نقد الرجال، التفرشي: ١/ ٣١١ ـ ٣١٢، ثابت بن دينار/ الرقم ١٤.

(٢) الإمام الباقر عليه السلام.

(٣) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/٣٠٤ ـ ٣٠٥، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب/ح١٢.

(٤) إرشاد القلوب، الديلمي: ١/ ١٧٧، الباب الحادي والخمسون في أخبار عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام.

(٥) الإمام الصادق عليه السلام.

(٦) الكافي، الكليني: ٢/ ٣٠٣، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب/ ح٦.

(٧) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٨) في الكافي: "يا ابن آدم".

(٩) في الكافي: "فلا أمحقك فيمن أمحق".

(١٠) الكافي، الكليني: ٢/ ٣٠٤، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب/ ح ١٠.

وقال عليه السلام[1]: من لم يملك غضبه لم يملك عقله[2].

وعنه عليه السلام[3] في ما ناجى الله به موسى: يا موسى أمسك غضبك عمن ملكتك عليه أكف عنك غضبي[4].

واعلم أن قمع أصل الغيظ من القلب غير ممكن، بل التكليف إنما هو بكسر سورته[5] وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن، وينتهي ضعفه إلى أن يظهر أثره في الوجه، بل ينبغي للإنسان أن يكون غضبه تحت إشارة العقل والشرع، فيغضب في محل الغضب ويحلم في محل التحلم، ولا يخرجه غضبه عن الاختيار. قال تعالى: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ**﴾[6] ولم يقل: والفاقدين الغيظ.

والأسباب المهيجة للغضب: الزهو[7]، والعجب، والهزل[8]، والهزء[9]، والذل

(١) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٢) الكافي، الكليني: ٢/ ٣٠٥، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب/ ح١٣.

(٣) الإمام الباقر عليه السلام.

(٤) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٣٠٣، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب/ ح٧.

(٥) سورة كل شيء: حده.

لسان العرب، ابن منظور: ٤/ ٣٨٧، مادة "سور".

(٦) سورة آل عمران / ١٣٤.

(٧) الزهو: الكبر والعظمة. و المزهو: المعجب بنفسه.

كتاب العين، الفراهيدي: ٤/ ٧٣، مادة "زهو".

(٨) الهزل: نقيض الجد. ورجل هزل ككتف: كثيره. والهزالة: الفكاهة.

القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ٤/ ٦٩، فصل الهاء، مادة "الهزل".

(٩) الهزء والهزؤ: السخرية.

لسان العرب، ابن منظور: ١/ ١٨٣، مادة "هزأ".

والتعيير، والمماراة[1] والمضادة، والعذر، وشدة الحرص على فضول المال والجاه. وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعاً.

ولا خلاص عن الغضب مع بقاء هذه الأسباب، فلا بد من إزالتها بأضدادها، فينبغي أن يميت الزهو بالتواضع، والعجب بالمعرفة بنفسك، والفخر بمعرفة أنه من الرذائل وإنما الفخر بالفضائل، وأما الهزل فيزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة، وأما الهزء فيزيله بالتكرم عن إيذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يُستهزأ بك، وأما التعيير فبالحذر عن قول القبيح وصيانة النفس عن مرِّ الجواب، وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعاً عن ذل الحاجة.

وكل خلق من هذه الأخلاق يفتقر في علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة، وأصل الرياضة في إزالة هذه الأخلاق يرجع إلى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها. ثم المواظبة على مباشرة أضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس، فإذا انمحت عن النفس فقد زكت وطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت عن الغضب الذي يتولد منها[2].

وعلاجه عند هيجانه ــ كما أشير إليه في الأخبار المتقدمة ــ الاستعاذة من الشيطان، والجلوس إن كان قائماً، والاضطجاع إن كان جالساً[3]، والوضوء أو

(١) الامتراء في الشيء: الشك فيه، وكذلك التماري. والمراء: المماراة والجدل.
لسان العرب، ابن منظور: ١٥ / ٢٧٨، مادة "مرا".

(٢) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٧٣ ــ ٧٨، الباب الثالث في الغضب.
إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ١٤٧ ـ ١٦٠، كتاب ذم الغضب والحقد والحسد.

(٣) إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ١٥٦، كتاب ذم الغضب والحقد والحسد، بيان علاج الغضب ←

الغسل بالماء البارد[١]. قال ﷺ: إذا غضب أحدكم فليتوضأ وليغتسل فإن الغضب من النار[٢]. وأمر ﷺ بالاستعاذة من الشيطان، وأن يتفكر في ما ورد في فضائل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال[٣]. قال الله في معرض المدح: ﴿**وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ**﴾[٤] وقال ﷺ: من كف غضبه كف الله عنه عذابه، ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره، ومن خزن لسانه ستر الله عورته[٥].

وقال ﷺ: أشدكم من ملك[٦] نفسه عند الغضب، وأحلمكم من عفا عند القدرة[٧].

وقال ﷺ: من أحب السبيل إلى الله تعالى جرعتان: جرعة غيظ تردها بحلم، وجرعة مصيبة تردها بصبر[٨].

بعد هيجانه. ونص الحديث: «إذا غضبت فإن كنت قائما فاقعد وإن كنت قاعدا فأتكئ وإن كنت متكئا فاضطجع».

(١) أنظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٧٠/ ٢٧٢، كتاب الإيمان والكفر، باب ١٣٢ ذم الغضب ومدح التنمر في ذات الله.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أنظر: ما ورد في الغيظ والعفو والحلم والاحتمال ما يلي: الكافي، الكليني: ٢/ ١٠٩، كتاب الإيمان والكفر، باب كظم الغيظ، و ٢/ ١٠٧، باب العفو، و ٢/ ١١١، باب الحلم. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٢/ ٢٧٤. الاختصاص، المفيد: ٣٤٢. غرر الحكم، الآمدي: ٢٤٦. روضة الواعظين، النيسابوري: ٢/ ٣٧٦.

(٤) سورة آل عمران/ ١٣٤.

(٥) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٥/ ٣٠٨ ــ ٣٠٩، كتاب آفة الغضب والحقد والحسد، فضيلة كظم الغيظ.

(٦) في الإحياء: "غلب" بدل "ملك".

(٧) إحياء علوم الدين، الغزالي: ١٥٧/٣، كتاب ذم الغضب والحقد والحسد، فضيلة كظم الغيظ.

(٨) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٣١٠/٥، كتاب آفة الغضب والحقد والحسد، فضيلة كظم الغيظ.

وعن السجاد عليه السلام قال: ما أحب أن لي بذل نفسي حمر النعم[1]، وما تجرعت جرعة أحب إلي من جرعة غيظ لا أكافي بها صاحبها[2].

وعن الباقر عليه السلام قال: من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة[3].

وعن الصادق عليه السلام قال: نعم الجرعة[4] الغيظ[5] لمن صبر عليها، فإن عظيم الأجر لمن عظم[6] البلاء، وما أحب الله قوماً إلا ابتلاهم[7].

وعنه عليه السلام[8]: ما من عبد كظم[9] غيظا إلا زاده الله تعالى عزاً في الدنيا وعزاً في الآخرة[10].

---

(١) في الحديث "ما أحب بذل نفسي حمر النعم " هي بضم حاء وسكون ميم الإبل الحمر، وهي أنفس أموال النعم وأقواها وأجلدها، فجعلت كناية عن خير الدنيا كله.
مجمع البحرين، الطريحي: ١/ ٥٧٣، باب الحاء.

(٢) الكافي، الكليني: ٢/١٠٩، كتاب الإيمان والكفر، باب كظم الغيظ/ ح١.

(٣) الكافي، الكليني: ٢/١١٠، كتاب الإيمان والكفر، باب كظم الغيظ/ ح٧.

(٤) جرع الغيظ: كظمه. وجرعه غصص الغيظ فتجرعه، أي: كظمه.
لسان العرب، ابن منظور: ٨/ ٤٦، مادة "جرع".

(٥) الغيظ: غضب كامن للعاجز.
الصحاح، الجوهري: ٣/ ١١٧٦، مادة "غيظ".

(٦) في مجموعة ورام: "عظيم" بدل "عظم".

(٧) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ٢/ ١٨٩.

(٨) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٩) كظم الرجل غيظه: اجترعه.
كتاب العين، الفراهيدي: ٥/ ٣٤٥، مادة "كظم".

(١٠) أنظر: مشكاة الأنوار، الطبرسي: ٢١٧، الباب الرابع في آداب المعاشرة مع الناس وما يتصل بها، الفصل الحادي عشر في الحلم وكظم الغيظ والغضب.

وعنه عليه السلام[1]: من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاه[2].

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أعز الله بجهل قط، ولا أذل بحلم قط[3].

وعن حفص[4] قال: بعث الصادق عليه السلام غلاماً له في حاجة فأبطأ، فخرج عليه السلام في أثره فوجده نائماً، فجلس عند رأسه يروحه حتى انتبه فقال له أبو عبد الله عليه السلام: يا فلان والله ما ذلك لك تنام الليل والنهار، لك الليل ولنا منك النهار[5].

---

(١) أي: «الإمام الصادق» عليه السلام.

(٢) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٥ / ٣١٠، كتاب آفة الغضب والحقد والحسد، فضيلة كظم الغيظ.

(٣) الكافي، الكليني: ٢/ ١١٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الحلم/ ح٥.

(٤) حفص بن أبي عائشة المنقري بالولاء، الكوفي. محدث إمامي. روى عنه عبد الله الحجال. الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام، الشبستري: ١/٤٣١/ الرقم ٨٧١، المنقري.

(٥) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ١١٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الحلم/ ح٧.



الباب الخامس

الحقد



في الحقد

إعلم أن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقداً، ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والتنفر عنه، وأن يدوم على ذلك ويبقى، وقد قال رسول الله ﷺ: المؤمن ليس بحقود[1]. والحقد ثمرة الغضب، والحقد يثمر ثمانية أمور:

الأول: الحسد، وهو أن يحملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة منه.

الثاني: أن تزيد على إضمار الحسد في الباطن فتشمت بما يصيبه من البلاء.

الثالث: أن تهجره وتقطعه وإن أقبل عليك.

الرابع: أن تعرض عنه استصغاراً له.

الخامس: أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره.

---

(١) منية المريد، الشهيد الثاني: ٣٢١، الباب الثالث في المناظرة وشروطها وآدابها وآفاتها، الفصل الثاني في آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق.

السادس: أن تحاكيه استهزاءً وسخرية منه.

السابع: إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه.

الثامن: أن تمنعه حقه من صلة رحم أو قضاء دين أو رد مظلمة وكل ذلك حرام.

وأقل درجات الحقد أن يحتزر من الآفات الثمانية، ولكن تستثقله وتبغضه في الباطن وتمتنع من البشاشة[1] والرفق والعناية.

والأولى أن يبقى على حالته السابقة معه، وإن أمكنه أن يزيد في الإحسان على العفو مجاهدة للنفس وإرغاماً للشيطان فذلك مقام الصديقين[2]، وهو من أفضل أعمال المقربين[3]، فللحقود ثلاثة أحوال عند القدرة.

---

(١) البشاشة: طلاقة الوجه. ورجل هش بش، أي: طلق الوجه طيب.
الصحاح، الجوهري: ٣/ ٩٩٦، مادة "بشش".

(٢) الصديق: من يصدق بكل أمر الله والنبي (ﷺ) لا يتخالجه شك في شيء.
العين، الفراهيدي: ٥/ ٥٦، مادة "صدق".

(٣) المقربين، أي: السابقين.

بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٥٧/٦٦، كتاب الإيمان والكفر، باب ٣٢ درجات الإيمان وحقائقه.

قال أبي الفرج البغدادي: أصل الموالاة القرب، وأصل المعاداة البعد، فأولياء الله هم الذين يتقربون إليه بما يقربهم منه، وأعداؤه الذين أبعدهم منه بأعمالهم المقتضية لطردهم وإبعادهم منه، فقسم أولياؤه المقربين قسمين: أحدهما من تقرب إليه بأداء الفرائض، ويشمل ذلك فعل الواجبات، وترك المحرمات، لأن ذلك كله من فرائض الله التي افترضها على عباده. والثاني: من تقرب إليه بعد الفرائض بالنوافل.

جامع العلوم والحكم، أبي الفرج البغدادي: ٣٦١.

أحدها: أن يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان، وهو العدل.

والثاني: أن يحسن إليه بالعفو والصلة، و﴿**ذٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ**﴾[١].

والثالث: أن يطلبه بما لا يستحقه، وذلك هو الجور[٢].

وعلاج الحقد أن يعلم أنه مهما كان في قلبه حقد فلا يزال مغموماً مهموماً مبتلى معذباً في الدنيا والآخرة، وأن ينظر في فضيلة العفو والرفق[٣].

قال تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿**وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾[٥].

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة؟ العفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك[٦].

وعنه عليه السلام[٧] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليكم بالعفو، فإن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً، فتعافوا يعزكم الله[٨].

---

(١) سورة فاطر/ ٣٢.

(٢) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٧٩ ــ ٨٠، الفصل الثالث الحقد من نتائج الغضب. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ١٦٢ ـ ١٦٣، القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق.

(٣) أنظر: جامع السعادات، النراقي: ١/ ٣٤٧، الحقد.

(٤) سورة الأعراف/ ١٩٩.

(٥) سورة البقرة/ ٢٣٧.

(٦) الكافي، الكليني: ٢/ ١٠٧، كتاب الإيمان والكفر، باب العفو/ ح١.

(٧) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٨) الكافي، الكليني: ٢/ ١٠٨، كتاب الإيمان والكفر، باب العفو/ ح٥.

وعن معتب[1] قال: كان أبو الحسن موسى عليه السلام في حائط له يصرم[2]، فنظرت إلى غلام له قد أخذ كارة[3] من تمر فرمى بها وراء الحائط، فأتيته وأخذته وذهبت به إليه. فقلت له: جعلت فداك إني وجدت هذا وهذه الكارة. فقال للغلام: فلان. قال: لبيك. قال: أتجوع؟ قال: لا يا سيدى. قال: فتعرى؟ قال: لا سيدي. قال: فلأي شيء أخذت هذا؟ قال: اشتهيت ذلك، قال: إذهب فهي لك، وقال: خلوا عنه[4].

وعن الكاظم عليه السلام قال: الرفق نصف العيش[5].

(١) معتب: مولى أبي عبد الله الصادق عليه السلام، ثقة.

رجال العلامة، العلامة الحلي: ١٧٠، الباب الحادي عشر في الآحاد/ الرقم ٦.

(٢) صرم الشيء: قطعه. وصرم الرجل: قطع كلامه. والانصرام: الانقطاع. والتصارم: التقاطع. والتصرم: التقطع.

مختار الصحاح، الرازي: ١٩٢، مادة "صرم".

(٣) الاكتيار: صرع الشيء بعضه على بعض، وكور المتاع تكويرا: جمعه وشده. وقيل: ألقى بعضه على بعض، ومنه: الكارة. عكم الثياب، وكذا كارة القصار، لكونه يكور ثيابه في ثوب واحد ويحملها، فيكون بعضها على بعض.

تاج العروس، الزبيدي: ٣/ ٥٣١، مادة "كور".

(٤) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ١٠٨، كتاب الإيمان والكفر، باب العفو/ ح٧.

(٥) الكافي، الكليني: ٢/ ١٢٠، كتاب الإيمان و الكفر، باب الرفق/ ح١١.



الباب السادس

الحسد



في الحسد

وهو من نتائج الحقد كما سبق، والحقد من نتائج الغضب، فهو فرع فرع الغضب. وللحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى. قال الباقر عليه السلام: إن الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب[1].

وقال الصادق عليه السلام: آفة الدين الحسد والعجب والفخر[2].

وعنه عليه السلام[3] قال: قال الله تعالى لموسى[4]: يا بن عمران لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي، ولا تمدن عينيك إلى ذلك ولا تتبعه نفسك، فإن الحاسد ساخط لنعمي صادٌ لقسمي الذي قسمت بين عبادي، ومن يك كذلك فلست منه وليس مني[5].

---

(١) الكافي، الكليني: ٢/ ٣٠٦، كتاب الإيمان والكفر، باب الحسد/ ذيل الحديث ١.

(٢) منية المريد، الشهيد الثاني: ٣٢٥، الباب الثالث في المناظرة وشروطها وآدابها وآفاتها، الفصل الثاني في آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق.

(٣) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٤) في الكافي: "قال الله عزّوجل لموسى بن عمران عليه السلام".

(٥) الكافي، الكليني: ٢/ ٣٠٧، كتاب الإيمان والكفر، باب الحسد/ ح٦.

وعنه عليه السلام[1] قال: اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً ـ الحديث[2].

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: الحاسد مضر بنفسه قبل أن يضر بالمحسود، كإبليس أورث بحسده لنفسه اللعنة ولآدم الاجتباء[3] والهدى والرفع إلى محل حقائق العهد والاصطفاء[4]، فكن محسوداً ولا تكن حاسداً، فإن ميزان الحاسد أبداً خفيف يثقل ميزان المحسود والرزق مقسوم فماذا ينفع الحسد الحاسد وما يضر المحسود الحسد، والحسد أصله من عمى القلب وجحود فضل الله وهما جناحان للكفر، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد وهلك مهلكاً لا ينجو منه أبداً، ولا توبة للحاسد لأنه مصر عليه معتقد به مطبوع فيه، يبدو بلا معارض به ولا سبب، والطبع لا يتغير عن الأصل وإن عولج[5].

ثم اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة، فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان:

إحداهما: أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها، وهذه الحالة تسمى حسداً.

---

(١) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٥/ ٣٦٥، كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب ٥٥ تحريم الحسد ووجوب اجتنابه دون الغبطة/ ح٣.

(٣) اجتبى الرجل الرجل، إذا قربه، قال الله تعالى: ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ سورة القلم / ٥٠، أي: قربه. كتاب العين، الفراهيدي: ٦/ ١٩٢، مادة "جبي".

(٤) الاصطفاء: الاختيار، افتعال من الصفوة. والصفي: الخالص من كل شيء. واصطفاه: أخذه صفيا.

لسان العرب، ابن منظور: ١٤/ ٤٦٢، مادة "صفا".

(٥) أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ١٠٤، الباب الثامن والأربعون في الحسد.

والثانية: أن لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكنك تشتهي لنفسك مثلها، وهذه تسمى غبطة[1] ومنافسة، وقد يوضع أحد اللفظين بدل الآخر، ولا حجر في الأسامي بعد فهم المعاني.

قال ﷺ: إن المؤمن يغبط والكافر يحسد[2][3]. وقال تعالى: ﴿**وَ فِي ذٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾[4].

وقال ﷺ: لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه الله على هلكته[5] في الحق، ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس[6]. فسمى الغبطة حسداً كما قد يسمى الحسد منافسة[7].

---

(١) الاغتباط: شكر الله على ما أنعم وأفضل وأعطى. والغبطة: المسرة. والغبطة أن تتمنى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها ولا أن تتحول عنه وليس بحسد.
لسان العرب، ابن منظور: ٧/ ٣٥٩، مادة "غبط".

(٢) في كشف الريبة: "والمنافق يحسد".

(٣) كشف الريبة، الشهيد الثاني: ٥٧، الفصل الرابع فيما يلحق بالغيبة عند التدبر.

(٤) سورة المطففين/ ٢٦.

(٥) في كشف الريبة: "فسلطه على هلكته".

(٦) كشف الريبة، الشهيد الثاني: ٥٧، الفصل الرابع فيما يلحق بالغيبة عند التدبر.

(٧) قال الشهيد الثاني: "وإذ قد عرفت أنه لا حسد إلا على نعمة فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان إحداهما: أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا. والثانية: أن لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكنك تشتهي لنفسك مثلها، وهذا يسمى: غبطة. وقد يخص باسم المنافسة، قال الله تعالى: ﴿وَفِي ذلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ سورة القلم/ ٥٠. وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة".
كشف الريبة، الشهيد الثاني: ٥٦ ـ ٥٧، الفصل الرابع فيما يلحق بالغيبة عند التدبر.

والحسد حرام على كل حال إلا في نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تهيج الفتنة وإفساد ذات البين وإيذاء الخلق، فلا يضر كراهتها ومحبة زوالها من حيث هي آلة الفساد لا من حيث إنها نعمة، بحيث لو أمن فسادها لم يغمه تنعمه.

والحسد إنما يكثر بين أقوام تجمعهم روابط تتوارد على أغراضهم، فإذا خالف واحد صاحبه في غرض من أغراضه نفر[1] طبعه وأبغضه وثبت الحقد فيه، وحيث لا رابطة بين شخصين فلا تحاسد بينهما، فلذلك يحسد العالم العالم دون العابد، والتاجر يحسد مثله ولا يحسد العالم، ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب، والمرأة تحسد ضرتها وسرية[2] زوجها أكثر مما تحسد أمّ الزوج وابنته، وذلك للتزاحم على المقاصد.

وأسباب الحسد المذموم:

العداوة: بأن يكره النعمة على المحسود لأنه عدوه، فلا يريد له الخير.

أو التعزز: وهو أن يعلم أن المحسود يتكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه.

---

(١) نفر ينفر نفورا ونفارا: إذا فر وذهب.

النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٥/ ٩٢، مادة "نفر".

(٢) والسر: النكاح، لأنه يكتم.

لسان العرب، ابن منظور: ٤/ ٣٥٨، مادة "سرر".

تَسَرَّى الجاريةَ: من السُّرِّيَّة، و قال يعقوب: أصله تَسَرَّر من السُّرور، فأبدلوا من إحدى الراءات ياء كما قالوا تقضَّى من تَقَضّضَ.

لسان العرب، ابن منظور: ١٤/ ٣٧٨، مادة "سرا".

أو الكبر: وهو أن يكون في طبع الحاسد أن يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمة.

أو التعجب: وهو أن تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيراً، فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة.

أو الخوف: من فوت المقاصد المحبوبة، وهو أن يخاف من فوت مقاصده بسبب نعمته، بأن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه.

أو حب الرياسة: التي تبتنى على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها، أو خبث نفس وبخلها وشحها بالخير لعباد الله وإن كانت النعمة لا تثقل.

وقد تجتمع هذه الأسباب أو أكثرها في شخص واحد فيعظم الحسد لذلك.

وعلاج الحسد علمي وعملي:

أما العلمي[1]: فهو أن يعلم الحاسد أن للحسد ضرراً عليه في الدنيا والدين، لأنه بالحسد سخط قضاء الله تعالى وكره نعمته التي قسمها لعباده وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته. وهذه جناية عظيمة على العدل الحكيم. على أن الحاسد فارق أولياء الله في حبهم الخير لعباد الله، وشارك إبليس وسائر الكفار في حبهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم. قال تعالى: ﴿**إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ**﴾[3].

---

(١) في المتن الأصلي: «ما العلمي»، والظاهر إنه محذوف الألف بسبب النسخ.

(٢) سورة آل عمران/ ١٢٠.

(٣) سورة البقرة/ ١٠٩.

وأما ضرره في الدنيا فهو أن الحاسد لا يزال متألماً بالحسد مهموماً مغموماً معذباً، لأن أعداءه، لا تزال نعم الله تتجدد عليهم يوماً فيوماً وساعة فساعة ولا تزول النعمة عن المحسود بالحسد، ولو كان كذلك لما بقيت نعمة على المؤمنين لحسد الكفار إياهم، ولا ضرر على المحسود أصلاً، لأن ما قدره الله تعالى له من النعم فلا حيلة في دفعه، بل الضرر على الحاسد كما عرفت.

والحسد ينفع المحسود في الدنيا والآخرة:

أما في الدنيا فهو أن أهم أغراض الخلق مساءة الأعداء وغمهم[1] وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين، ولا عذاب أعظم مما في الحاسد من ألم الحسد، وقد فعل الحاسد بنفسه ما هو مراد أعدائه.

وأما في الدين فلأن المحسود مظلوم من جهة الحاسد، لا سيما إذا أخرجه الحسد إلى القول أو الفعل بالغيبة أو القدح[2] فيه وهتك[3] ستره وذكر مساوئه، فهذه هدايا يهديها الحاسد إلى المحسود بانتقال حسناته إلى ديوانه، حتى يلقاه مفلساً محروماً من الحسنات، كما حرم من الراحة في الدنيا فقد أضيف للمحسود نعمة إلى نعمة وإلى الحاسد شقاوة إلى شقاوة.

---

(١) أمر غمة، أي: ملتبس.
الصحاح، الجوهري: ٥/ ١٩٩٨، مادة "غمم".
الغم والغمة: الكرب.
لسان العرب، ابن منظور: ١٢/ ٤٤١، مادة "غمم".

(٢) قدح في نسبه: طعن.
مختار الصحاح، الرازي: ٢٧٠، مادة "قدح".

(٣) هتك الستر: تمزيقه وخرقه.
مجمع البحرين، الطريحي: ٤/ ٤٠٥، مادة "هتك".

وأما العلاج العملي: فهو أن يحكم الحسد وكل ما يتقاضاه من قول أو فعل، فينبغي أن يكلف نفسه بنقيضها، فإن بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له والثناء عليه، وإن حمله على التكبر ألزم نفسه التواضع والاعتذار إليه، وإن بعثه على كف الأنعام عنه ألزم نفسه الزيادة. ومهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه، ومهما أحبه عاد الحاسد وأحبه وتولدت بينهما الموافقة التي تقطع مادة الحسد، ويصير ما تكلفه أولاً طبعاً آخر.

والأصل في العلاج قمع أسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص كما يأتي إن شاء الله تعالى.

واعلم أن الحاسد له في أعدائه ثلاثة أحوال:

الأولى: أن يحب مساءتهم بطبعه ولكنه يكره حبه لذلك وميل قلبه إليه بعقله، ويمقت[1] نفسه عليه ويودُّ أن يكون له حيلة في إزالة ذلك الميل، وهذا القسم معفو عنه قطعاً لأنه غير داخل تحت الاختيار.

الثانية: أن يحب ذلك ويظهر الفرح بمساءته إما بلسانه أو بجوارحه، وهذا هو الحسد المحظور[2] قطعاً.

الثالثة: وهي بين الطرفين أن يحسد بالقلب من غير مقته لنفسه على حسده ومن غير إنكار منه على قلبه، لكن يحفظ جوارحه من طاعة الحسد في مقتضاها،

---

(١) المقت: بغض من أمر قبيح ركبه، فهو مقيت.
كتاب العين، الفراهيدي: ٥/ ١٣٢، مادة "مقت".

(٢) الحظر: يطلق بمعنى المنع والقطع، ومنه قولهم: حظرت عليه كذا، أي: منعته منه. والحظر: فهو خطاب الشارع بما فعله سبب للذم شرعا بوجه ما، من حيث هو فعله. ومن أسمائه أنه محرم ومعصية وذنب.
الأحكام، الآمدي: ١١٣/١، الفصل الثاني في المحظور.

وهذا محل خلاف بين العارفين: فقيل إنه لا يخلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه، لأنك وإن كفيت ظاهرك بالكلية إلا أنك بباطنك تحب زوال النعمة، وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة، فأنت أيضاً حسود عاصٍ لأن الحسد صفة القلب لا صفة الفعل[١]، قال تعالى: ﴿**وَ لا يَجِدُونَ في صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمّا أُوتُوا**﴾[٢] وقال: ﴿**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَما كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَواءً**﴾[٣]، والفعل ـ كالغيبة والوقيعة في المحسود ـ إنما هو عمل صادر عن الحسد لا عين الحسد.

وذهب ذاهبون إلى أنه لا يأثم إذا لم يظهر الحسد على جوارحه، ويرشد إليه كثير من الأخبار: فروي من طرق العامة[٤] بأسانيد عديدة عن النبي ﷺ قال: وضع عن أمتي تسع خصال: الخطأ، والنسيان، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطروا إليه، وما استكرهوا عليه، والطيرة[٥]، والوسوسة في التفكير[٦] في الخلق، والحسد ما لم يظهر بلسان أو يد[٧].

(١) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٨٠ ـ ٨٥، الباب الثالث في الغضب، الفصل ٤ ـ ٧. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ١٦٧ ـ ١٧٩، كتاب ذم الغضب والحقد والحسد، القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته.

(٢) سورة الحشر/ ٩.

(٣) سورة النساء/ ٨٩.

(٤) العامة: تطلق الكلمة على جميع المذاهب من غير الشيعة، والذين يطلق عليهم: الخاصة، وهم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، الذين يعتقدون بولايته وخلافته وولاية وخلافة أبنائه المعصومين عليهم السلام. وقد مر سابقا ترجمة كلمة الخاصة فراجع.

(٥) الطيرة: بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن: هي التشاؤم بالشيء. وهو مصدر تطير. يقال: تطير طيرة، وتخير خيرة.

النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٣/ ١٥٢، حرف الطاء.

(٦) في الكافي: "التفكر" بدل "التفكير".

(٧) الكافي، الكليني: ٢/ ٤٦٣، كتاب الإيمان والكفر، باب ما رفع عن الأمة/ ح٢.

وعنه ﷺ قال: ثلاث لا ينجو منهن أحد: الظن، والطيرة، والحسد. وسأحدثكم بالمخرج من ذلك: إذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض، وإذا حسدت فلا تبغ[1][2].

وفي رواية أخرى: ثلاث لا ينجو منهن أحد وقلّ من ينجو منهن... إلى آخرها[3].

وفي رواية أخرى: ثلاثة في المؤمن له منهن مخرج، ومخرجه من الحسد أن لا يبغى[4].

(١) البغي: التعدي. وبغى عليه استطال، وبابه رمى، وكل مجاوزة وإفراط على المقدار الذي هو حد الشيء فهو بغي.

مختار الصحاح، الرازي: ٣٨، مادة "بغي".

(٢) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١٢٧، باب ما جاء في الحسد.

(٣) المصدر السابق.

(٤) بحار الأنوار، المجلسي: ٢٤٣/٧٠، كتاب الإيمان والكفر، باب ١٣١ الحسد/ بيان الحديث١.



الباب السابع

الرياء



في الرياء

وتحقيق الكلام فيه في فصول

الفصل الأول: في ذمه وحرمته

قال الله تعالى: ﴿**وَيْلٌ**[1] **لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ ساهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُراؤُنَ * وَيَمْنَعُونَ الْماعُونَ**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**يُراؤُنَ النّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إلاّ قَليلاً**﴾[3] وقال تعالى: ﴿**كَالَّذي يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النّاسِ**﴾[4] وقال تعالى: ﴿**فَمَن كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّه فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّه أَحَداً**﴾[5].

وقال رسول الله ﷺ: إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء[6]، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا

(١) في النص القرآني: "فويل".

(٢) سورة الماعون/ ٤ ـ ٧.

(٣) سورة النساء/ ١٤٢.

(٤) سورة البقرة/ ٢٦٤.

(٥) سورة الكهف/ ١١٠.

(٦) في المنية: "هو الرياء".

جازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون لهم[١] في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء! [٢].

وقال ﷺ: يقول الله تعالى: من عمل عملاً أشرك فيه غيري فهو له كله وأنا منه بريئ، وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك[٣].

وقال ﷺ: لا يقبل الله عملاً فيه مقدار ذرة من رياء[٤].

وقال ﷺ: إن أدنى الرياء شرك[٥].

وعن الصادق عليه السلام قال: قال الله تعالى[٦]: أنا خير شريك، من أشرك معي غيري في عمل عمله لم أقبله إلا ما كان لي خالصاً[٧].

وعنه ﷺ قال[٨]: قال رسول الله ﷺ: سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا، لا يريدون به ما عند ربهم، يكون دينهم رياء، لا يخالطهم خوف، يعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجاب[٩] لهم[١٠].

---

(١) ليس في المنية: "لهم".

(٢) منية المريد، الشهيد الثاني: ٣١٧ ـ ٣١٨، الباب الثالث في المناظرة وشروطها وآدابها وآفاتها، الفصل الثاني في آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق.

(٣) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٦/ ١٤٠، كتاب ذم الجاه والرياء، بيان ذم الرياء.

(٤) عدة الداعي، ابن فهد الحلي: ٢٢٨، الباب الرابع في كيفية الدعاء، القسم الثالث في الآداب المتأخرة عن الدعاء. وفيه النص: "إن الله لا يقبل عملا فيه مثقال ذرة من رياء".

(٥) عيون الحكم والمواعظ، الليثي: ١٤١، الفصل الثاني عشر.

(٦) في الكافي: "عن علي بن سالم، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال الله عزّوجل: ... الحديث".

(٧) الكافي، الكليني: ٢/ ٢٩٥، كتاب الإيمان والكفر، باب الرياء/ ح ٩.

(٨) في الكافي: "عن أبي عبد الله عليه السلام، قال ... الحديث".

(٩) في الكافي: "فلا يستجيب".

(١٠) الكافي، الكليني: ٢/ ٢٩٦، كتاب الإيمان والكفر، باب الرياء/ ح ١٤.

وعنه عليه السلام[1] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الملك يصعد بعمل العبد مبتهجاً[2] به، فإذا صعد بحسناته يقول الله[3]: «اجعلوها في سجين[4]، إنه ليس إياي أراد به»[5].

---

(١) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٢) بهج به، أي: فرح به وسر.

الصحاح، الجوهري: ١/ ٣٠٠، مادة "بهج".

(٣) في المنية والبحار: "الله عزّوجل".

(٤) سجين (فيه كتاب الفجار) وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ودواوينهم كما في الصحاح، قال أبو عبيدة: وهو فعيل من السجن، كالفسيق من الفسق، ومنه قوله تعالى: ﴿كَلاّ إنَّ كِتابَ الفُجّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ (سورة المطففين/٧) وقال ابن عرفة: هو من سجنت، أي: هو محبوس عليهم كي يجازوا بما فيه (و) قيل (واد في جهنم أعاذنا الله تعالى منها) وجزم البيضاوي في هود، أنه: جهنم نفسها. وقال ابن الأثير: هو اسم علم للنار. وقال الراغب: هو اسم لجهنم بإزاء عليين، وزيد لفظه تنبيها على زيادة معناه. (أو حجر في الأرض السابعة) و به فسرت الآية أيضا. وقال مجاهد: هو اسم الأرض السابعة. وقيل في سجين، أي: في حساب. وقيل معنى الآية: كتابهم في حبس لخساسة منزلتهم عند الله عزّوجل، وأما قول الخفاجي: سجين كتاب جامع لأعمال الكفرة، فذكر الراغب: أن كل شئ ذكره الله عزّوجل بقوله: وما أدراك. فسره، وكل ما ذكره بقوله وما يدريك تركه مبهما. وفى هذا الموضع ذكر: ﴿وَما أَدْراكَ ما سِجِّينٌ﴾ (سورة المطففين/ ٨) وكذا في قوله عزّوجل: ﴿وَما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ﴾ (سورة المطففين/ ١٩) ثم فسر الكتاب لا السجين والعليين، قال: وفى هذه لطيفة موضعها الكتب المطولات (و) السجين (العلانية) يقال فعل ذلك سجينا، أي: علانية.

تاج العروس، الزبيدي: ٩/ ٢٣١، فصل السين.

(٥) منية المريد، الشهيد الثاني: ٣١٨، الباب الثالث في المناظرة وشروطها، الفصل الثاني في آفات المناظرة. بحار الأنوار، المجلسي: ٦٩/ ٣٠٣، كتاب الإيمان والكفر، باب ١١٦ الرياء/ ح٥٠.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : ثلاث علامات للمرائي : ينشط إذا رأى الناس ، ويكسل إذا كان وحده ، ويحب أن يحمد في كل أموره[1][2].

وقال عليه السلام[3] : أخشوا الله خشية ليست بتقدير[4] ، واعملوا في غير رياء[5] ولا سمعة ، فإنه من عمل لغير الله وكّله الله إلى عمله[6].

وقال الصادق عليه السلام : اجعلوا أمركم هذا لله ولا تجعلوه للناس ، فإنه ما كان لله فهو لله وما كان للناس فلا يصعد إلى الله[7].

وعنه عليه السلام[8] : كل رياء شرك ، إنه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ، ومن عمل لله كان ثوابه على الله[9].

وعنه عليه السلام[10] في قول الله عزّوجل ﴿**فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾ [11] قال : الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله ، إنما يطلب تزكية الناس يشتهي أن يسمع به الناس ، فهذا الذي

(١) في الكافي : "في جميع أموره".

(٢) الكافي ، الكليني : ٢/ ٢٩٥ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الرياء/ ح٨.

(٣) أي : "أمير المؤمنين عليه السلام".

(٤) في الكافي : "ليست بتعذير".

(٥) في الكافي : "واعملوا لله في غير رياء".

(٦) الكافي ، الكليني : ٢/ ٢٩٧ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الرياء/ ح١٧.

(٧) الكافي ، الكليني : ٢/ ٢٩٣ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الرياء/ ح٢.

(٨) أي : "الإمام الصادق عليه السلام".

(٩) مشكاة الأنوار ، الطبرسي : ٣١١ ، الفصل الثالث في الرياء.

(١٠) أي : "الإمام الصادق عليه السلام".

(١١) سورة الكهف/ ١١٠.

أشرك بعبادة ربه. ثم قال: ما من عبد سرّ[1] خيراً فذهبت الأيام أبداً حتى يظهر الله له خيراً، وما من عبد يسر شراً فذهبت الأيام حتى يظهر الله له شراً[2].

وعنه عليه السلام[3]: ما يصنع أحدكم إن يظهر حسناً ويسر سيئاً، أليس يرجع إلى نفسه فيعلم أن ذلك ليس كذلك، والله تعالى[4] يقول: ﴿**بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ**﴾[5] إن السريرة إذا صحت قويت العلانية[6].

الفصل الثاني: في حقيقة الرياء والفرق بينه وبين السمعة وأقسام الرياء

أصل الرياء من الرؤية: وهي طلب المنزلة في قلوب الناس بإراءتهم خصال الخير. والسمعة من السماع: وهي طلب المنزلة في قلوب الناس بإسماعهم ما يوجب ذلك[7].

وحدّ الرياء: هو إرادة المنزلة بطاعة الله تعالى. والمرئي هو العابد. والرائي هو الناس المطلوب رؤيتهم لطلب المنزلة في قلوبهم. والمراءى به هي الخصال التي قصد المرائي إظهارها. والرياء هو قصده إظهار ذلك.

---

(١) في الكافي: "أسر".

(٢) الكافي، الكليني: ٢/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤، كتاب الإيمان والكفر، باب الرياء/ ح٤.

(٣) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٤) في الكافي: "والله عزّوجل".

(٥) سورة القيامة/ ١٤.

(٦) الكافي، الكليني: ٢/ ٢٩٥، كتاب الإيمان والكفر، باب الرياء/ ح١١.

(٧) أنظر: بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٦٩/ ٢٦٦، كتاب الإيمان والكفر، باب ١١٦ الرياء/ بيان الحديث ١.

والمراءى به كثير وتجمعه خمسة أقسام، وهي: مجامع ما يتزين به العبد للناس البدن والزي، والقول، والعمل، والأتباع، والأشياء الخارجة.

وأهل الدنيا يراؤون بهذه الأسباب الخمسة، إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون الرياء بالطاعات.

القسم الأول: الرياء في الدين بالبدن بإظهار النحول والصفار، ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة وقلة الأكل وسهر الليل، ويقرب منه خفض الصوت وإغارة العينين وذبول الشفتين ليوهم أنه مواظب على الصوم، ولهذا قال عيسى عليه السلام: إذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه[1]. وذلك لخوف الرياء.

القسم الثاني: الرياء بالزي والهيئة، كتشعث[2] شعر الرأس وحلق الشارب وإطراق الرأس في المشي والهدوء في الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب وتشميرها وترقيع الثوب لإظهار أنه متابع للسنة غير مقبل على الدنيا.

القسم الثالث: الرياء بالقول، كالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار والآثار وتحريك الشفتين بمحضر الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق ونحو ذلك.

الرابع: الرياء بالأعمال، كمراءاة المصلي بطول القيام والركوع والسجود وإطراق الرأس وترك الالتفات ونحو ذلك.

---

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي: ٢٦٣/٣، كتاب ذم الجاه والرياء، بيان حقيقة الرياء وما يراءى به.

(٢) رجل أشعث شعث شعثان الرأس، وقد شعث شعثا وشعاثا وشعوثة وشعثته أنا تشعيثا، وهو المغبر الرأس، المتلبد الشعر جافا غير دهين.

كتاب العين، الفراهيدي: ١/ ٢٤٤، مادة "شعث".

الخامس: المراءاة بالأصحاب والزائرين والمخالطين، بأن يكثر التردد إلى العلماء والعباد والزهاد والفقراء والمساكين، أو يصير سبباً لكثرة ترددهم إليه ليقال إنه عظيم الرتبة في الدين[1].

الفصل الثالث: في درجات الرياء

إعلم أن الرياء يتفاوت فبعضه أشد وأغلظ من بعض، ويختلف باختلاف أركانه، وأركانه ثلاثة: المراءى به، والمراءى لأجله، ونفس قصد الرياء:

الركن الأول: نفس قصد الرياء

وله درجات أربع:

«الأولى» ـ وهي أغلظها ـ أن لا يكون مراده الثواب أصلاً، كالذي يصلي بين أظهر الناس الفرض أو النفل ولو انفرد لم يصلِ.

«الثانية» أن يكون له قصد الثواب أيضاً قصداً ضعيفاً.

«الثالثة» أن يكون قصد الثواب وقصد الرياء متساويين، بحيث لو كان كل منهما خالياً من الآخر لم يبعثه على العمل.

«الرابعة» أن يكون اطلاع الناس مرجحاً ومقوياً لنشاطه، ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة. والكل حرام ومبطل للعمل لما تقدم من قوله تعالى في الحديث القدسي: «أنا أغنى الأغنياء عن الشرك»[2]، وقوله تعالى: ﴿وَلا

---

(١) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤، كتاب ذم الجاه والرياء، بيان حقيقة الرياء وما يراءى به.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢/ ١٨٠، بيان الخطبة ٣٢.

﴿يُشْرِكْ بِعِبٰادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[1]. وقوله عليه السلام[2] في علامة المرائي: يكسل في الخلوة وينشط عند الناس[3].

الركن الثاني: المراءى به

وهو الطاعات، وهو ينقسم إلى: الرياء بأصول العبادات، وإلى الرياء بأوصافها:

القسم الأول: له درجات ثلاث:

«الأولى» الرياء بأصل الإيمان وهو أغلظ أبواب الرياء، وأصحابه من المنافقين المخلدين في النار، وربما كان حال هذا أشد من الكافر حيث جمع بين كفر الباطن ونفاق الظاهر.

«الثانية» الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصول الدين. كالرياء بالصلاة والزكاة والحج والجهاد، وهذا أهون من الأول.

«الثالثة» الرياء بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصي ولكن يكسل عنها في الخلوة وينشط عند الناس.

القسم الثاني: الرياء بأوصاف العبادات لا بأصولها، وهي أيضاً على ثلاث درجات:

«الأولى» أن يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة، كالذي يكون غرضه تخفيف القراءة والركوع والسجود فإذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود والقيام.

---

(١) سورة الكهف/ ١١٠.

(٢) أمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) الكافي، الكليني: ٢/ ٢٩٥، كتاب الإيمان والكفر، باب الرياء/ ح٨. وفيه النص: «ثَلاثُ عَلامَاتٍ لِلْمُرائِي: يَنْشَطُ إِذَا رَأَى النَّاسَ، وَيَكْسَلُ إِذَا كَانَ وَحْدَهُ، وَيُحِبُّ أَنْ يُحْمَدَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ».

«الثانية» أن يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التتمة والتكملة للعبادة، كالتطويل في الركوع والسجود ومدّ القيام وتحسين الاعتدال وطول القراءة والتأني فيها وفي الأذكار.

«الثالثة» أن يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل، كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده الصف الأول ويمين الإمام[1] ونحو ذلك.

الركن الثالث: المراءى لأجله

وله درجات ثلاث:

«الأولى» وهي أشدها ـ أن يكون مقصده التمكن من معصية، كالذي يرائي بعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع من أكل الشبهات، وغرضه أن يعرف بالأمانة فيولى القضاء والأوقاف والوصايا أو مال الأيتام فيأخذها أو يودع الودائع فيجحدها.

«الثانية» أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة.

«الثالثة» أن يكون غرضه أن لا ينظر إليه بعين النقص وأن يعدّ من الخاصة والزهاد، كالذي يمشي مستعجلاً فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كي لا يقال إنه من أهل اللهو والسهو لا من أهل الوقار، أو يبدر منه المزاح فيخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وإظهار الحزن.

---

(١) انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٦٩/ ٢٧٣، كتاب الإيمان والكفر، باب ١١٦ الرياء/ بيان الحديث ١.

تقسيم آخر

الرياء منه: جلي، وخفي، وأجلى، وأخفى:

فالجلي الذي يبعث على العمل ويحمل عليه.

وأخفى منه ما لا يحمل على العمل بمجرده إلا أنه يخفف العمل، كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه، فإذا دخل عليه الضيوف نشط.

وأخفى من ذلك أن يعرض بإظهار العمل بالشمائل، كإظهار النحول والصفار وخفض الصوت وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد.

وأخفى من ذلك أن يختفي بحيث لا يريد الإطلاع ولا يسر بظهور طاعته، ولكنه إذا رأى الناس أحب أن يبدأوه بالسلام، وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير، وأن يثنوا عليه وينبسطوا في قضاء حوائجه، ويوسعوا له في المكان، وإن قصر فيه مقصر ثقل على قلبه، ولو لم تسبق منه تلك الطاعات والعبادات لما توقع ذلك.

وقد يكون العمل مخفياً قد قصد به وجه الله تعالى ولكن لما اتفق اطلاع غيره عليه استرّ بذلك، فإن كان قصده إخفاء الطاعة والإخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله أطلعهم عليه وأظهر الجميل من أحواله فيستدل به على حسن صنيع الله به ونظره له وإلطافه به، فيكون فرحه بجميل نظر الله لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم، ولا بأس بذلك، قال تعالى: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا**﴾[1]، وكذا إذا استدل بإظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا أنه كذلك يفعل به في الآخرة، إذ قال ﷺ: ما ستر الله على عبد في الدنيا إلا ستر عليه في الآخرة[2] فيكون الأول فرحاً بالقبول في الحال.

(١) سورة يونس/ ٥٨.

(٢) عدة الداعي، ابن فهد الحلي: ٢٢٤، الباب الرابع في كيفية الدعاء، القسم الثالث في الآداب المتأخرة عن الدعاء.

وهذا التفات إلى المستقبل، وكذا إذا كان سروره من حيث رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره، فيكون له أجر العلانية بما أظهر آخراً وأجر السر بما قصده أولاً، ومن اقتدى به في طاعة فله أجر أعمال المقتدين به من غير أن ينقص من أجورهم شيء[1].

وكذا إذا فرح بطاعتهم لله في مدحهم إياه وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم إلى الطاعة، كما روي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله أسرُّ العمل لا أحب أن يطلع عليه أحد، فيطلع عليه فيسرني؟ قال: لك أجران أجر السر وأجر العلانية[2].

وعن الباقر عليه السلام أنه سئل عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه إنسان فيسره ذلك؟ قال: لا بأس، ما من أحد إلا وهو يحب أن يظهر الله له في الناس الخير إذا لم يكن صنع ذلك لذلك[3].

وأما إذا كان فرحه وسروره من حيث قيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالإكرام في مصادره وموارده فهو رياء مذموم[4].

ومن جملة أقسام الرياء ترجيحه العمل في الملأ على الخلاء، وعدّ بعضهم عكسه أيضاً رياء، لأنه لو كان عمله خالصاً لله لما تفاوت عنده الخلاء والملاء.

---

(١) عن إسماعيل الجعفري، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام، يقول: من استن بسنة عدل فاتبع كان له أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، و من استن بسنة جور فاتبع كان له مثل وزر من عمل به من غير أن ينقص من أوزارهم شيء.

المحاسن، البرقي: ١/٢٧، كتاب ثواب الأعمال، السادس ثواب من سن سنة عدل/ ح٨.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٦٩/٢٧٤، كتاب الإيمان والكفر، باب ١١٦ الرياء/ بيان الحديث١.

(٣) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٢٩٧، كتاب الإيمان والكفر، باب الرياء/ ح ١٨.

(٤) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ٢٦٦ ـ ٢٧١، كتاب ذم الجاه والرياء، بيان درجات الرياء.

ومن جملة أقسامه ترك العمل خوفاً من الوقوع في الرياء، فإنه قد أراح الشيطان من الإفساد.

تقسيم آخر

قد يكون الرياء بغير العبادات، وهو قد يكون مستحباً وقد يكون واجباً، إذ يجب على المؤمن صيانة عرضه وأن لا يفعل ما يعاب عليه، فلا يليق بذوي المروءات أن يرتكبوا الأمور الخسيسة بأنفسهم عند مشاهدة الناس وإن جاز لهم في الخلوة، ولهذا ورد الأمر بالتزين(١) وإظهار النعمة(٢) وإظهار الغنى(٣) وكتم الفقر(٤) ونحو ذلك من الشريعة المقدسة.

وروي أن رسول الله ﷺ أراد يوماً أن يخرج على أصحابه وكان ينظر في جب(٥) من الماء ويسوى عمامته وشعره، فقيل له، أو تفعل ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم إن الله يحب من العبد أن يتزين لإخوانه إذا خرج إليهم(٦).

---

(١) قال تعالى: ﴿يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ سورة الأعراف/٣١.

(٢) قال تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ﴾ سورة الأحزاب/ ٩.

(٣) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إظهار الغنى من الشكر».

غرر الحكم، الآمدي: ٢٧٩، طريق الشكر/ ح١.

(٤) قال رسول الله ﷺ: «يا علي إن الله جعل الفقر أمانة عند خلقه فمن ستره كان كالصائم القائم، و من أفشاه إلى من يقدر على قضاء حاجته فلم يفعل فقد قتله، أما إنه ما قتله بسيف و لا رمح، و لكن بما أنكر من قلبه».

جامع الأخبار، الشعيري: ١١٢، الفصل الثامن والستون في كتمان الفقر.

(٥) الجب: بئر غير بعيدة القعر.

كتاب العين، الفراهيدي: ٦/ ٢٥، مادة "جب".

(٦) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ٢٦٥/٣، كتاب ذم الجاه والرياء، بيان حقيقة الرياء وما يراءى به.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ليتزين أحدكم لأخيه المسلم كما يتزين للغريب الذي يحب أن يراه في أحسن الهيئة[1].

وقال الصادق عليه السلام: الثوب النقي يكبت العدو[2]... وكل ذلك رياء محبوب.

الفصل الرابع: في سبب الرياء وعلاجه

إعلم أن الرياء بالعبادة إنما ينشأ من حب لذة الحمد، والفرار من ألم المذمة، والطمع مما في أيدي الناس، فالعلاج أن يعرف العبد مضرة الرياء، وما يفوته من صلاح قلبه، وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله، وما يتعرض له من العقاب والمقت[3] والخزي[4]، وما يفوته من ثواب الآخرة ورضاء الله وأنه قد أتعب بدنه وأحبط أجره، وقد خسر الدنيا والآخرة لما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق، فإن رضاء الناس غاية لا تدرك[5]، وكلما يرضى به فريق يسخط به فريق، ورضاء بعضهم في سخط بعض، ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليهم وأسخطهم عليه[6].

---

(١) الكافي، الكليني: ٦/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠، كتاب الزي والتجمل والمروءة، باب التجمل وإظهار النعمة/ ح١٠.

(٢) الكافي، الكليني: ٦/ ٤٤١، كتاب الزي والتجمل والمروءة، باب اللباس/ ح١.

(٣) مقته مقتا: أبغضه.

لسان العرب، ابن منظور: ٢/ ٩٠، مادة "مقت".

(٤) الخزي: ذل مع افتضاح، وقيل هو: الانقماع لقبح الفعل.

الفروق اللغوية، العسكري: ٢١٥/ الرقم ٨٤٠.

(٥) أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١٩٢، بيان الرخصة في كتمان الذنوب.

(٦) أنظر: رسائل الشهيد، الشهيد الثاني: ١/ ١٥٣.

والأمور كلها والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء[1]، «ومن أصلح في ما بينه وبين الله أصلح الله في ما بينه وبين الناس»[2]، ومن أسخط الله الذي بيده جميع الأمور برضاء الناس الذين ﴿**لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلا ضَرًّا**﴾[3] ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً[4] فهو أحمق سفيه[5]، وكيف يبعثه على العمل الطمع بما في أيدي الناس وهو يعلم أن الله هو المسخر للقلوب بالمنع والإعطاء.

ومهما تكن عند امرئ من خليقة ... وإن خالها تخفى على الناس تعلم[6]

وربما كشف الله للناس خبث سره فيمقتوه ويكرهوه ويخسر الدنيا والآخرة، ولا بد من كشف سره على رؤوس الأشهاد يوم حشر العباد، ولو أخلص لله عمله لكشف الله لهم إخلاصه وحببه إليهم وسخرهم له، وأطلق ألسنتهم بحمده والثناء عليه. هذا كله مع أنه لا كمال في مدحهم ولا نقص في ذمهم، ولو كان راغباً في

---

(١) عن حمران قال سمعت أبا جعفر عليه السلام، يقول: «إذا كان الرجل على يمينك على رأي ثم تحول إلى يسارك فلا تقل إلا خيرا ولا تبرأ منه حتى تسمع منه ما سمعت وهو على يمينك فإن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء ساعة كذا وساعة كذا وإن العبد ربما وفق للخير».

علل الشرائع، الصدوق: ٢/ ٦٠٤، باب ٣٨٥ نوادر العلل/ ح٧٥.

(٢) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٤/ ٣٩٦، من ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله الموجزة / ذيل حديث ٥٨٤٥.

(٣) سورة الرعد/ ١٦.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَياةً وَلا نُشُوراً﴾ سورة الفرقان/ الآية ٣.

(٥) السفيه: الجاهل.

لسان العرب، ابن منظور: ١٣/ ٤٩٨، مادة "سفه".

(٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ١٣٧. وفيه: قال زهير بن أبي سلمى: البيت.

المدح وخائفاً من الذم فليرغب في مدح الملائكة المقربين، بل في مدح رب العالمين، وليخش من ذمه وذمهم.

ثم ينبغي أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها كما تغلق الأبواب دون الفواحش، ويجعل قلبه قانعاً بعلم الله واطلاعه على عبادته، ولا تنازعه نفسه إلى طلب علم غير الله به، وإذا واظب على ذلك مدة سقط عنه ثقله[١].

وليستعن بالله ويجاهد، «فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية»[٢] ﴿**وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا**﴾[٣] و﴿**اللّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٤].

---

(١) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٨٧ ــ ٨٨، الباب الرابع في الرياء والكبر والعجب وعلاجهم، الفصل الأول الرياء في العبادة. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ٢٧٤ ـ ٢٧٧، كتاب ذم الجاه والرياء، بيان دواء الرياء وطريقة معالجة القلب فيه.

(٢) رسائل الشهيد، الشهيد الثاني: ١٥٦، أسرار الصلاة.

(٣) سورة العنكبوت/ ٦٩.

(٤) سورة التوبة/ ١٢٠.



الباب الثامن

العجب



في العجب

وهو غالباً إنما يقع بعد تصفية العمل من شوائب الرياء، والكلام فيه يقع في فصول:

الفصل الأول: في حقيقته وأقسامه والفرق بينه وبين الإدلال

العجب هو إعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم[1]. وفي الكافي عن علي بن سويد[2] عن أبي الحسن عليه السلام[3] قال: سألته عن العجب الذي يفسد العمل؟ فقال: للعجب درجات: منها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسناً ويحسب أنه يحسن صنعاً، ومنها أن يؤمن العبد بربه فيمنّ على الله ولله عليه فيه المنّة[4].

(١) الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٩٦، الفصل السادس في العجب.

(٢) علي بن سويد: الظاهر من طريق السند وطبقته في الحديث أنه: علي بن سويد السائي الثقة. أنظر: رجال الطوسي، الشيخ الطوسي: ٣٥٩، باب العين / الرقم ٦. معجم رجال الحديث، السيد الخوئي: ١٣/ ٥٦ ـ ٥٧/ الرقم ٨١٩٩.

(٣) الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

(٤) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٣١٣، كتاب الإيمان والكفر، باب العجب/ ح ٣.

ثم إذا كان خائفاً على زوال تلك النعمة مشفقاً على تكدرها أو يكون فرحه بها من حيث إنها من الله فليس بمعجب، بل هو إعظام النعمة مع نسيان إضافتها إلى المنعم، وإذا انضاف إلى ذلك أن غلب على نفسه أن له عند الله حقاً وأنه منه بمكان حتى توقع بعمله كرامة له في الدنيا، واستبعد أن يجري عليه مكروه استبعاداً يزيد على استبعاده في ما يجري على الفساق سمي هذا الإدلال بالعمل، فكأنه يرى لنفسه على الله دالة. وكذلك قد يعطي لغيره شيئاً فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجباً، فإن استخدمه واقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلاً عليه.

وآفات العجب كثيرة، فإنه يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه، ويتولد من الكبر الآفات الكثيرة، ويدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها لظنه أنه مستغنٍ عن تفقدها، ويدعو إلى استعظام العبادات والطاعات والمنة بها على الله، وكفى بذلك نقصاً. ويدعو إعجابه بها إلى التعامي عن آفاتها، والمعجب يغتر بنفسه وبربه ويأمن مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون[1].

ويمنعه العجب عن الاستشارة والاستفادة والتعلم، فيبقى في ذل الجهل.

وربما يعجب برأيه الخطأ في الأصول والفروع فيهلك[2].

---

(١) إشارة لقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاّ الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ﴾ سورة الأعراف/٩٩.

(٢) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٩٧ ـ ٩٨، الباب الرابع في الرياء والكبر والعجب وعلاجهم، الفصل السابع آفات العجب. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦، كتاب ذم الكبر والعجب، بيان آفة العجب.

الفصل الثاني: في ما ورد في ذمه

قال الله تعالى في معرض الإنكار: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِنَ اللَّهِ فَأَتاهُمُ اللّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾[2] فرد على الكفار في إعجابهم بحصونهم وشوكتهم[3]. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[4] وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً﴾[5] وهو يرجع إلى العجب بالعمل[6].

وقال النبي ﷺ: ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه[7].

وقال ﷺ: لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك: العجب العجب[8].

---

(١) سورة التوبة/ ٢٥.

(٢) سورة الحشر/ ٢.

(٣) إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ٣٢٥، كتاب ذم الكبر والعجب، بيان ذم العجب وآفاته.

(٤) سورة الكهف/ ١٠٤.

(٥) سورة فاطر/ ٨.

(٦) إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣٢٥/٣، كتاب ذم الكبر والعجب، بيان ذم العجب وآفاته.

(٧) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور: ١/ ٢٧٣، الفصل العاشر في أحاديث تتضمن شيئا من الآداب الدينية/ ح٩٦.

(٨) شرح أصول الكافي، المازندراني: ٢٠٠/٨. بحار الأنوار، المجلسي: ٣٢٩/٦٩، كتاب الإيمان والكفر، باب ١١٩ ذم الشكاية من الله وعدم الرضا بقسم الله / ح ١٢. وفي ذيل الحديث: "العجب" مرة واحدة.

وقال الصادق عليه السلام: إن الله تعالى[1] علم أن الذنب خير للمؤمن من العجب، ولولا ذلك ما ابتلى مؤمناً[2] بذنب أبداً[3].

وقال عليه السلام[4]: من دخله العجب هلك[5].

وقال عليه السلام[6]: إن الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه ويعمل العمل فيسره ذلك فيتراخى عن حاله تلك، فلئن يكون على حاله تلك خير له مما دخل فيه[7].

وعنه عليه السلام[8] قال: أتى عالم عابداً فقال له: كيف صلواتك؟ فقال: مثلي يسأل عن صلواته وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا. قال: فكيف بكاؤك؟ قال: أبكي حتى تجري دموعي. فقال العالم: إن ضحكك وأنت خائف أفضل من بكائك وأنت مدلّ إن المدل لا يصعد من عمله شيء[9].

وعنه عليه السلام[10] قال: دخل رجلان المسجد أحدهما عابد والآخر فاسق فخرجا من المسجد والفاسق صدّيق والعابد فاسق، وذلك أنه يدخل العابد المسجد مدلاً[11] بعبادته

(١) ليس في الكافي: "تعالى".

(٢) في الكافي: "مؤمن" بدل "مؤمنا".

(٣) الكافي، الكليني: ٢/ ٣١٣، كتاب الإيمان والكفر، باب العجب/ ح١.

(٤) الإمام الصادق عليه السلام.

(٥) الكافي، الكليني: ٢/ ٣١٣، كتاب الإيمان والكفر، باب العجب/ ح٢.

(٦) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٧) الكافي ، الكليني : ٢ / ٣١٣ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب العجب/ح٤.

(٨) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٩) أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ٢/ ٢٠٦.

(١٠) في الكافي: "عن أحدهما عليهما السلام" أي: "الإمام الباقر عليه السلام أو الإمام الصادق عليه السلام".

(١١) المدل، بكسر الميم: الرجل الخفي الشخص.
الصحاح، الجوهري: ٥/ ١٨١٨، مادة "مدل".

يدل بها فتكون فكرته في ذلك، وتكون فكرة الفاسق في الندم على نفسه ويستغفر الله مما صنع من الذنوب[1].

وعنه عليه السلام[2] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بينما موسى عليه السلام جالس إذ أقبل إبليس وعليه برنس ذو ألوان، فلما دنا منه خلع البرنس وقام إلى موسى عليه السلام فسلم عليه. فقال له موسى: من أنت؟ فقال أنا إبليس. قال: أنت فلا أقرب الله دارك. قال: إني إنما جئت لأسلم عليك لمكانك من الله تعالى. قال: فقال له موسى عليه السلام: فما هذا البرنس؟ قال: أختطف به قلوب بني آدم. فقال له موسى: فأخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه؟ فقال: إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه. وعنه عليه السلام[3] قال: قال الله تعالى لداود عليه السلام[4]: يا داود بشر المذنبين أني أقبل التوبة وأعفو عن الذنب وأنذر الصديقين أن لا يعجبوا بأعمالهم، فإنه ليس عبد أنصبه للحساب إلا هلك[5].

---

(١) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٣١٤، كتاب الإيمان والكفر، باب العجب/ ٦.

(٢) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٣) أي: "الإمام الصادق عليه السلام" والحديث متصل مع ما قبله.

(٤) نبي الله داود عليه السلام: هو داود بن يسى، وقيل: إيشا بن عوبيد بن بوعز، وقيل: عامر، وقيل: ياعز بن سلمون بن أحشون، وقيل: نحشون بن عمينا داب، وقيل: عويناداب، من سلالة إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام، ومعنى داود بالعبرية: الحبيب. ولد في بيت لحم بفلسطين حوالي عام ١٠٣٣ قبل ميلاد المسيح عليه السلام، وقيل: قبل الميلاد بـ ١٠٧١ سنة، وقيل: ١٠٨٦ سنة قبل الميلاد. ولم يزل متصدرا للنبوة والملوكية في بني إسرائيل أربعين سنة حتى توفي فجأة في أورشليم يوم السبت، وقيل: يوم الأربعاء، حدود عام ٩٦٢، وقيل: عام ١٠١٥ قبل ميلاد المسيح عليه السلام، بعد أن عمر ١٠٠ سنة، وقيل: ٧٧ سنة، وقيل: ٧١ سنة، وقيل: ٨٠ سنة، وقيل: ١٢٠ سنة، فدفنوه في مدينة داود على جبل صهيون بفلسطين.

أعلام القرآن، عبد الحسين الشبستري: ٣٦١ ـ ٣٦٤، نبي الله داود عليه السلام.

(٥) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٣١٤، كتاب الإيمان والكفر، باب العجب/ ح٨.

وقال الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة: العجب كل العجب ممن يعجب بعمله وهو لا يدري بم يختم له، فمن أعجب بنفسه وفعله فقد ضل عن نهج الرشاد وادعى ما ليس له، والمدعي من غير حق كاذب وإن خفيت دعواه وطال دهره، فإنه أول ما يفعل بالمعجب نزع ما أعجب به ليعلم أنه عاجز فقير، ويشهد على نفسه لتكون الحجة عليه أوكد ـ كما فعل بإبليس.

والعجب نبات حبها الكفر وأرضها النفاق وماؤها البغي وأغصانها الجهل وورقها الضلالة وثمرها اللعنة والخلود في النار، فمن اختار العجب فقد بذر الكفر وزرع النفاق، ولابد من أن يثمر[1].

الفصل الثالث: في علاج العجب إجمالا

فحيث كانت علة العجب الجهل المحض فالعلاج هو العلم والمعرفة المضادة لذلك الجهل، فليفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادات، فإن العجب بها أبلغ من العجب بالجمال والقوة والنسب مما لا يدخل تحت الاختيار، فيقال له الورع والتقوى والعبادة.

والعمل الذي به يعجب إما أن يكون يعجب به من حيث إنه فيه وهو محله ومجراه، أو من حيث إنه منه وبسببه وقدرته وقوته، فإن كان الأول فهو جهل، لأن المحل مستخر وإنما يجري فيه وعليه من جهة غيره، وهو لا مدخل له في الإيجاد والتحصيل، فكيف يعجب بما ليس إليه. وإن كان الثاني فينبغي أن يتأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التي بها يتم عمله أنها من أين كانت له، فإن كان علم أن جميع ذلك نعمة من الله إليه من غير حق سبق له فينبغي أن يكون إعجابه بجود الله تعالى وكرمه وفضله، إذ تفضّل عليه بما لا يستحقه.

---

(١) أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ٨١، الباب السادس والثلاثون في العجب.

وإن قال: وفقني للعبادة لحبي له، فيقال له: ومن خلق الحب في قلبك؟ فسيقول: هو، فيقال له: فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك، إذ لا وسيلة لك ولا علاقة، فيكون الإعجاب بجوده تعالى إذ أنعم بوجودك ووجود صفاتك وأعمالك وأسباب أعمالك، فلا معنى لعجب العالم بعلمه والعابد بعبادته والجميل بجماله والغني بغنائه، لأن كل ذلك من فضل الله.

ومن العجائب أن تعجب بنفسك ولا تعجب بمن إليه الأمر كله وبجوده وفضله وكرمه وإنعامه[1].

الفصل الرابع: في أقسام العجب وتفصيل علاجه

إعلم أن الإنسان قد يعجب بالأسباب التي بها يتكبر وعلاجه ما يأتي في التكبر، وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأي الخطأ الذي تزين له بجهله وفي ما به العجب ثمانية أقسام:

الأول: أن يعجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب أشكاله وحسن صورته، وعلاجه التفكر في أقذار باطنه وفي أول أمره وما إليه يكون، وفي الوجوه الجميلة والأبدان الناعمة كيف تمزقت في التراب واستقذرها طباع أولي الألباب.

الثاني: القوة والبطش، كما حكى الله عن قوم قالوا ﴿**مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً**﴾[2] وعلاجه أن يعلم أن حمى يوم تضعف قوته، وأن البقة والذباب والشوكة تعجزه.

(١) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٩٩ ـ ١٠٠، الباب الرابع في الرياء والكبر والعجب وعلاجهم، الفصل التاسع علاج العجب. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦، كتاب ذم الكبر والعجب، بيان آفة العجب.

(٢) سورة فصلت/ ١٥.

الثالث: العجب بالعقل والفطنة لدقائق الأمور من مصالح الدين والدنيا وعلاجه أن يشكر الله على ما رزقه من العقل ويتفكر أنه بأدنى مرض يصيب دماغه كيف يختل عقله بحيث يصير مضحكة للناس.

الرابع: العجب بالنسب الشريف كالهاشمي، وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آباءه في أفعالهم وأخلاقهم وظن أنه لحق بهم قد جهل[1]، ويحق أن يقال له:

لئن فخرت بآباء ذوي نسب[2] لقد صدقت ولكن بئسما ولدوا[3][4]

---

(١) في تفسير عليّ بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام: إن صفيّة بنت عبد المطّلب مات ابن لها. فأقبلت. فقال لها عمر: غطّي قرطك! فإنّ قرابتك من رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) لا تنفعك شيئا. فقالت له: هل رأيت لي قرطا يا بن اللّخناء!؟ ثمّ دخلت على رسول اللّه صلى الله عليه وآله. فأخبرته بذلك و بكت. فخرج رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) فنادى: الصّلاة جامعة! فاجتمع النّاس. فقال: ما بال أقوام يزعمون أنّ قرابتي لا تنفع!؟ لو قد قمت المقام المحمود، لشفعت في أحوجكم.

والحديث طويل. أخذت منه موضع الحاجة.

تفسير القمي، القمي: ١/ ١٨٨، تفسير سورة المائدة، أقسام الصوم.

و في مجمع البيان: و قال (صلى الله عليه وآله): كلّ حسب ونسب منقطع، إلاّ حسبي ونسبي.

مجمع البيان، الطبرسي: ٧/ ٢١١، تفسير سورة المؤمنون.

ونشير ههنا بإيجاز أننا أوضحنا منابع المؤلف السيد عبد الله شبر (قدس سره) في كتابه هذا عن الفيض الكاشاني من مصنفاته، وهذا الأخير قد اعتمد بالأخذ على الغزالي وقد حدث مزج وخلط بين عقائد المدرستين حين النسخ دون الإشارة إلى ذلك، فأوجزنا الإشارة لعدم الإطالة.

(٢) في البيت النص: "ذوي حسب".

(٣) البيت لابن الرومي.

(٤) ديوان ابن الرومي، ابن الرومي: ٢/ ٣٠٥، حرف الدال/ الرقم ٦٦٠.

الخامس: العجب بنسب السلاطين والظلمة وأعوانهم دون نسب العلم والدين، وعلاجه أن يتفكر في مخازيهم ومساوئهم وأنه ممقوتون عند الله وقد استحقوا النار وبئس القرار.

السادس: العجب بكثرة العدد من الخدم والغلمان والولد والأقارب والعشائر والأنصار، كما قال الكافرون: ﴿**نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالاً وَأَوْلاداً**﴾[1] والعلاج أن يتفكر في ضعفه وضعفهم، وأنهم كلهم عبيد وعجزة ﴿**لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلا ضَرًّا**﴾[2]، ﴿**وَلا مَوْتًا وَلا حَياةً وَلا نُشُورًا**﴾[3] و﴿**كَم مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ**﴾[4]، وكيف يعجب بهم وسيدفن في قبره بعد نزول هادم اللذات ذليلاً مهيناً لا ينفعه ولد ولا أهل ولا صاحب ولا حميم، ويهربون منه ﴿**يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۞ وَصاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۞ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**﴾[5].

السابع: العجب بالمال، كما قال من قال: ﴿**أَنا أَكْثَرُ مِنكَ مالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾[6] وعلاجه التفكر في آفات المال وغوائله وأنه غادٍ ورائح لا أصل له.

وما المال والأهلون إلا وديعة ... ولابد يوماً أن ترد الودائع[7]

---

(١) سورة سبأ / ٣٥.

(٢) سورة الرعد/ ١٦.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَياةً وَلا نُشُوراً﴾ سورة الفرقان/٣.

(٤) سورة البقرة/ ٢٤٩.

(٥) سورة عبس/ ٣٤ ـ ٣٧.

(٦) سورة الكهف/ ٣٤.

(٧) البيت للشاعر: لبيد بن ربيعة العامري، المتوفى ٤١ هـ، أحد أصحاب المعلقات.

←

وإلى أن في اليهود والكفار من هو أكثر منه مالاً، فينبغي أن يكونوا أحسن منه.

الثامن: العجب بالرأي الخطأ[1]، كما قال تعالى: ﴿**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾[3] وعلاجه أن يكون متهماً لرأيه أبداً لا يغتر به إلا أن يشهد له قاطع من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وعرض ذلك على العلماء والعرفاء والصلحاء الماهرين[4].

ديوان لبيد بن ربيعة، لبيد بن ربيعة: ٥٦، البيت ضمن قصيدة يرثي فيها أربدا أخاه.

(١) أنظر: أسرار الصلاة، الشهيد الثاني: ١٨٠ ــ ١٨٢. جامع السعادات، النراقي: ١/ ٣٧١ ــ ٣٧٧، علاج العجب إجمالا وتفصيلا. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ٣٢٩ ـ ٣٣٢، كتاب ذم الكبر والعجب، بيان أقسام ما به العجب و تفصيل علاجه.

(٢) سورة فاطر/ ٨.

(٣) سورة الكهف/ ١٠٤.

(٤) مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَعْفُورٍ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ أَبِي الْعَلاءِ أَنَّهُ حَضَرَ ابْنَ أَبِي يَعْفُورٍ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ اخْتِلافِ الْحَدِيثِ، يَرْوِيهِ مَنْ نَثِقُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لا نَثِقُ بِهِ، قَالَ: إِذَا وَرَدَ عَلَيْكُمْ حَدِيثٌ فَوَجَدْتُمْ لَهُ شَاهِداً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِلاّ فَالَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ أَوْلَى بِهِ.

الكافي، الكليني: ١/ ٦٩، كتاب فضل العلم، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب/ح٢.



الباب التاسع

التكبر



في التكبر

وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه، وهو من نتائج العجب وبذلك يفترق عنه، فإن العجب لا يستدعي معجباً عليه والتكبر يستدعي متكبراً عليه[1]، والكلام فيه في فصول:

الفصل الأول: في ما ورد في ذمه

قال الله تعالى: ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى قَلْبِ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ جَبّارٍ**﴾[3] وقال تعالى: ﴿**وَاسْتَفْتَحُواْ وَخابَ كُلُّ جَبّارٍ عَنِيدٍ**﴾[4] وقال تعالى: «**إن الله لا يحب المتكبرين**»[5].

---

(١) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ٣٠٣، كتاب ذم الكبر والعجب، بيان حقيقة الكبر وآفته.

(٢) سورة الأعراف/ ١٤٦.

(٣) سورة غافر/ ٣٥. ونصها: ﴿كَذلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّارٍ﴾.

(٤) سورة إبراهيم/ ١٥.

(٥) لا توجد آية بهذا النص، وهذا النص ورد ضمن حديث في الأمالي للشيخ الطوسي: ٦٧٣، المجلس ٣٦/ ذيل ح٢٦.

وقال رسول الله ﷺ: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر، ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال حبة من إيمان[1].

وقال ﷺ يقول الله تعالى: «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً[2] منهما ألقيته في جهنم**»[3].

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام قال: الكبر رداء الله، والمتكبر ينازع الله رداءه[4].

وعنه عليه السلام[5]: العز رداء الله، والكبر رداؤه فمن تناول شيئاً منهما أكبه الله في جهنم[6].

وعنه[7] عن الصادق عليه السلام قال: لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر[8].

وعن محمد بن مسلم[9] عن أحدهما[10] قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر. قال: فاسترجعت. فقال: ما لك تسترجع؟ قلت: لما سمعت منك. فقال: ليس حيث تذهب، إنما أعني الجحود، إنما هو الجحود[11].

---

(١) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١٩٨، بيان ذم الكبر.

(٢) في مجموعة ورام: "في واحد".

(٣) مجموعة ورام، ورام ابن أبي فراس: ١/ ١٩٨، بيان ذم الكبر.

(٤) الكافي، الكليني: ٢/ ٣٠٩: كتاب الإيمان والكفر، باب الكبر/ ح٤.

(٥) أي: «الإمام الباقر عليه السلام».

(٦) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق: ٢٢١، كتاب عقاب الأعمال، عقاب المتكبر. وفيه النص: «العز رداء الله والكبرياء إزاره فمن تناول شيئا منه أكبه الله في جهنم».

(٧) في الكافي: "عن زرارة عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام".

(٨) الكافي، الكليني: ٢/ ٣١٠، كتاب الإيمان والكفر، باب الكبر/ ح٦.

(٩) هو: محمد بن مسلم بن رباح أبو جعفر الأوقص الطحان، مولى ثقيف الأعور. وجه أصحابنا بالكوفة، فقيه، ورع، صحب أبا جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام، وروى عنهما، وكان من أوثق الناس. رجال النجاشي، النجاشي: ٣٢٣ ـ ٣٢٤، محمد بن مسلم بن رباح/ الرقم ٨٨٢.

(١٠) أي: "الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام".

(١١) الكافي، الكليني: ٢/ ٣١٠، كتاب الإيمان والكفر، باب الكبر/ ح٧.

وعن الصادق عليه السلام قال: الكبر أن تغمص الناس وتسفه الحق[1].

وعنه عليه السلام[2] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أعظم الكبر غمص[3] الخلق وسفه الحق. قال: قلت ما غمص الخلق وسفه الحق؟ قال: يجهل الحق ويطعن على أهله، فمن فعل ذلك فقد نازع الله[4] رداءه[5].

وعنه عليه السلام[6] قال: إن في جهنم لوادياً للمتكبرين يقال له (سفرّ)[7] شكا إلى الله[8] شدة حره وسأله أن يأذن له أن يتنفس، فتنفس فأحرق جهنم[9].

---

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٦/ ٦، كتاب الجهاد، باب ٦٠ حد التكبر والتجبر المحرمين/ ح٢.

(٢) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٣) غمص: غمصه وغمصه يغمصه غمصا واغتمصه: حقره واستصغره ولم يره شيئا. قال أبو عبيدة وغيره: غمص فلان الناس وغمطهم وهو الاحتقار لهم والازدراء بهم. اغتمصت فلانا اغتماص: احتقرته. وغمص عليه قولا قاله: عابه عليه. ورجل غمص على النسب: عياب. لسان العرب، ابن منظور: ٧/ ٦١، فصل الغين المعجمة، مادة "غمص".

(٤) في منية المريد: "الله عزّوجل".

(٥) منية المريد، الشهيد الثاني: ٣٣٠، الباب الثالث في المناظرة وشروطها وآدابها وآفاتها، الفصل الثاني في آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق.

(٦) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٧) في الكافي: "سقر".

سقر بالتحريك: واد في جهنم شديد الحر سأل الله أن يتنفس فتنفس فأحرق جهنم، فهو من أسماء النار.

مجمع البحرين، الطريحي: ٢/ ٣٨٥، مادة "سقر".

(٨) في الكافي: "الله عزّوجل".

(٩) الكافي، الكليني: ٢/ ٣١٠، كتاب الإيمان والكفر، باب الكبر/ ح١٠.

وعنه عليه السلام[1] قال: إن المتكبرين يجعلون في صور الذر يتواطؤهم[2] الناس حتى يفرغ الله من الحساب[3].

وعن عمر بن يزيد[4] قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنني آكل[5] الطعام الطيب وأشم الرائحة الطيبة وأركب الدابة الفارهة ويتبعني الغلام، فترى في هذا شيئاً من التجبر فلا أفعله؟ فأطرق أبو عبد الله عليه السلام ثم قال: إنما الجبار الملعون من غمص الناس وجهل الحق. قال: فقلت له[6]: أما الحق فلا أجهله والغمص لا أدري ما هو. قال: من حقر الناس وتجبر عليهم فذلك الجبار[7].

وعنه عليه السلام[8] قال: ما من أحد يتيه إلا من ذلة يجدها في نفسه[9]. وفي رواية أخرى: ما من أحد[10] تكبر أو تجبر إلا لذلة وجدها في نفسه[11].

---

(١) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٢) في الوسائل: "تتوطؤهم".

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٥/ ٣٧٥، كتاب الجهاد، باب ٥٨ تحريم التكبر/ ح٧.

(٤) الظاهر من كلام الكشي والطوسي عنه، وكلام النجاشي عن ابنه، أنه عمر بن يزيد بياع السابري: وهو مولى ثقيف، ثقة له كتاب.
رجال الكشي، الكشي: ٣٣١، ما روي في عمر بن يزيد بياع السابري مولى ثقيف/الرقم٦٠٥.
رجال النجاشي، النجاشي: ٣٦٤، محمد بن عمر بن يزيد بياع السابري/ الرقم ٩٨١.
رجال الطوسي، الطوسي: ٣٣٩، باب العين، عمر بن يزيد بياع السابري/الرقم٧.

(٥) في منية المريد: "إني آكل".

(٦) في منية المريد: "قال عمر فقلت".

(٧) منية المريد، الشهيد الثاني: ٣٣٠، الباب الثالث في المناظرة وشروطها وآدابها وآفاتها، الفصل الثاني في آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق.

(٨) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٩) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٥/ ٣٨٠، كتاب الجهاد، باب ٥٩ تحريم التجبر والتيه والاختيال/ ح٢.

(١٠) في الكافي: "رجل" بدل "أحد".

(١١) الكافي، الكليني: ٢/ ٣١٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الكبر/ ذيل حديث ١٧.

وقال النبي ﷺ: لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطراً[1].

وقال ﷺ: ما زاد الله عبداً يعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله[2].

وعنه ﷺ: إنه ليعجبني أن يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لأهله[3] يدفع به الكبر عن نفسه[4].

وعنه ﷺ أنه قال لأصحابه: ما لي لا أرى عليكم حلاوة العبادة. قالوا: وما حلاوة العبادة؟ قال: التواضع[5].

وعنه ﷺ قال: إذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم، وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم، فإن ذلك لهم مذلة وصغار[6].

وعن الكاظم[7] عليه السلام قال: التواضع أن تعطي الناس ما تحب أن تعطاه[8].

الفصل الثاني: في أقسام التكبر

للتكبر أقسام تنطبق عليه الأخبار السابقة، لأنه تارة يكون على الحق، كما

(١) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١٩٩، بيان ذم الكبر.

(٢) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ٢٠٠، بيان فضيلة التواضع.

(٣) في مجموعة ورام: "يكون مهنئا لأهله".

(٤) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ٢٠١، بيان فضيلة التواضع.

(٥) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ٢٠١، بيان فضيلة التواضع. المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٦/ ٢٢٢، كتاب ذم الكبر والعجب، بيان فضيلة التواضع.

(٦) المصدر السابق.

(٧) في الكافي: "عن أبي الحسن الرضا عليه السلام".

(٨) الكافي، الكليني: ٢/ ١٢٤، كتاب الإيمان والكفر، باب التواضع/ ح١٣.

كان لنمرود[١]، فإنه كان يحدث نفسه بأن يقاتل رب السماء، وكما كان لمن يدعي الربوبية مثل فرعون حيث قال: ﴿أَنا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[٢]، إذ تكبر عن العبودية لله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾[٣]. ومن هذا القسم التكبر عن الدعاء والتضرع إلى الله تعالى.

وقد يكون على الخلق: إما على الأنبياء والرسل والأئمة من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس، كما حكي الله عن قوم قالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا﴾[٤]، ﴿وإِنْ أَنتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا﴾[٥]، ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخاسِرُونَ﴾[٦]، وكما تكبر أئمة الجور عن الانقياد والإطاعة لأئمة الحق.

وإما أن يكون سائر الناس، بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره، فإذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله واشمأز[٧] وجحده. ومن استعظم

---

(١) نمرود: وقيل: نمروذ بن كنعان بن حام ابن نبي الله نوح عليه السلام، وقيل: نمرود بن كنعان بن سنحاريب بن نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، وقيل: هو نمرود بن كوش، وقيل: هو نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام ابن نبي الله نوح عليه السلام. أحد ملوك الكلدان في بابل، وبعد أن ملك ٦٧ سنة، وقيل: ٤٠٠ سنة، وقيل: ١٧٠٠ سنة، دخلت بعوضة في أنفه فعذب بها ٤٠ سنة، ثم هلك ببابل ودفن بها، وهناك ربوة بالقرب من بابل تعرف بقبر نمرود.
أعلام القرآن، عبد الحسين الشبستري: ٩٨٦ ـ ٩٨٧، نمرود.

(٢) سورة النازعات/ ٢٤.

(٣) سورة غافر/ ٦٠.

(٤) سورة المؤمنون/ ٤٧.

(٥) سورة إبراهيم/ ١٠. ونصها: ﴿ ... قالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا ...﴾.

(٦) سورة المؤمنون/ ٣٤.

(٧) الشمز: نفور النفس من الشيء تكرهه. وقال قتادة: اشمأزت: استكبرت وكفرت ونفرت.
لسان العرب، ابن منظور: ٥/ ٣٦٢، مادة "شمز".

نفسه فقد اعتقد لها صفة من صفات الكمال، وذلك يرجع إلى كمال ديني أو دنيوي، والديني هو العلم والعمل، والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار[1].

فإن كان تكبره بالعلم فعلاجه التفكر في أنّ العلم قد دله على أن الكبر لا يليق إلا بالله تعالى، وأنه إذا تكبر صار ممقوتاً عند الله تعالى، وقد أحب الله منه أن يتواضع، فلابد أن يكلف نفسه ما يحبه مولاه، وليعلم أن حجة الله على أهل العلم أوكد. وقال الصادق عليه السلام[2]: يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد[3]. فإن رأى أعلم منه فلا معنى للتكبر عليه، وإن رأى مساويه فكذلك، وإن رأى أدون منه فليعلم أن الحجة عليه أتم، وأن المدار على الخاتمة.

وكذلك الكلام في العمل، فإذا رأى أنه أصلح وأورع وأتقى من غيره تيقّن أن المدار ليس على الأعمال بل على الخاتمة، فيقول: لعل هذا ينجو وأهلك أنا، ولعل لهذا خلق كريم في ما بينه وبين الله أستحق به النجاة وأنا بالعكس. ومن جوز أن يكون عند الله شقياً فهو في شغل شاغل عن التكبر.

ومن لم ينظر بعين الرضا إلى أعماله ويعتقد أن الله لو عامله بالعدل لاستحق العقاب على حسناته بزعمه فضلاً عن سيئاته، فما له سبيل إلى التكبر، كما قال سيد العابدين[4]: إلهي من كانت محاسنه مساوئ كيف لا تكون مساوئه مساوئ[5].

---

(١) أنظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٧٠/ ١٩٦، كتاب الإيمان والكفر، باب ١٣٠الكبر.

(٢) في الكافي: "عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال: يا حفص".

(٣) الكافي، الكليني: ١/٤٧، كتاب فضل العلم، باب لزوم الحجة على العالم وتشديد الأمر عليه/ ح١.

(٤) في الإقبال: "القول للإمام الحسين عليه السلام وليس للإمام سيد العابدين عليه السلام".

(٥) إقبال الأعمال، ابن طاووس: ٣٤٨، مبدأ ذكر الأعمال للأشهر الثلاثة، الباب الثالث فيما ←

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[1] أي يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها.

وإن كان تكبره بالنسب فهو تكبر بكمال غيره، ولو كان المنتسب إليه حياً لكان له أن يقول: الفضل لي وإنما أنت دودة خلقت من فضل فضلتي.

وليعلم نسبه الحقيقي، فإن أباه القريب نطفة قذرة، وجده البعيد تراب ذليل[2]. وجعل بدء خلق الإنسان من طين. ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ﴾[3].

وإن كان كبره بالجمال فعلاجه النظر إلى باطنه بعقله وفكره ليرى من الفضائح ما يكدر عليه التعزز بجماله، فإن الأقذار في جميع أجزائه والرجيع في أمعائه والبول في مثانته والمخاط في أنفه والبصاق في فيه والوسخ في أذنه والدم في عروقه والصديد[4] تحت بشرته والصنان[5] تحت إبطه يغسل الغائط كل يوم دفعة أو دفعتين بيده ويتردد إلى الخلاء كل يوم مرة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلاً أن يمسه أو يشمه.

يختص بفوائد من شهر ذي الحجة، فصل فيما نذكره من أدعية يوم عرفة. وفي نص الجملة: «إلهي من كانت محاسنه مساوي فكيف لا يكون مساويه مساوي».

(١) سورة المؤمنون/ ٦٠.

(٢) أنظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٧٠/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧، كتاب الإيمان والكفر، باب ١٣٠ الكبر.

(٣) سورة السجدة/ ٨.

(٤) الصديد القيح الذي كأنه ماء وفيه شكلة. وقد أصد الجرح وصدد، أي صار فيه المدة. الصديد: ما يسيل الدم المختلط بالقيح في الجرح.
لسان العرب، ابن منظور: ٣/ ٢٤٦، مادة "صدد".

(٥) الصنان: رائحة معاطن الجسد إذا تغيرت، وهي من أصن اللحم إذا أنتن. والصنان زفر الإبط.
مجمع البحرين، الطريحي: ٢/ ٦٤٠، مادة "صنن".

وفي أول أمره خلق من الأقذار الشنيعة وتصور من النطفة وتغذى من دم الحيض وخرج من مجرى البول إلى الرحم مفيض دم الحيض ثم مجرى القذر. ولو ترك نفسه في حياته يوماً لم يتعهده بالتنظيف والغسل لثارت منه الأنتان والأقذار، وسيموت فيصير جيفة أقذر من سائر الأقذار.

وإن كان تكبره بالقوة فعلاجه التفكر في ما سلط عليه من العلل والأمراض وأنه لو توجع عرق واحد من بدنه لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل، وأنه لو سلبه الذباب شيئاً لم يستنقذه منه، ولو دخلت بقة في أنفه أو نملة في أذنه لقتلته، ولو دخلت شوكة في رجله لأعجزته، وأن حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة. ثم إن اشتدت قوته فلا تزيد على قوة الحمار والفيل والجمل والبقر، وأي افتخار في صفة تشركه البهائم فيها.

وأما التكبر بالغنى وكثرة المال والأتباع فذلك تكبر بمعنى خارج من ذات الإنسان لا كالجمال والقوة والعمل، وهذا أقبح أنواع التكبر، فأف لشرف تسبقه اليهود والنصارى وسائر الكفار، وتف لشرف يأخذه السارق والسلطان.

هذا كله مضافاً إلى ما سلط عليه من الأمراض العظيمة والأسقام الجسيمة والآفات المختلفة والطبائع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم، ليهدم البعض من أجزائه البعض، شاء أم أبى، رضي أم سخط، فيجوع كرهاً ويعطش كرهاً ويمرض كرهاً ويموت كرهاً، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً[1] ولا خيراً ولا شراً، يريد أن يعلم الشيء فيجهله ويريد أن يذكر الشيء فينساه ويريد أن ينسى الشيء ويغفل عنه فلا ينساه، ويريد أن ينصرف قلبه إلى ما يهمه فيجول في غيره فلا يملك قلبه ولا نفسه، يشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء وتكون حياته

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأعراف/ الآية: ١٨٨، ونصها: ﴿ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً﴾.

فيه، يستلذ الأطعمة فتهلكه وترديه، ويستبشع الأدوية وهي تنفعه وتحييه، لا يأمن في لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته، وتفلج[1] أعضاؤه ويختلس[2] عقله وتختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه، وهو مضطر ذليل، إن ترك لم يبق وإن اختطف يفنى، عبد مملوك لا يقدر على شيء.

فأين هو من التكبر والتجبر وهذا حاله بالفعل، وقد كان نطفة قذرة وسيكون جيفة منتنة يستقذره كل إنسان ويعود إلى ما كان، وليته ترك تراباً، بل يحيا ويعاد ليقاسي الشدائد والآلام، ويحاسب ويعاقب على ما سلف من الأيام، ويخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقة، ويخرج إلى أهوال القيامة فينظر إلى قيامة قائمة وسماء ممزقة مشققة وأرض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجحيم تزفر وجنة ينظر إليها المجرم فيتحسر، ويرى صحائف منشورة كتب فيها ما نطق به وعمل من قليل وكثير ونقير[3] وقطمير[4]، وقد أشار الله تعالى إلى مبدأ أمر الإنسان ومنتهاه وأواسط أحواله بقوله: ﴿**قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۞ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۞ مِن نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۞ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۞ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ**﴾[5].

---

(١) الفلج في الرجلين: تباعد ما بين القدمين آخرا. الأفلج: الذي في يديه اعوجاج.
كتاب العين، الفراهيدي: ٦/ ١٢٧ ـ ١٢٨، مادة "فلج".

(٢) خلس الشيء من باب ضرب، واختلسه وتخلسه، أي: استلبه، والاسم الخلسة بالضم.
مختار الصحاح، الرازي: ١٠٣، مادة "خلس".

(٣) تمت ترجمته سابقا.

(٤) قيل هي الجلدة الرقيقة على ظهر النواة تنبت منها النخلة.
مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٥٢٧، مادة "قطمر".

(٥) سورة عبس/ ١٧ ـ ٢١.

هذا كله العلاج العلمي وأما العملي فهو التواضع بالفعل لله تعالى ولسائر الخلق بالمواظبة على أفعال المتواضعين[1] وأخلاقهم، فقد روي عن النبي ﷺ أنه[2] كان يأكل على الأرض ويقول: إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد[3].

وقيل لسلمان[4]: لِمَ لا تلبس ثوباً جديداً؟ فقال: إنما أنا عبد فإذا أعتقت يوماً لبست. أشار به إلى العتق في الآخرة[5].

ولا يتم التواضع ـ بعد المعرفة ـ إلا بالعمل، ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالإيمان والصلاة معاً. وفي الصلاة أسرار لأجلها كانت عمود الدين[6]، ومن جملة أسرارها المثول قائماً وراكعاً وساجداً، وقد كانت العرب قديماً يأنفون من الانحناء، فكان ربما يسقط من يد أحد سوطه فلا ينحني لأخذه، وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لإصلاحه[7]، فلذلك أمروا بالركوع والسجود[8].

---

(١) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٩١ ـ ٩٥، الباب الرابع في الرياء والكبر و العجب وعلاجهما.

(٢) في مجموعة ورام: "حتى إن رسول الله ﷺ كان يأكل ... الخبر".

(٣) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/٢٠٨، بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع.

(٤) سلمان الفارسي: مولى رسول الله ﷺ، يكنى أبا عبد الله، أول الأركان الأربعة، حاله عظيم جدا مشكور، لم يرتد.

رجال العلامة، العلامة الحلي: ٨٤، الباب العاشر في الآحاد/ الرقم١.

(٥) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ٢٠٨، بيان الطريق ومعالجة الكبر واكتساب التواضع.

(٦) عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، قال: الصلاة عمود الدين مثلها كمثل عمود الفسطاط إذا ثبت العمود يثبت الأوتاد والأطناب وإذا مال العمود وانكسر لم يثبت وتد ولا طنب.

المحاسن، البرقي: ١/ ٤٤ ـ ٤٥، كتاب ثواب الأعمال، ثواب الصلاة/ ح٦٠.

(٧) أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ٢٠٨، بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع.

(٨) أنظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٧٠/ ٢٢٧، كتاب الإيمان والكفر، باب ١٣٠ الكبر.

الفصل الثالث: في الميزان والمعيار الذي يعرف به الإنسان نفسه هل هو متواضع أو متكبر

وإلا فقد يزعم الإنسان أنه متواضع وليس فيه كبر مع أنه متكبر عند الله وقد ضل سعيه، والامتحانات لذلك في الموازين، وهي خمسة:

الأول: أن يناظر في مسألة مع واحد من أقرانه، فإن ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه فذلك يدل على أن فيه كبراً وترفعاً، فليتق الله وليشتغل بعلاجه بالعلم بخبث نفسه وخطر عاقبته، والعمل بأن يكلف نفسه ما يثقل عليه من الاعتراف بالحق وإطلاق اللسان بالحمد والثناء، ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة.

الثاني: أن يجتمع مع الأقران والأمثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويجلس في الصدر تحتهم، فإن ثقل ذلك عليه فهو متكبر، فليواظب عليه تكلفاً حتى يسقط عنه ثقله، وههنا للشيطان مكيدة، وهي أن يجلس في صف النعال أو يجعل بينه وبين الأقران بعض الأرذال، فيظن أن ذلك تواضع وهو عين الكبر، فإن ذلك يخف على نفوس المتكبرين، إذ يوهمون أنهم إنما تركوا مكانهم بالاستحقار والتفضيل، فيكون قد تكبر وتكبر بإظهار التواضع أيضاً.

الثالث: أن يجيب دعوة الفقير ويمر إلى السوق في حاجة الرفقاء والأقارب، فإن ثقل ذلك عليه فهو كبر.

الرابع: أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورفقائه من السوق إلى البيت، فإن أبت نفسه ذلك فهو كبر ورياء.

الخامس: أن لا يبالي بلبس الثياب البذلة، فإن نفور النفس من ذلك في الملأ رياء وفي الخلوة كبر. وفي هذه الثلاثة يشترط الاعتياد في الأزمنة والأمكنة والأشخاص.

واعلم أن المحمود من التواضع أن يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس[1] فإن كلا الطرفين مذموم و«خير الأمور أوسطها»[2]، فمن تقدم على أمثاله فهو متكبر ومن تأخر عنهم فهو متواضع ، وأما إذا تواضع العالم للإسكاف[3] وأجلسه مكانه وسوى نعله فهو ملق[4] وتذلل و تخاسس[5].

---

(١) الخسيس: الدنيء.

الصحاح، الجوهري: ٣/ ٩٢٢، مادة "خسس".

شيء خسيس وخساس ومخسوس: تافه.

لسان العرب، ابن منظور: ٦/ ٦٤، مادة "خسس".

(٢) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور: ١/ ٢٩٦، الفصل العاشر في أحاديث تتضمن شيئا من الآداب الدينية / ح١٩٩.

(٣) الإسكاف: كل صانع سوى الخفاف فإنه الأسكف، أو الإسكاف: النجار، وكل صانع بحديدة.

القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ٣/ ١٥٣، فصل السين.

(٤) الملق: الود واللطف الشديد.

ورجل ملق: يعطي بلسانه ما ليس في قلبه.

الصحاح، الجوهري: ٤ / ١٥٥٦، مادة " ملق".

(٥) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٦/ ٢١١ ــ ٢٧٢. كتاب ذم الكبر والعجب. جامع السعادات، النراقي: ١/ ٣٧٩ ـ ٣٩٣، الكبر. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ٣٠٣ ـ ٣٢٥، كتاب ذم الكبر والعجب.



الباب العاشر

الدنيا والآخرة



في الدنيا والآخرة

وفيه فصول

الفصل الأول: في معرفة الدنيا والآخرة

إعلم أن معرفة الدنيا والآخرة صعب شديد قد تحيّر فيه الفحول وتاه فيه أولو العقول: زعم قوم أن الدنيا عبارة عن المال، والحال أنه قد ورد مدحه في الكتاب والسنة كثيراً، وقال ﷺ: نعم العون على طاعة[1] الله المال[2].

وزعم قوم أن الدنيا هي الحياة الدنيا، مع أنه بها يتوصل إلى السعادات الأبدية ويتخلص من الشقاوة السرمدية[3]، وقد قال ﷺ: نعم العون على الآخرة الدنيا[4].

---

(١) في الكنز: "تقوى" بدل "طاعة".

(٢) كنز العمال، المتقي الهندي: ٣/ ٢٣٩، في فوائد المال والدنيا المحمودة/ ح٦٣٤٢.

(٣) السرمد: الدائم الذي لا ينقطع.

لسان العرب، ابن منظور: ٣/ ٢١٢، مادة "سرمد".

(٤) الكافي، الكليني: ٥/ ٧٢، كتاب المعيشة، باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة/ ح٩.

وزعم آخرون أن الدنيا المذمومة عبارة عن المآكل اللذيذة والمطاعم الجيدة والثياب الفاخرة والديار العامرة والخدم والحشم والأصحاب والأعوان مع أن بعض الأنبياء والأولياء كانوا كذلك ـ كيوسف وسليمان ـ.

والتحقيق أن من كان مشغولاً بالعلم والعبادة والحج والجهاد والصدقات وأداء الزكوات وقضاء الحوائج وزيارة الإخوان وعيادة المرضى وتشييع الجنائز وحضور الجمعة والجماعة والمواظبة على النوافل وسائر الطاعات قد يكون في بحبحة[1] الدنيا، ويصدق عليه أنه طالب الدنيا وأنه ملعون وأعماله ملعونة مردودة غير مقبولة، حيث لم يقصد بها وجه الله تعالى، ورب رجل كثير المال والخدم والحشم حسن المطعم والمشرب جيد الزي والملبس ذي ديار وسيعة وعمارات عالية ونساء جميلة ومراكب حسنة و﴿**سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۞ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ۞ وَنَمَارِقُ**[2] **مَصْفُوفَةٌ ۞ وَزَرَابِيُّ**[3] **مَبْثُوثَةٌ**[4]﴾[5]، وهو من أهل الآخرة وأعماله مقبولة وسعيه مشكور، حيث قصد بجميع ذلك التوصل إلى رضاء الله تعالى.

---

(١) بحبوحة الدار: وسطها.
يقال: تبحبح، إذا تمكن وتوسط المنزل والمقام.
النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ١/ ٩٩، باب الباء مع الحاء.

(٢) الفراء في قوله تعالى: "ونمارق مصفوفة" سورة الغاشية/ ١٥.
هي: الوسائد، واحدتها: نمرقة، قال: وسمعت بعض كلب يقول: نمرقة، بالكسر.
وفي الحديث: اشتريت نمرقة، أي: وسادة، وهي بضم النون والراء وبكسرهما وبغير هاء، وجمعها: نمارق.
لسان العرب، ابن منظور: ١٠/ ٣٦١، مادة "نمرق".

(٣) قال الفراء: الزرابي: الطنافس. وقال أبو عبيدة، هي: البسط.
غريب الحديث، ابن قتيبة: ٢/ ١٧١.

(٤) مبثوثة: مفرقة في مجالسهم بكثرة.
مجمع البحرين، الطريحي: ٢/ ٢٧٣، مادة "زرب".

(٥) سورة الغاشية/ ١٣ ـ ١٦.

فحينئذ الدنيا عبارة عن كل شيء يوجب البعد عن الله وإن كان صلاة وصوماً وحجاً وجهاداً وإنفاقاً وزهداً وقناعة، والآخرة كل شيء يوجب القرب من الله تعالى وإن كان مالاً ونساءً وخدماً وحشماً.

نعم في أغلب الأوقات وأكثر الأشخاص لا يتمكن الإنسان من التقرب إلى الله تعالى والإخلاص له إلاّ بترك المباحات فضلاً عن الشبهات والمحرمات، ولذلك حث الأنبياء الناس على ترك ما يوجب الميل إلى الدنيا وإن كان يمكن أن يتوصل به إلى الآخرة، لأن النفوس ضعيفة والشيطان قوي.

وبتقرير آخر نقول: الدنيا والآخرة عبارتان عن حالتين من أحوال قلبك، والقريب الداني منهما يسمى دنياً لدنوه، وهو كل ما قبل الموت، والمتراخي المتأخر يسمى آخرة، وهو ما بعد الموت، فكل ما لك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك، إلا أن جميع ما لك إليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم، بل هو على ثلاثة أقسام:

الأول: ما يصحبك في الدنيا وتبقى معك ثمرته بعد الموت، وهو العلم بالله وصفاته وأفعاله، ﴿**وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**﴾[1] وشرائعه وأحكامه والعمل الخالص لوجه الله، وقد يلتذ الإنسان في الدنيا بالعلم والعبادة ويكونان عنده ألذ الأشياء، ولذلك قال ﷺ: حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء وقرة عيني في الصلاة[2]. فجعل الصلاة من جملة الدنيا لدخولها في عالم الحس[3]

---

(١) سورة البقرة/ ٢٨٥.

(٢) معدن الجواهر، أبو الفتح الكراجكي: ٣١، باب ذكر ما جاء في ثلاثة.

(٣) قال حميد الدين: "كان عالم العقل والنفس سابقا في الإبداعية على عالم الحس الذي هو الدنيا".

←

والشهادة مع أنها من أفضل القربات، وهذا ونحوه وإن أطلق عليه لفظ الدنيا لدنوه ولكنه من الدنيا الممدوحة التي هي العون على الآخرة لا المذمومة.

الثاني: نقيض الأول، وهو كل ما فيه حظ عاجل وليس له ثمرة في الآخرة، كالتلذذ بالمعاصي بل المباحات الزائدة على قدر الضرورة والتنعم بالقناطير[1] المقنطرة[2] من الذهب والفضة والخيل المسومة[3][4] وهذه هي الدنيا المذمومة.

مصابيح الإمامة، حميد الدين الكرماني: ٤٢، المصباح الرابع في إثبات صورة السياسة الربانية التي هي دار الجزاء ووجوبها، وأن دارها غير دار الدنيا التي هي العالم الطبيعي.

(١) قال أبو عبيدة: القناطير: واحدها قنطار، ولا تجد العرب تعرف وزنه، ولا واحد للقنطار من لفظه.

وقال ثعلب: المعمول عليه عند العرب الأكثر أنه أربعة آلاف دينار، فإذا قالوا قناطير مقنطرة، فهى اثنا عشر ألف دينار.

وقيل: إن القنطار ملء جلد ثور ذهبا. و قيل: ثمانون ألفا. وقيل: هو جملة كثيرة مجهولة من المال.

النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٤/ ١١٣.

(٢) المقنطرة: المكملة، كما تقول بدرة مبدرة، وألف مؤلف، أي تام. وعن الفراء: المقنطرة المضعفة ككون القناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة.

مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٥٢٣، مادة "قطر".

(٣) السومة، بالضم: العلامة تجعل على الشاة، وفي الحرب أيضا، تقول: منه تسوم. وقوله تعالى: ﴿حِجارَةً مِن طِينٍ ۞ مُسَوَّمَةً﴾ سورة الذاريات/ ٣٣ ـ ٣٤، أي: عليها أمثال الخواتيم.

الصحاح، الجوهري: ٥/ ١٩٥٥، مادة "سوم".

لسان العرب، ابن منظور: ١٢/ ٣١٢، مادة "سوم".

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعامِ وَالْحَرْثِ ذلِكَ مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ سورة آل عمران/ الآية ١٤.

الثالث: وهو متوسط بين الطرفين، وهو كل حظ عاجل معين على أعمال الآخرة، وهو ما لابد منه للإنسان بحسب زيه وزمانه ومكانه من المأكول والملبوس والمشروب، فإذا تناوله الإنسان بقصد الاستعانة على العلم والعمل والطاعات والعبادات وحفظ الحياة وصيانة العرض ونحو ذلك مما أمر الشارع به في الشريعة المقدسة، فليس من الدنيا المذمومة في شيء وإن قصد به الترفه والتلذد[1] والتنعم، أو استعان به على المعاصي فهو من الدنيا، ولهذا ورد الحث على طلب الحلال وتحصيل المال للكفاف[2]، فقال النبي ﷺ: العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال[3].

وقال ﷺ: ملعون من ألقى كله على الناس[4].

وقال السجاد عليه السلام: الدنيا دنياءان: دنيا بلاغ، ودنيا ملعونة[5].

وقال الباقر عليه السلام: من طلب الرزق في الدنيا استعفافاً عن الناس وسعياً[6] على أهله وتعطفاً على جاره لقي الله عزّوجل[7] ووجهه مثل القمر ليلة البدر[8].

---

(١) لعله خطأ الناسخ وما يناسب سياق الجملة: «التلذذ».

(٢) أنظر: جامع السعادات، النراقي: ٢/ ٢٥ ـ ٤٦. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ١٩١ ـ ١٩٦، كتاب ذم الدنيا.

(٣) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ٦/ ٣٢٤، كتاب المكاسب، باب ٩٣ المكاسب/ح١٢.

(٤) تحف العقول، ابن شعبة الحراني: ٣٧، ما روي عن النبي ﷺ في قصار المعاني.

(٥) الكافي، الكليني: ٢/ ١٣١، كتاب الإيمان والكفر، باب ذم الدنيا والزهد فيها/ ذيل الحديث ١١.

(٦) في الكافي: "وتوسيعا".

(٧) في الكافي: "لقي الله عزّوجل يوم القيامة".

(٨) الكافي، الكليني: ٥/ ٧٨، كتاب المعيشة، باب الحث على الطلب والتعرض للرزق/ح٥.

وقال الصادق عليه السلام: الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله[١].

وقال عليه السلام[٢] في رجل قال: لأقعدن في بيتي ولأصلين ولأصومنَّ ولأعبدن ربي فأما رزقي فسيأتي قال: هذا أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم[٣].

وقال عليه السلام[٤]: إن الله[٥] ليحب الاغتراب في طلب الرزق[٦].

وقال له رجل[٧]: والله إنا لنطلب الدنيا ونحب أن نؤتاها. فقال: تحب أن تصنع بها ماذا؟ قال: أعود بها على نفسي وعيالي وأصل بها وأتصدق بها وأحج وأعتمر. فقال عليه السلام: ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب الآخرة[٨].

وقال عليه السلام[٩]: ليس منا من ترك دنياه لآخرته[١٠].

---

(١) الكافي، الكليني: ٥/ ٨٨، كتاب المعيشة، باب من كد على عياله/ ح١.

(٢) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٣) أنظر: مستطرفات السرائر، ابن إدريس الحلي: ٦٣٤.

(٤) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٥) في الفقيه: "الله تبارك وتعالى".

(٦) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٣/ ١٥٦، كتاب المعيشة، باب المعايش والمكاسب والفوائد والصناعات/ ح٦.

(٧) في الكافي: "عن عبد الله بن أبي يعفور، قال: قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام: ... الحديث".

(٨) الكافي، الكليني: ٥/ ٧٢، كتاب المعيشة، باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة/ ح١٠.

(٩) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(١٠) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٣/ ١٥٦، كتاب المعيشة، باب المعايش والمكاسب والفوائد والصناعات/ ح ٣. نص الحديث: "ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه".

الفصل الثاني: في ما ورد في ذم الدنيا

قال رسول الله ﷺ : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر[1].

وقال ﷺ : لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء[2].

وقال ﷺ : الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها[3].

وقال ﷺ : من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى[4].

وقال ﷺ : حب الدنيا رأس كل خطيئة[5].

وقال ﷺ : يا عجباً كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور[6].

وقال ﷺ : من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء، وألزم الله قلبه أربع خصال: هماً لا ينقطع عنه أبداً، وشغلاً لا يتفرغ منه أبداً، وفقراً لا ينال غناه أبداً، وأملاً لا يبلغ منتهاه أبداً[7].

---

(١) جامع الأخبار، الشعيري: ٨٥، الفصل الحادي والأربعون في معرفة المؤمن وعلاماته.

(٢) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي: ٤/ ٨١، الجملة الثانية في الأحاديث المتعلقة بالعلم وأهله وحامليه/ ح٨٥.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٩/ ٣٣٠، نبذ مما قيل في حال الدنيا وهوانها واغترار الناس بها.

(٤) مجموعة ورام، ورام ابن أبي فراس: ١/ ١٢٨، باب ذم الدنيا.

(٥) التحصين، ابن فهد الحلي: ٢٧، القطب الثالث في فوائدها.

(٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٩/ ٣٣٠، نبذ مما قيل في حال الدنيا وهوانها واغترار الناس بها.

(٧) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٥/ ٣٥٥، كتاب ذم الدنيا، بيان ذم الدنيا.

وروي أن عيسى عليه السلام اشتد به المطر والرعد والبرق يوماً، فجعل يطلب بيتاً يلجأ إليه، فرفعت إليه خيمة من بعيد فأتاها فإذا فيها امرأة فحاد عنها، فإذا هو بكهف في جبل فأتاه فإذا فيه أسد فوضع يده على رأسه وقال: إلهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى. فأوحى الله إليه: مأواك في مستقر من رحمتي لأزوجنك يوم القيامة ألف حوراء خلقتها بيدي، ولأطعمن في عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا، ولآمرن منادياً ينادي: أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له[2].

وقال صلى الله عليه وآله: ما لي والدنيا[3]، إنما مثلي ومثلها كمثل راكب[4] رفعت له شجرة في يوم صائف فقال[5] تحتها ثم راح وتركها[6].

وقيل لأمير المؤمنين عليه السلام: صف لنا الدنيا. فقال: وما أصف لك من دار من صح فيها ما أمن[7]، ومن سقم فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها فتن، في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب[8].

---

(١) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٥/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨، كتاب ذم الدنيا، بيان ذم الدنيا.

(٢) الكافي، الكليني: ١٢٩/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب ذم الدنيا والزهد فيها / قطعة من الحديث ٨.

(٣) في الكافي: "وللدنيا".

(٤) في الكافي: "الراكب".

(٥) القائلة: الظهيرة. يقال: أتانا عند القائلة، وقد يكون بمعنى القيلولة أيضا، وهي: النوم في الظهيرة. تقول: قال يقيل قيلولة، وقيلا، ومقيلا، وهو شاذ، فهو قائل وقوم قيل، مثل: صاحب وصحب. الصحاح، الجوهري: ١٨٠٨/٥، مادة "قيل".

(٦) الكافي، الكليني: ٢/ ١٣٤، كتاب الإيمان والكفر، باب ذم الدنيا والزهد فيها/ ح١٩.

(٧) في مجموعة ورام: "من صح فيها أمن".

(٨) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١٣٧، باب ذم الدنيا.

وقال عليه السلام[1]: إنما هي ستة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم: فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة[2] ذباب، وأشرف المشروبات الماء يستوي فيه البر والفاجر، وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة، وأشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال، وأشرف المنكوحات المرأة وهي مبال[3] في مبال، والله إن المرأة لتزين[4] أحسن شيء منها ويراد أقبح شيء منها، وأشرف المشمومات المسك وهو دم حيوان[5].

وقال الصادق عليه السلام: ما أعجب رسول الله[6] لشيء[7] من الدنيا إلا أن يكون فيها جائعاً خائفاً[8].

وقال لقمان لابنه: يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما[9] جميعاً[10].

---

(١) أي: "الإمام أمير المؤمنين عليه السلام".

(٢) المذق: المزج والخلط.

النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٤/ ٣١١، مادة "مذق".

(٣) المبال: الفرج.

تاج العروس: الزبيدي: ٧/ ٢٣٧.

(٤) في المحجة: "ليزين".

(٥) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٥/ ٣٦٢، كتاب ذم الدنيا، بيان ذم الدنيا.

(٦) في الكافي: "رسول الله صلى الله عليه وآله".

(٧) في الكافي: "شيء".

(٨) الكافي، الكليني: ٢/ ١٢٩، كتاب الإيمان والكفر، باب ذم الدنيا والزهد فيها/ ح٧.

(٩) في مجموعة ورام: "تخسرهما".

(١٠) مجموعة ورام، ورام ابن أبي فراس: ١/ ١٣٧، باب ذم الدنيا.

الفصل الثالث: في ما ورد عن الأنبياء والأوصياء والحكماء في أمثلة الدنيا

كان الحسن بن علي عليه السلام يقول[1]:

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها   إن اغتراراً بظل زائل حمق[2]

مثلها بالظلّ من حيث إنه متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر، ولا تدرك.

ومثلها النبي صلى الله عليه وآله من حيث الاغترار بخيالاتها والإفلاس منها بقوله صلى الله عليه وآله: «الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون معاقبون»[3] ومن حيث تلطفها لأهلها أولاً وإهلاكهم آخراً.

روي أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء[4] عليها من كل زينة، فقال لها: كم تزوجت؟ قالت: لا أحصيهم. قال: فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك؟ قالت: بل كلهم قتلت. فقال عليه السلام: بؤساً لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين، كيف تهلكينهم واحداً بعد واحد ولا يكونون منك على حذر[5].

---

(١) في الأعلام: "يتمثل" بدل "يقول".

(٢) أعلام الدين، الديلمي: ٢٤١، فيما أنزل الله على عيسى ابن مريم عليه السلام من الوعظ.

(٣) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١٤٥، باب ذم الدنيا.

(٤): رجل أثرم، وامرأة ثرماء، وفيها الهتم، وهو: أن يسقط مقدم الأسنان، يقال: رجل أهتم، وامرأة هتماء، ويقال: ضربه فهتم فاه.

الكنز اللغوي، ابن السكيت: ١٩٢.

(٥) أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١٤٦، باب ذم الدنيا.

ومن حيث إنها خلقت للاعتبار لا للعمار ورد فيها «إنها جسر[1] فاعبروها ولا تعمروها»[2].

وقال عيسى عليه السلام: الدنيا قنطرة[3] فاعبروها ولا تعمروها[4]. وذلك لأن الميل الأول الذي هو على رأس القنطرة المهد، والميل الثاني اللحد، وبينهما مسافة محدودة، منهم من قطع ثلثها ونصفها وثلثيها، ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة، وهذا محتمل لكل أحد.

ومن زينها بأنواع الزينة واتخذها موطناً وهو عابر عليها بسرعة فهو في غاية من الحمق والجهل.

ومن حيث حسن منظرها وقبح مخبرها قال فيها أمير المؤمنين عليه السلام في ما كتب إلى سلمان: مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها، فأعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها لما أيقنت من فراقها، وكن أسر ما تكون منها أحذر ما تكون منها، فإن صاحبها كلما اطمأن بها إلى سرور أشخصته عنه مكرهاً ـ والسلام[5].

ومن حيث تعذر الخلاص عن تبعاتها بعد الخوض فيها قال فيها النبي صلى الله عليه وآله: إنما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء، هل يستطيع الذي يمشي في الماء أن لا تبتل قدماه[6].

---

(١) في التفسير: "معبر" بدل "جسر".

(٢) تفسير البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ٨/ ٦٨، تفسير سورة الأحقاف.

(٣) القنطرة، معروفة: الجسر.
لسان العرب، ابن منظور: ٥/ ١١٨، مادة "قنطر".

(٤) التحصين، ابن فهد الحلي: ٣٠، القطب الثالث.

(٥) أنظر: الإرشاد، الشيخ المفيد: ٢٣٣/١، باب طرف من أخبار أمير المؤمنين عليه السلام، فصل ومن كلامه عليه السلام في صفة الدنيا و التحذير منها.

(٦) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٦/ ١٢، كتاب ذم الدنيا، بيان صفة الدنيا بالأمثلة.

ومن حيث قلة الباقي منها بالإضافة إلى الماضي قال ﷺ: مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخرة فبقي بخيط في آخره، فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع[1].

ومن حيث أدائها إلى إهلاك طالبها قال فيها عيسى عليه السلام: مثل طالب الدنيا مثل شارب البحر[2] كلما ازداد عطشاً حتى تقتله[3].[4]

ومن حيث نسبتها إلى الآخرة قال فيها النبي ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل[5] ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم[6] فلينظر بم يرجع»[7] إليه من الأصل.

وقال الكاظم عليه السلام: إن لقمان قال لابنه: يا بني إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الإيمان وشراعها التوكل وقيمتها[8] العقل ودليلها العلم وسكانها الصبر[9].

وقال الباقر عليه السلام: مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفاً كان أبعد له من الخروج حتى تموت غماً[10].

---

(١) مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب: ٣/ ١٥٢٦، الفصل الثالث.

(٢) في مجموعة ورام: "مثل شارب ماء البحر".

(٣) في مجموعة ورام: "يقتله".

(٤) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١٤٩، باب ذم الدنيا.

(٥) في المشكاة: "إلا مثل".

(٦) اليم: البحر الذي لا يدرك قعره، ولا شطاه.

كتاب العين، الفراهيدي: ٨/ ٤٣١، مادة "يم".

(٧) مشكاة الأنوار، الطبرسي: ٢٦٨، الفصل السابع في ذم الدنيا.

(٨) في التحف: "وقيمها".

(٩) تحف العقول، ابن شعبة الحراني: ٣٨٦، وصية الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم/ قطعة من الحديث.

(١٠) الكافي، الكليني: ٢/ ١٣٤، كتاب الإيمان والكفر، باب ذم الدنيا والزهد فيها/ح٢٠.

ومن أحسن ما يمثل به حال الإنسان في الدنيا بحال رجل يمشي في صحراء وسيعة ، فإذا بأسد عظيم ذي خلق جسيم مقبل عليه ليفترسه ، فبقي هذا الضعيف المهان متحيراً مدهوشاً لا يدري ما الحيلة وليس له سلاح يدفعه به ولا ملجأ يتحصن به ، فنظر إلى بئر هناك فولج [1] فيها ﴿**خائفاً يَتَرَقَّبُ**﴾[2] ، فمنذ وصل إلى وسطها رأى حشيشاً نابتاً في وسطها على الحائط ، فتشبث به وهو يعلم أنه لا يفيده ولكن الغريق يتشبث بالحشيش ، فنظر إلى فوقه فرأى الأسد منتظراً لخروجه حتى يفترسه ، فنظر إلى قعر البئر فرأى أفاعي أربعاً فاتحة فاها لالتقامه بعد السقوط ، فبينما هو في هذه الأهوال الجسيمة والأحوال العظيمة لا يمكنه الصعود من الأسد والهبوط من الأفاعي والحشيش لا يحتمله إذ قد خرج من الحائط جرذان أسود وأبيض وشرعا يقترضان ذلك الحشيش آناً فآناً ، فبينما هو في هذه الأحوال إذ رأى قليلاً من العسل ممزوجاً ببعض التراب القذر قد اجتمع عليه الزنابير والذباب ، فشرع في مخاصمتهم والأكل معهم وقد صرف جميع باله وخاطره إلى ذلك العسل ونسي ما هو فيه من البلاء ، فهذا مثل الإنسان في انهماكه بلذات الدنيا.

فالأسد هو الموت الذي لا محيص منه ولا مفر عنه ﴿**أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ**﴾[3] والأفاعي الأربع الأخلاط الأربعة[4] أيها

---

(١) ولج يلج ولوجا ولجة : دخل.

القاموس المحيط ، الفيروز آبادي : ١/ ٢١١ ، مادة "ولج".

(٢) سورة القصص/ ١٨.

(٣) سورة النساء/ ٧٨.

(٤) رأي ديمقريطيس وشيعته : يقول في المبدع الأول : إنه ليس هو العنصر فقط ، ولا العقل فقط ، بل الأخلاط الأربعة ، وهي : الأسطقسات ، أوائل الموجودات كلها.

الملل والنحل ، الشهرستاني : ١٧١ ، الفصل الثاني الحكماء الأصول ، الرقم ٤ رأي ←

غلب قتل الإنسان والبئر هو الدنيا، والحبل هو العمر، والجرذان الليل والنهار يقرضان العمر، والعسل المخلوط بقذر التراب لذات الدنيا الممزوجة بالكدورات، والزنابير والذباب هم أبناء الدنيا المتزاحمون عليها[1].

ديمقريطيس وشيعته.

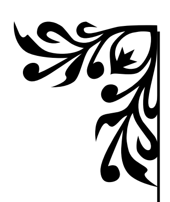
الطبائع، أي: الأخلاط الأربعة، أو الأمزجة الأربعة، من الحار والبارد والرطب واليابس، أو الأربعة المركبة من الحار اليابس والحار الرطب والبارد اليابس والبارد الرطب.

تحب ما يشاكلها، أي: تطلب ما يوافقها فصاحب المزاج الحار يطلب البارد والرطب يطلب اليابس، وهكذا.

فاغتذ في بعض النسخ بالغين والذال المعجمتين، أي: اجعل غذاءك، وفي بعضها بالمهملتين من الاعتياد لم يغذه، يقال: غذوت الصبي اللبن فضمير لم يغذه، إما راجع إلى الطعام، أي: لم يجعل الطعام غذاء لجسده، أو إلى الجسد، وعلى التقديرين أحد المفعولين مقدر، والحاصل أنك إذا تناولت من الغذاء أكثر من قدر الحاجة يصير ثقلا على المعدة، وتعجز الطبيعة عن التصرف فيه، ولا ينضج، ولا يصير جزء البدن، ويتولد منه الأمراض، ويصير سببا للضعف، وكذلك الماء، أي: ينبغي أن تشرب من الماء أيضا قدر الحاجة.

بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٥٩/ ٣٣١، كتاب السماء والعالم، باب ٩٠ الرسالة الذهبية، ذكر فصول السنة.

(١) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٦/ ٩ ــ ١٨، كتاب ذم الدنيا، بيان صفة الدنيا بالأمثلة. جامع السعادات، النراقي: ٢/ ٤١ ـ ٤٢، تذنيب تشبيهات الدنيا وأهلها. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ١٩١ ـ ١٩٥، كتاب ذم الدنيا، بيان صفة الدنيا بالأمثلة.



الباب الحادي عشر

المال



في المال

إعلم أنه قد ورد من الشرع مدح المال وذمه، وقد تقدم من الأخبار ما يدل على مدحه، وجميع ما دل على الحث على الحج والزكاة والخمس والتصدق والهبة والعطية والإحسان والإنعام والإطعام مما لا يتم إلا بالمال فهو مدح له، وقد سماه الله تعالى خيراً في مواضع، فقال تعالى: ﴿**إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ**﴾[1][2]. وقال ﷺ: نعم المال الصالح للرجل الصالح[3].

وورد ذمه أيضاً فقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾[4] وقال تعالى: ﴿**لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذلِكَ فَأُوْلئِكَ**

(١) سورة البقرة/ ١٨٠.

(٢) أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١٥٨، بيان مدح المال.

(٣) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١٥٨، بيان مدح المال.

(٤) سورة التغابن/ ١٥.

هُمُ الْخاسِرُونَ﴾[1]. وقال ﷺ: حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل[2]. ونحوه كثير[3].

والسر في ذلك أن المال ذو وجهتين: نافعة، ومضرة، ومثاله مثال الحية فيها سم وترياق[4]، ففوائدها ترياقها وغوائلها[5] سمومها. والمال إن صرف في طاعة الله ومرضاته كان من الآخرة، وإلا كان من الدنيا.

والمال فيه فوائد وغوائل، من عرفها وأخذ الفوائد واجتنب عن الغوائل نجا.

وفوائد المال الدنيوية معلومة ولهذا تهالك أهل الدنيا عليها، وأما الدينية فهي ثلاثة أنواع:

الأول: ما ينفقه على نفسه في عبادة أو الاستعانة عليها.

والثاني: ما يصرفه إلى الناس، وهو أربعة أقسام: الصدقة، والمروة، ووقاية العرض، وأجرة الاستخدام:

---

(١) سورة المنافقون/ ٩.

(٢) منية المريد، الشهيد الثاني: ١٥٦، الباب الأول في آداب المعلم والمتعلم، النوع الأول آداب اشتركا فيها، القسم الأول آدابهما في أنفسهما، الأمر الثاني استعمال ما يعلمه كل منهما، الفصل الثاني في الغرور في طلب العلم و المغترين من أهل العلم.

(٣) أنظر في حب المال: كتاب الزهد، الأهوازي: ٥٨، باب ١٠ باب التواضع والكبر. الأمالي، الطوسي: ٥٣٢، المجلس ١٩/ ح ١. معدن الجواهر، الكراجكي: ٥٣، باب ذكر ما جاء في ستة. غرر الحكم، الآمدي: ٣٦٨، حب المال/ ح ٨٣١٥. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٥٣/٧، الخطبة ١١٣. أعلام الدين، الديلمي: ١٩٥، وصية النبي ﷺ لأبي ذر.

(٤) الترياق: لغة في الدرياق، وهو: دواء.
كتاب العين، الفراهيدي: ٥/ ١٢٧، مادة "ترق".

(٥) الغائلة: الحقد الباطن. الغوائل: الدواهي. فلان قليل الغائلة والمغالة، أي: الشر.
لسان العرب، ابن منظور: ٥١٢/١١، مادة "غيل".

أما الصدقة فقد حث الشارع عليها ورغب فيها بالثواب وقال إنها تطفئ غضب الرب[1].

وأما المروة وهي صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية وإعانة وإطعام الطعام، وهذا أيضاً مما رغب الشارع فيه ووعد عليه الثواب.

وأما وقاية العرض وهو بذل المال لدفع هجو[2] الشعراء وثلب[3] السفهاء ودفع شر الأشرار، فمع تنجز فائدته في الدنيا حث الشارع عليه أيضاً، قال النبي ﷺ: ما وقى المرء به[4] عرضه فهو له صدقة[5].

وأما الاستخدام في الأعمال التي اضطر إليها الإنسان من المأكول والمشروب والملبس ونحوها فهو ضروري لولاه لتعذر عليه سبيل الآخرة، ولو تولاها بنفسه لضاعت أوقاته وتعذر عليه الفكر والذكر.

النوع الثالث: ما لا يصرفه الإنسان إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام، كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودار المرضى ونصب الحباب في الطرق وغير ذلك. هذا كله مضافاً إلى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر، ولكثرة الإخوان والأعوان والأصدقاء.

---

(١) قال رسول الله ﷺ: "صدقة السر تطفئ غضب الرب".

الكافي، الكليني: ٤/ ٧، أبواب الصدقة، باب فضل صدقة السر/ ح١.

(٢) هجا يهجو هجاء، ممدود: الوقيعة في الأشعار.

كتاب العين، الفراهيدي: ٤/ ٦٥، مادة "هجو".

(٣) ثلبه ثلبا: إذا صرح بالعيب وتنقصه.

الصحاح، الجوهري: ١/ ٩٤، مادة "ثلب".

(٤) في مجموعة ورام: "ما وقى به المرء".

(٥) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١٦٠، بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم.

وأما الآفات فدينية ودنيوية، أما الدينية فثلاثة أنواع:

الأول: إنه يجر إلى المعاصي، فإن الشهوات متقاضية[1] والعجز يحول بين المرء والمعصية، ومن العصمة أن لا تقدر.

الثاني: أن يجر إلى التنعم في المباحات، وربما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المراء والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الأخلاق المردية لتحصيل مطلوبه ليتيسر له التنعم.

الثالث: وهو الذي لا ينفك عنه أحد، وهو أنه يلهيه إصلاح ماله عن ذكر الله تعالى، وكل ما يشغل العبد عن الله فهو خسران، ولذلك قال عيسى عليه السلام: في المال ثلاث آفات إن[2] يأخذه من غير حله. فقيل: إن أخذه من حله؟ قال: يضعه في غير حقه. فقيل له[3]: إن وضعه في حقه؟ فقال: يشغله إصلاحه عن الله[4].

ومن أراد أن ينجو من غائلة المال فعليه بأمور:

الأول: أن يعرف المقصود من المال، وأنه لماذا خلق، وأنه لِمَ يحتاج إليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ إلا قدر حاجته.

الثاني: أن يراعي جهة دخل المال، فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام، ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروة.

---

(١) انقضى الشيء وتقضى، أي: فني وذهب.

كتاب العين، الفراهيدي: ٥/ ١٨٥، مادة "قضي".

(٢) في المحجة: "أن".

(٣) ليس في المحجة: "له".

(٤) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٦/ ٤٩، كتاب ذم المال، بيان تفصيل آفات المال وفوائده.

الثالث: أن يراعي جهة الخرج ويقتصد في الإنفاق غير مبذر ولا مقتر، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً**﴾[1].

الرابع: أن يضع ما اكتسبه من حله وحقه ولا يضعه في غير حقه، فإن الإثم في الأخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء.

والخامس: أن يصلح نيته في الأخذ والترك والإنفاق والإمساك فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادات والطاعات، ويترك ما يترك زهداً فيه واستحقاراً له، وإذا فعل ذلك لم يضره وجود المال[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: لو أن رجلاً أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله فهو زاهد، ولو أنه ترك الجميع ولم يرد وجه الله فليس بزاهد[3].

وقال عليه السلام[4]: الزهد كله بين كلمتين من القرآن[5]: ﴿**لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ**﴾[6] ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه[7].

---

(١) سورة الفرقان/ ٦٧.

(٢) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٦/ ٤٠ ـ ٥٩، كتاب ذم المال. جامع السعادات، النراقي: ٢/ ٤٦ ـ ٥٧. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ٢٠٦ ـ ٢١٥، كتاب ذم البخل و ذم حب المال.

(٣) الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ١١٩، الفصل الرابع النجاة من غائلة المال.

(٤) أي: "الإمام أمير المؤمنين عليه السلام".

(٥) في النهج: "قال الله سبحانه" قبل الآية.

(٦) سورة الحديد/ ٢٣.

(٧) نهج البلاغة، الشريف الرضي: ٥٥٣ ـ ٥٥٤، فصل نذكر فيه شيئا من غريب كلامه المحتاج إلى التفسير/ ح٤٣٩.



الباب الثاني عشر

الفقر



في الفقر

وقد ورد مدحه وذمه أيضاً، وخلاصة الكلام فيه أن الفقر إما أن يكون إلى الله فقط لا إلى سواه ــ بأن يكون متعففاً عن الناس غني النفس ــ هذا في أعلى مراتب الكمال، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ: الفقر فخري[1].

ومدح الله أهله بقوله: ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ**﴾[2].

وإما أن يكون إلى الناس، بأن يكون دائماً مظهراً للشكوى والحاجة متحملاً لذل السؤال والطمع بما في أيدي الناس فهو في أدنى مراتب النقص، وهو الذي قال فيه ﷺ: الفقر سواد الوجه في الدارين[3]. لأن صاحبه يكون ممقوتاً[4] عند الله وعند الناس، وصاحبه يخسر الدنيا والآخرة[5].

---

(١) جامع الأخبار، تاج الدين الشعيري: ١١١، الفصل السابع والستون في الفقراء.

(٢) سورة البقرة/ ٢٧٣.

(٣) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي: ١/٤٠، الفصل الرابع في ذكر أحاديث/ح٤١.

(٤) المقت: بغض من أمر قبيح ركبه، فهو مقيت. ومقته الناس مقتا فهو ممقوت.

كتاب العين، الفراهيدي: ٥/ ١٣٢، مادة "مقت".

(٥) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٦/ ٤٦ ــ ٤٩، كتاب ذم المال، بيان تفصيل آفات ←

وإما أن يكون إلى الله مرة وإلى الناس أخرى، وهو الذي قال فيه ﷺ: كاد الفقر أن يكون كفراً[1]. لأنه شبيه بالشرك.

وينبغي للفقير أن يكون قانعاً منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم، ولا حريصاً على اكتساب المال كيف كان، ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقنع بقدر الكفاف ويقصر الأمل، إذ لو كان حريصاً طماعاً لجره الحرص والطمع إلى مساوئ الأخلاق وارتكاب المنكرات[2]. قال ﷺ: ما من أحد غني ولا فقير إلا ودّ يوم القيامة أنه كان أوتي قوتاً في الدنيا[3].[4]

وقال ﷺ: يا معاشر[5] الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تطفروا[6] بثواب فقركم وإلاّ فلا[7].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ابن آدم إن كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فإن أيسر ما فيها يكفيك، وإن كنت تريد[8] ما لا يكفيك فإن كل ما فيها لا يكفيك[9].

المال و فوائده.

(١) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١٥٨، بيان مدح المال.

(٢) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ٢١٢، كتاب ذم البخل و ذم حب المال، بيان ذم الحرص والطمع.

(٣) في الروضة: "أنه كان في الدنيا أوتي قوتا".

(٤) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٢/ ٤٥٦، مجلس في ذكر فضل الفقر والقوت.

(٥) في الكنز: "يا معشر".

(٦) في الكنز: «تظفروا».

(٧) كنز العمال، المتقي الهندي: ٦/ ٤٨٥، الإكمال من فرع في لواحق الفقر/ ح١٦٦٥٥.

(٨) في الكافي: "وإن كنت إنما تريد".

(٩) الكافي، الكليني: ٢/ ١٣٨ ـ ١٣٩، كتاب الإيمان والكفر، باب القناعة/ ح٦.

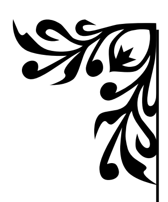
وقال الباقر عليه السلام: إياك أن تطمع بصرك إلى من هو فوقك، وكفى بما قال الله لنبيه صلى الله عليه وآله: **﴿ولا[1] تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾**[2]. وقال: **﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا﴾**[3] فإن دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله صلى الله عليه وآله فإنما كان قوته الشعير وحلواه التمر ووقوده السعف إذا وجد[4].

(١) في النص القرآني: "فلا" بدل "ولا".

(٢) سورة التوبة/ ٥٥.

(٣) سورة طه/ ١٣١.

(٤) الكافي، الكليني: ٢/ ١٣٧ ـ ١٣٨، كتاب الإيمان والكفر، باب القناعة/ ح١. وفيه النص: «عَنْ عَمْرِو بْنِ هِلالٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: إِيَّاكَ أَنْ تُطْمِحَ بَصَرَكَ إِلَى مَنْ فَوْقَكَ فَكَفَى بِمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّوجل لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ﴾ سورة التوبة/ ٥٥. وَقَالَ: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ سورة طه/ ١٣١. فَإِنْ دَخَلَكَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَاذْكُرْ عَيْشَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَإِنَّمَا كَانَ قُوتُهُ الشَّعِيرَ وَحَلْوَاهُ التَّمْرَ وَوَقُودُهُ السَّعَفَ إِذَا وَجَدَهُ».



الباب الثالث عشر

الجاه



في الجاه

وهو انتشار الصيت[1] والاشتهار، وحبه مذموم في القرآن والأخبار، وهو آفة عظيمة في الدين، والمحمود هو حب الخمول إلا من شهره الله من غير تكلف طلب للشهرة.

قال الله تعالى: ﴿**تِلْكَ الدّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[2].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل[3].

---

(١) الصيت: الذكر الجميل الذي ينتشر في الناس.

لسان العرب، ابن منظور: ٢/ ٥٨، مادة "صوت".

(٢) سورة القصص/٨٣.

(٣) كشف الريبة، الشهيد الثاني: ٥١، الفصل الرابع.

وقال ﷺ: ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فساداً من حب الجاه والمال[1] [2].

وقال عليه السلام[3]: إنما هلك الناس باتباع الهوى وحب الثناء[4].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: تبذل لا تشهر ولا ترفع شخصك لتذكر بعلم، واكتم واصمت تسلم تسر الأبرار وتغيظ الفجار[5].

وقال الصادق عليه السلام: إياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون، فوالله ما خفقت النعال خلف رجل إلا هلك وأهلك[6].

وقال عليه السلام[7]: ملعون من ترأس، ملعون من هم بها، ملعون من حدث بها نفسه[8].

وقال عليه السلام[9]: رب ذي طمرين[10] لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره[11].

وتحقيق الكلام في الجاه في فصول:

---

(١) في المحجة: "من حب الجاه والمال والشرف في دين الرجل المسلم".

(٢) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٦/ ١١٢، كتاب ذم الجاه والرياء، بيان ذم حب الجاه.

(٣) في المحجة: "قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام".

(٤) المصدر السابق.

(٥) الإختصاص، الشيخ المفيد: ٢٣٢، حديث في زيارة المؤمن لله. وفيه النص: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: تبذل لا تشهر، ووار شخصك لا تذكر، وتعلم، واكتم، و اصمت تسلم، قال: وأومأ بيده إلى صدره، فقال: يسر الأبرار ويغيظ الفجار».

(٦) الكافي، الكليني: ٢/ ٢٩٧، كتاب الإيمان والكفر، باب طلب الرئاسة/ ح٣.

(٧) أي: «الإمام الصادق عليه السلام».

(٨) الكافي، الكليني: ٢/ ٢٩٨، كتاب الإيمان والكفر، باب طلب الرئاسة/ ح٤.

(٩) في مجموعة ورام: قال رسول الله ﷺ.

(١٠) في مجموعة ورام: "رب أشعث أغبر ذي طمرين".

(١١) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١٨٢، بيان ذم الاشتهار وفضيلة الخمول.

الفصل الأول: في سبب حب الجاه

إعلم أن المال ملك الأعيان المنتفع بها، ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوبة تعظيمها وطاعتها، والسبب في حب المال هو السبب في حب الجاه وزيادة، لأن ملك القلوب يتبعه ملك الأعيان، ويرجح الجاه على المال من وجوه ثلاثة:

الأول: إن التواصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه، إذ العالم والعابد الذي يريد حصول الجاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له، فإن أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال، وأما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال إذا وجد كنزاً ولم يكن له جاه يحفظ ماله وأراد أن يتوصل بالمال إلى الجاه لم يتيسر له.

الثاني: إن المال معرض للتلف بالغضب والسرقة والقلوب سالمة من ذلك، وإنما تغضب القلوب بقبح الحال وتغير الاعتقاد، وذلك مما يهون دفعه.

الثالث: إن ملك القلوب ينمو ويسري ويتزايد من غير حاجة إلى تعب لأن القلوب إذا أذعنت لشخص واعتقدت كماله نطقت وانطلقت الألسنة لا محالة بما فيها، وانتشر ذلك في الأقطار والأمصار، ولا يزال في زيادة اقتناص القلوب والنمو، والمال لا يمكن استنماؤه إلا بتعب شديد.

ولكن الجاه ليس بمذموم مطلقاً، بل هو كالمال ممدوح من جهة ومذموم من أخرى، وكما أنه لابد للإنسان من أدنى مال لضرورة المطعم والملبس فلابد له من أدنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق كما يحتاج الإنسان إلى طعام يتناوله ويجوز أن يحب الطعام والمال الذي يباع به الطعام، وكذلك لا يخلو عن الحاجة إلى خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الأشرار، فحبه لأن يكون له في قلب

خادمه من المحل ما يدعوه إلى الخدمة ليس بمذموم، وكذا حبه لأن يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته، وكذا حبه لأن يكون له في قلب أستاذه من المحل ما يحسن به إرشاده وتعليمه والعناية به، وأن يكون له من المحل في قلب السلطان ما يحثُه على دفع الشر عنه، فإن الجاه وسيلة إلى الأغراض كالمال[1].

الفصل الثاني: في علاج حب الجاه

إعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفاً بالتودد إليهم، وابتلي بالرياء والسمعة والنفاق والمداهنة والتساهل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك، وعلاجه العلم والعمل:

أما العلم: أن يعلم أن السبب الذي لأجله أحب الجاه ـ وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم ـ إن صفا وسلم فأخره الموت ولا ينفعه في الآخرة لو لم يضره، ولو سجد له كل من على وجه الأرض فعن قريب لا يبقى الساجد ولا المسجود له[2]، ويكون حاله كحال من مات قبله من ذوي الجاه مع المتواضعين له ، ولمثل هذا لا ينبغي أن يترك الدين الذي هو الحياة الأبدية التي لا انقطاع لها.

والكمال الحقيقي الذي يقرب صاحبه من الله ويبقى كمالاً للنفس بعد الموت ليس إلا العلم بالله وبصفاته وأفعاله، ثم الحرية وهي الخلاص من أسر الشهوات. هذا هو الكمال الباقي بعد الموت والباقيات الصالحات التي تبقى كمالاً للنفس.

---

(١) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ١٢٨ ــ ١٢٩، الفصل الثاني. جامع السعادات، النراقي: ٢/ ٣٥٢ ـ ٣٥٤، الجاه أحب من المال. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٢٤٨/٣ ـ ٢٤٩، كتاب ذم الجاه و الرياء، بيان سبب كون الجاه محبوبا.

(٢) تنبيه: المقصود بالمسجود له، هو: من غلب على قلبه حب الجاه، وابتلي بالرياء، كما هو موضح أعلاه.

والمال والجاه هو الذي ينقضي سريعاً، وهو كما مثله الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ**﴾[1]، وكل ﴿**تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ**﴾[2] بالموت فهو ﴿**زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا**﴾[3] وكل ما لا يقطعه الموت فهو من ﴿**الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ**﴾[4].

فمن عرف الكمال الحقيقي صغر الجاه في عينه، إلا أن ذلك إنما يصغر في عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها، ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده.

وأبصار أكثر الخلق ضعيفة تؤثر الدنيا على الآخرة، كما قال تعالى: ﴿**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾[5] وقال تعالى: ﴿**بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ**﴾[6].

ومن كان كذلك فينبغي له العلاج بالعلم بالآفات العاجلة لصاحب الجاه، فإن صاحب الجاه مخاطر على نفسه وماله، ومحمود مقصود بالإيذاء، مبتلى بالناس خص بالبلاء، من عرفته الناس يقاسي الشدائد العظيمة، ولأجلها يتمنى الخمول.

ولا يزال ذو الجاه خائفاً على جاهه ومحترزاً من زوال منزلته عن القلوب والقلوب أشد تغييراً من القدر في غليانه، وهي مرددة بين الإقبال والإعراض، وما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على أمواج البحر، فإنه لا ثبات له.

---

(١) سورة يونس/ ٢٤.

(٢) سورة الكهف/ ٤٥.

(٣) سورة طه/ ١٣١.

(٤) سورة الكهف/ ٤٦.

(٥) سورة الأعلى/ ١٦ ـ ١٧.

(٦) سورة القيامة/ ٢٠ ـ ٢١.

والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع أذى الأعداء اشتغال عن الله وتعرض لمقته في العاجل والآجل. وجميع ذلك غموم عاجلة مكدرة للذة الجاه الموهومة فضلاً عما يفوت في الآخرة. هذا هو العلاج العلمي.

وأما العملي: فإسقاط الجاه عن قلوب الخلق بالأنس بالخمول والقناعة بالقبول من الخالق والاعتزال عن الناس والهجرة إلى مواضع الخمول، فإن المعتزل في بيته في البلدة التي هو بها مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته، ومن قنع استغنى عن الناس وانقطع طمعه عنهم، وإذا استغنى عنهم لم يكن لقيام منزلته في قلوبهم عنده وزن، ويستعين على ذلك بالأخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول[1].

الفصل الثالث: في حب المدح والثناء

وسببه شعور النفس بالكمال والدلالة على أن الممدوح قد ملك قلب المادح وسخره، وملك القلوب أحب من ملك الأموال ـ كما تقدم.

ولهذين السببين يكره الذم ويتألم به القلب، والسبب الثالث أن ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه، لاسيما إذا كان ذلك ممن يلتفت إلى قوله ويعتد بشأنه، وهذا يختص بثناء يقع على الملأ.

والرابع من المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح إلى إطلاق اللسان بالثناء عليه إما طوعاً أو قهراً، والحشمة أيضاً لذيذة لما فيها من القهر والقدرة، وقد تجتمع هذه الأسباب فيعظم الالتذاذ ويندفع استشعار الكمال بأن

(١) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٦/ ١٢٨ ـ ١٣١، كتاب ذم الجاه والرياء، بيان علاج حب الجاه. جامع السعادات، النراقي: ٢/ ٣٦٤ ـ ٣٦٦، فصل علاج حب الجاه. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ٢٥٤ ـ ٢٥٦، كتاب ذم الجاه والرياء، بيان علاج حب الجاه.

يعلم الممدوح أنه غير صادق في مدحه، فإن كان يعلم أن المادح ليس يعتقد ما يقوله بطلت اللذة الثابتة ـ وهو استيلاؤه على قلبه ـ وبقيت لذة الاستيلاء بالحشمة.

وحب المدح والثناء كحب الجاه حرمة وإباحة ونفعاً وضراً، وعلاجه علاجه، وعلمه بأن الصفة الممدوح بها إن فقدت فاستهزاء وإن وجدت فالدنيوية كمال وهمي والدينية موقوفة على الخاتمة.

وعلاج كراهة الذم العلم بأن الصفة المذموم بها إن وجدت فتبصير للعيوب، وفيه الفرح والشغل بالإزالة، وإن فقدت فكفارة للذنوب وفيه الشكر لله والترحم للذام حيث أهلك نفسه، كما قال النبي ﷺ لما كسروا رباعيته: اللهم إهد قومي فإنهم لا يعلمون[1].

والإنسان يفرح ممن يذم عدوه وهو عدو نفسه، فينبغي أن يفرح إذا سمع ذمها ويشكر الذام عليها ويعتقد ذكاءه، وفطنته لما وقف على عيوبها، فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده إذ صار بالمذمة أوضع في أعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه، وإذا سبقت إليه حسنات لم يتعب فيها فعساه يكون جبراً لعيوبه التي هو عاجز عن إماطتها.

ولو جاهد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة ـ وهي أن يستوي عند ذامه ومادحه ـ لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره.

وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه إحدى تلك العقبات، ولا يقطع شيء منها إلا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل[2].

---

(١) أنظر: إيمان أبي طالب، السيد فخار بن معد الموسوي: ١٥٥، الفصل الثاني.

(٢) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ١٢٩ ـ ١٣٢، الفصل ٢ ـ ٣. المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٦/ ١٣١ ـ ١٣٨، كتاب ذم الجاه والرياء. جامع السعادات، النراقي: ٢/ ٣٦٨ ـ ٣٧٢.



الباب الرابع عشر

الغرور



في الغرور

وفيه فصول

الفصل الأول: في حقيقته وذمه

إعلم أن مفتاح السعادة التيقظ والفطنة، ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة، والغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان، فمن اعتقد أنه على خير إما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور[1]، قال الله تعالى: ﴿**لا[2] تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**وَلكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمانِيُّ حَتَّى جاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾[4].

---

(١) ﴿وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللّهِ الْغَرُورُ﴾ سورة لقمان/ ٣٣. الغرور، بالفتح: الشيطان، وكل من غر فهو غرور، وسمي الشيطان غرورا لأنه يحمل الإنسان على محابه ووراء ذلك ما يسوؤه. قال ابن السكيت: والغرور أيضا: ما رأيت له ظاهرا تحبه وفيه باطن مكروه ومجهول. والغرور بضم المعجمة: الباطل، مصدر غررت وما اغتر به من متاع الدنيا.

مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: ٣ / ٣٠١، مادة "غرر".

(٢) في النص القرآني: "فلا".

(٣) سورة لقمان/ ٣٣.

(٤) سورة الحديد/ ١٤.

وقال النبي ﷺ : حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم، ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الأرض من المغترين.

وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل ذم الغرور، لأن الغرور[1] نوع من الجهل، والذين غرتهم الحياة الدنيا بعض الكفار والعصاة الذين آثروا الحياة الدنيا على الآخرة قائلين: إن الدنيا نقد والآخرة نسيئة[2] والنقد خير من النسيئة، ولذات الدنيا يقين والآخرة شك واليقين خير من الشك.

وهذا عين الجهل، لأن الدنيا لو كانت ذهباً فانياً والآخرة خزفاً باقياً لكان الخزف الباقي خيراً من الذهب الفاني، فكيف والدنيا خزف فانٍ والآخرة ذهب باقٍ، كما قال تعالى: ﴿**ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَما عِنْدَ اللَّه باقٍ**﴾[3] وقال تعالى: ﴿**وَللآْخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقى**﴾[4] وقال تعالى: ﴿**وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيا إلاّ مَتاعُ الْغُرُورِ**﴾[5].

وكون النقد خيراً من النسيئة مطلقاً ممنوع، فإن النسيئة العظيمة الكثيرة خير من النقد القليل الحقير، وفعل هذا المغرور حجة عليه، فإنه يعطي خمسة دراهم نقداً ليأخذ عشرة نسيئة، ويترك لذائذ الأطعمة بتحذير الطبيب نقداً خوفاً من ألم المرض النسيئة، ويتحمل المشاق والأسفار وقطع البحار نقداً لتوهم النفع نسيئة، وكذا التاجر في سعيه وتصديعه[6] على يقين وفي ربحه على شك، وكذا المتفقه في

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/٣٣٥، كتاب ذم الغرور، بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته.

(٢) النسيئة: التأخير.

لسان العرب، ابن منظور: ١/ ١٤٧، مادة "كلأ".

(٣) سورة النحل/ ٩٦.

(٤) سورة الأعلى/ ١٧. ونصها: "والآخرة خير وأبقى".

(٥) سورة آل عمران/ ١٨٥.

(٦) الرجل يصدع بالحق: يتكلم به جهارا. صدعتهم فتصدعوا، أي: فرقتهم فتفرقوا.

←

اجتهاده شك وفي تعبه يقين، والمريض من مرارة الدواء على يقين ومن الشفاء على شك، فكون اليقين خيراً من الشك مطلقاً ممنوع، بل إذا كان مثله فالذي له شك في الآخرة يجب عليه بحكم الحزم أن يقول: الصبر أياماً قلائل في هذا العمر القصير قليل بالإضافة إلى ما يقال من أمر الآخرة، فإن كان ما يقال في الآخرة كذباً فما فاتني إلا نعم حقيرة فانية، وإن كان صدقاً خلدت في النار أبد الآبدين وهذا لا يطاق.

هذا كله مع قطع النظر عن كون الآخرة يقيناً يحكم بها العقل السليم والفهم المستقيم، وأخبر بها الأنبياء والمرسلون والأولياء والصالحون.

وأما الغرور بالله فمثل قول بعضهم: فإن كان لله معاد فنحن أحق به من غيرنا وأوفر حظاً وأسعد حالاً، كما أخبر الله تعالى من قول الرجلين المتحاورين. إذ قال: ﴿**وَما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْها مُنْقَلَباً**﴾[1].

وذلك لأنهم تارة ينظرون إلى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعم الآخرة، وينظرون إلى تأخير الله العذاب عنهم، فيقيسون عليه عذاب الآخرة، كما قال تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِما نَقُولُ**﴾[2].

وينظرون تارة إلى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر، فيقولون: ﴿**أَهؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا**﴾[3] ويقولون: ﴿**لَوْ كانَ خَيْراً ما سَبَقُونا إِلَيْهِ**﴾[4]، ويقولون:

كتاب العين، الفراهيدي: ١/ ٢٩١ ـ ٢٩٢، مادة "صدع".

(١) سورة الكهف/ ٣٦.

(٢) سورة المجادلة/ ٨.

(٣) سورة الأنعام/ ٥٣.

(٤) سورة الأحقاف/ ١١.

قد أحسن الله إلينا بنعيم الدنيا، وكل محسن محب، والمحب يحسن في المستقبل أيضاً، ولم يعلموا أن نعيم الدنيا ولذاتها والاستدراج فيها يدل على الهوان، وأن هذه اللذات سموم قاتلات، وأن الله يحمي المؤمن من الدنيا كما يحمي الطبيب المريض عن الطعام.

ولو كانت الدنيا لها قدر عند الله لما سقى الكافر منها شربة ماء، وقال تعالى: **﴿أَ يَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَبَنِينَ ۞ نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْراتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ﴾**[1] وقال تعالى: **﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾**[2] وقال تعالى: **﴿فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾**[3].

ومنشأ هذا الغرور الجهل بالله وصفاته، فإن من عرفه لا يأمن مكره ولا يغير به بأمثال هذه الخيالات، وينظر إلى فرعون وقارون وإلى ملوك الأرض كيف أحسن الله إليهم ثم دمرهم تدميراً **﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ﴾**[4]، **﴿وَلا يَأْمَنُ[5] مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ﴾**[6].[7]

---

(١) سورة المؤمنون/ ٥٥ ـ ٥٦.

(٢) سورة الأعراف/ ١٨٢.

(٣) سورة الأنعام/ ٤٤.

(٤) سورة آل عمران/ ٥٤.

(٥) في النص القرآني: "فلا يأمن".

(٦) سورة الأعراف/ ٩٩.

(٧) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٦/ ٢٩١ ـ ٣٠٢، كتاب ذم الغرور، بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته. جامع السعادات، النراقي: ٣/ ٦ ـ ١٢. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ٣٣٥ ـ ٣٣٩، كتاب ذم الغرور، بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته.

الفصل الثاني: في بيان فرق المغترين وجهات غرورهم

وهم كثيرون وجهات غرورهم مختلفة:

فمنهم: عصاة المؤمنين، يقولون إن الله كريم رحيم ونرجو رحمته وكرمه، وإن ﴿**رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾[1]، وأين معاصي العباد من رحمته، والرجاء مقام محمود. ووجه غرورهم ما يأتي إن شاء الله تعالى في الرجاء من أن هذا تمنٍ على الله وغرة به، فإن «من رجا شيئاً طلبه ومن خاف شيئاً[2]، هرب منه»[3]، وكما أن الذي يرجو ولداً ولم يتزوج أو تزوج ولم يجامع أو جامع ولم ينزل فهو أحمق، فكذا من رجا رحمة ربه ولم يعمل الصالحات ولم يترك السيئات، وقد قال تعالى: ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[4] وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ**﴾[5] يعني أن الرجاء إنما يليق بمثلهم[6].

ومنهم: العلوية والهاشمية، حيث اغتروا بالنسب وصلاح الآباء وعلو رتبتهم، وغفلوا عن كونهم مخالفين سيرة آبائهم في التقوى والورع، وأنهم ليسوا بأكرم على الله من آبائهم، وآباؤهم مع غاية التقوى والورع كانوا خائفين

---

(١) سورة الأعراف/ ١٥٦.

(٢) في الكافي: "من شيء" بدل "شيئا".

(٣) الكافي، الكليني: ٦٨/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجاء/ ذيل الحديث٥.

(٤) سورة الأعراف/ ٥٦.

(٥) سورة البقرة/ ٢١٨.

(٦) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ٢١٥/١، بيان آفة العجب. وفيه النص: "يعني الرجاء الذي يليق بهم".

باكين[1]، وهم مع غاية المعاصي والمساوئ قد أصبحوا راجين آمنين[2]. وربما سول الشيطان لهم أن إنساناً إذا أحب أحداً أحب أولاده تبعاً، وأن الله يحب آباءكم فهو يحبكم تبعاً، فلا يحتاج في بذل الجهد في الطاعات وترك المعاصي. وغفلوا عن أنه ليس بين الله وبين أحد قرابة، وأن الله إنما يحب المطيع ويبغض العاصي، وقد قال نوح: رب إن ابني من أهلي فقال تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ**﴾[3] وإن إبراهيم استغفر لأبيه فلم ينفعه ذلك[4].

(١) في تفسير عليّ بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام: إن صفيّة بنت عبد المطّلب مات ابن لها. فأقبلت. فقال لها عمر: غطّي قرطك! فإنّ قرابتك من رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) لا تنفعك شيئا. فقالت له: هل رأيت لي قرطا يا بن اللّخناء!؟ ثمّ دخلت على رسول اللّه (صلى الله عليه وآله). فأخبرته بذلك و بكت. فخرج رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) فنادى: الصّلاة جامعة! فاجتمع النّاس. فقال: ما بال أقوام يزعمون أنّ قرابتي لا تنفع!؟ لو قد قربت المقام المحمود، لشفعت في أحوجكم.

و الحديث طويل. أخذت منه موضع الحاجة.

تفسير القمي، القمي: ١ / ١٨٨، تفسير سورة المائدة، أقسام الصوم.

وفي مجمع البيان: قال (صلى الله عليه وآله): كلّ حسب ونسب منقطع، إلا حسبي ونسبي.

مجمع البيان، الطبرسي: ٢١١/٧، تفسير سورة المؤمنون.

ونشير ههنا بإيجاز أننا أوضحنا منابع المؤلف السيد عبد الله شبر (قدس سره) في كتابه هذا عن الفيض الكاشاني من مصنفاته، وهذا الأخير قد اعتمد بالأخذ عن الغزالي وقد حدث مزج وخلط بين عقائد المدرستين حين النسخ دون الإشارة إلى ذلك، فأوجزنا الإشارة لعدم الإطالة.

(٢) إن هذا الكلام مخالف لعقائد الخاصة تماما حيث فيه الإشارة إلى أن آباء العلويين، أي: الأئمة عليهم السلام يصدر منهم الذنب، وهذا مناف للعصمة، لذا ننوه أن الكلام مأخوذ عن العامة فتأمل، والظن بعيد أن يكون رأي السيد المؤلف (قدس سره) أعلاه على ما هو عليه من الورع كما هو مذكور.

(٣) سورة هود / ٤٦.

(٤) قال القمي: قال إبراهيم لأبيه إن لم تعبد الأصنام استغفرت لك فلما لم يدع الأصنام تبرأ منه إبراهيم. ←

ومن ظن أنه ينجو بتقوى أبيه فهو كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه ويروى بشرب أبيه ويصير عالماً بعلم أبيه، ويصل إلى الكعبة ويراها بمسعى أبيه.

فصل: في غرور أهل العلم

وهم فرق: فمنهم من أحكم العلوم العقلية والشرعية وتعمق فيها وغفل عن تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي وإلزامها الطاعات، وغفل عن أن العلم إذا لم يعمل به كان وزراً ووبالاً ولم يزدد من الله إلا بعداً، و«أن العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل»[1]، وأن «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه[2]»[3].

ومنهم: من أحكم العلم والعمل وواظب على الطاعات وترك المعاصي الظاهرة من الجوارح وأهمل تفقد الرئيس ليمحو عنه المعاصي المهلكة والسموم القاتلة التي تفوت حياة الأبد، كالحسد والرياء والحقد والكبر والعجب وحب الجاه ونحوها، وربما لم يعرف حقائق هذه الأمور وأقسامها فضلاً عن علاجها ومعالجتها، وقد أكب على الفضول وترك الفرض، وهو لم يتصف بحقيقة الإنسانية، ويظن أنه قد بلغ من العلم مبلغاً لا يعذب الله مثله، بل يقبل في الخلق شفاعته وأنه لا يطالبه بذنوبه لكرامته عند الله.

تفسير القمي، القمي: ١/ ٣٠٦، مسجد ضرار.

(١) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي: ٤ / ٦٦ ـ ٦٧، الجملة الثانية في الأحاديث المتعلقة بالعلم وأهله وحامليه/٢٦.

(٢) في المنية: "لم ينفعه علمه".

(٣) منية المريد، الشهيد الثاني: ١٣٥، الباب الأول في آداب المعلم والمتعلم، القسم الأول آدابهما في أنفسهما، الأمر الأول.

ومنهم: من علموا هذه الأخلاق الباطنة وعلموا آفاتها وكيفياتها إلا أنهم للعجب بأنفسهم يظنون أنهم منفكون عن الأخلاق المذمومة، وأنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم بها وإنما يبتلي بها العوام، ثم إذا ظهر على أحدهم مخائل الكبر والرئاسة وطلب العلو والشرف قال: ما هذا كبر وإنما هذا طلب عز الدين وإظهار شرف العلم ونصرة دين الله وإرغام أنف المخالفين. ومهما انطلق اللسان بالحسد في أقرانه وفي من رد عليه شيئاً من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسداً، ولكن قال: إنما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه.

ثم لو طعن عليه غيره من أهل العلم لم يكن غضبه مثل غضبه الآن بل ربما يفرح به، وإذا خطر له خاطر الرياء قال: هيهات إنما غرضي من إظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا إلى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله.

ولا يتأمل المغرور أنه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به، فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان.

وربما يتذكر هذا المعنى فلا يخليه الشيطان أيضاً، بل يقول: إنما ذاك لأنهم إذا اهتدوا بي كان الأجر والثواب لي، وإنما فرحي بثواب الله لا بقول الخلق.

هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع على سريرته، وقد ﴿**زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً**﴾[1] وضل سعيه في الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن صنعاً[2].

ومنهم: قوم اقتصروا على علم الفتاوى والحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعائش، وصرفوا أعمارهم في معرفة دقائق السلم والإجارة والظهار واللعان والجراحات الدعاوي والبينات والحيض

---

(١) سورة فاطر/ ٨.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ سورة الكهف/ ١٠٤.

والاستحاضة، وضيعوا الأعمال الظاهرة والباطنة، ولم يتفقدوا الجوارح ولم يحرصوا اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشي إلى السلاطين، ولم يعالجوا أمراض قلوبهم بالكبر والرياء والحقد والعجب والحسد وسائر المهلكات مما هو من الواجبات العينية، واشتغل بفرض الكفاية والاشتغال بالكفائي[١] قبل الفراغ من العيني[٢] معصية.

ومثالهم مثال من به علة البواسير[٣] والسرسام[٤]، وهو مشرف على الهلاك محتاج إلى تعلم الدواء واستعماله، فاشتغل بتعليم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلاً ونهاراً مع علمه بأنه رجل لا يحيض ولا يستحيض، ولكن يقول: ربما وقعت الاستحاضة أو الحيض لامرأة تسألني. وذلك غاية الغرور. وكذلك المتفقه المسكين الذي تسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة، وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله وهو عليه غضبان[٥].

---

(١) الواجب الكفائي: الواجب الذي لو قام به البعض بحد الكفاية (أي: بالعدد الكافي) سقط عن الآخرين، كغسل الميت.

معجم ألفاظ الفقه الجعفري، د. أحمد فتح الله: ٤٣٩.

(٢) الواجب العيني: ما يكلف به أعيان المكلفين ولا يسقط بفعل بعضهم له عن الباقين، أي: هو الواجب على كل فرد مكلف، كالصلاة.

معجم ألفاظ الفقه الجعفري، د. أحمد فتح الله: ٤٣٨.

(٣) الباسور واحد البواسير: وهي كالدماميل في المقعدة.

مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: ١/ ١٩٨، مادة "بسر".

(٤) السرسام: حمى دائمة مع صداع وثقل في الرأس والعين وحمرة فيها شديدة وكراهية الضوء.

مفاتيح العلوم، الخوارزمي: ١/ ٩٦، الفصل الثاني في الأمراض والأدواء.

(٥) قال رسول الله ﷺ: من تزين للناس بما يحب الله و بارز الله في السر بما يكره الله لقي الله و هو عليه غضبان و له ماقت.

قرب الإسناد، الحميري: ٤٥.

ومنهم: من اشتغل بعلم الكلام والمجادلة في الأهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم، واعتقدوا أنه لا يكون للعبد عمل إلا بالإيمان ولا يصلح الإيمان إلا بأن يتعلم جدلهم وما يسمونه أدلة عقائدهم، وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وصفاته منهم، وأنه لا إيمان لمن لا يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم، ودعا كل فرقة منهم إلى نفسه، وهم فرق كثيرة يكفّر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً، فيهم الأشاعرة[١] والمعتزلة[٢] والخوارج[٣] والنواصب[٤]، وهؤلاء مغرورون.

أما الفرقة الضالة منهم فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة، وأما الفرقة المحقة فإنما اغترارها من حيث إنها ظنت أن الجدل أهم الأمور وأفضل القربات، وقد ورد في الحديث النبوي: «ما ضل قوم قط بعد هدى إلا أوتوا الجدل وحرموا العمل»[٥].

---

(١) الأشاعرة: أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، من أحفاد أبو موسى الأشعري.
موسوعة الفرق والجماعات، د. عبد المنعم الحفني: ٨٢/ الرقم٥٩ الأشعرية.

(٢) المعتزلة: مدرسة فكرية عقلية أعطت للعقل القسط الأوفر، ومؤسس المذهب هو واصل بن عطاء تلميذ الحسن البصري.
وللمعتزلة ألقابا: العدلية، الموحدة، أهل الحق، القدرية.
الملل والنحل، جعفر السبحاني: ٩٢ ـ ٩٣/ الرقم ١١ المعتزلة.

(٣) الخوارج: هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)في صفين بعد قبول التحكيم، ويقال للخوارج: الحرورية أيضا، و النواصب، و الشراة.
موسوعة الفرق والجماعات، د.عبد المنعم الحفني: ٣٤٨ـ ٣٤٩/ الرقم ٣٧٤ الخوارج.

(٤) النواصب: جمع ناصبي، وهو الغالي في بغض علي (عليه السلام).
موسوعة الفرق والجماعات، د.عبد المنعم الحفني: ٣٤٩/ الرقم ٣٧٤ الخوارج.

(٥) أنظر: منية المريد، الشهيد الثاني: ١٧١، الباب الأول في آداب المعلم والمتعلم، النوع الأول آداب اشتركا فيها، الثاني أن لا يسأل أحدا تعنتا وتعجيزا. المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٦/ ٣٢١، كتاب ذم الغرور.

ومنهم: من اشتغل بالوعظ، وأعلاهم رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والإخلاص والصدق ونظائرها، ويظن بنفسه أنه إذا تكلم بهذه الصفات ودعا الخلق إليها صار موصوفاً بها، وهو منفك عنها عند الله إلا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين، والأكياس يمتحنون أنفسهم في هذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة، ولا يقنعون منها بالتزويق.

ومنهم: من قنع بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم، فهو حافظ للكلمات جاهل بالمعاني غير متصف بما يقول.

ومنهم: من استغرق أوقاته في علم الحديث[1] وسماعه وطلب الأسانيد

---

(١) الخبرُ والحديثُ: بمعنى: هو كلامٌ يكون لِنسبَته خارجٌ في أحدِ الأزمنةِ تُطابِقُه أولا.

وهو أعمُّ من أن يكون قولَ الرسولِ والإمام والصحابي والتابعي وغيرِهم. وفي معناه فعلُهم وتقريرُهم.

وقد يُخَصُّ الثاني بما جاء عن المعصومِ، والأوّلُ بما جاء عن غيرِه، أو يُجعل الثاني أعمَّ مطلقاً.

والأثرُ: أعمُّ مطلقاً.

والمتنُ: لفظُ الحديثِ الذي يَتَقَوَّمُ بِه المعنى.

والسندُ: طريقُ المتنِ. وقيل: الإخبارُ عن طَريقه.

والإسنادُ: رَفعُ الحديثِ إلى قائله. والأولى ردُّ المعنى الثاني إليه أيضاً.

ثمّ الخبرُ، مُنحصِرٌ في الصدقِ والكذبِ في الأصحِّ؛ لأنّه إن طابَقَ الواقعُ المحكيَّ فالأوّلُ، وإلاّ فالثاني، سواءٌ وافَقَ اعتقادَ المُخبِرِ أم لا، وسواء قصد الخبرَ أم لا.

ثمّ قد يُعلم صِدقُه قطعاً ضرورةً، كالمتواتر، وما عُلِمَ وجودُ مخبَره كذلك. أو كَسْباً، كخبر الله تعالى، والرسولِ، والإمامِ، والأُمةِ، والمتواتِر معنى، والمحتفِّ بالقرائن، وما عُلِمَ وجودُ مُخبَرِه بالنظر. وقد يُعلم كذبُه كذلك بالمقايسةِ. وقد يحتمل الأمرين، كأكثرِ الأخبارِ.

وينقسم مطلقاً إلى متواترٍ، وهو ما بَلَغَتْ رُواتُه في الكثرةِ مَبْلَغاً أحالَت العادةُ تواطُؤهم على ←

الغريبة العالية، وغفل عن التدبر في دقائق معانيه.

ومنهم: من لم يغفل عن ذلك إلا أنه غفل عما هو أهم منه كما تقدم.

الَكذبِ، واستمرَّ ذلك في الطبقاتِ حيث تتعدّد، فيكون أوَّلُه كآخِرِه، ووسطُه كَطَرَفَيْه. ولا يَنْحَصِرُ ذلك في عددٍ خاصٍّ.

وشرطُ العِلم به انتفاؤه اضطراراً عن السامعِ، وأن لا تَسْبِقَ شُبهةٌ إلى السامعِ أو تقليدٌ ينافي موجبَ خَبَرِه، واستنادُ المُخْبِرين إلى إحساسٍ.

وهو مُتَحَقِّقٌ في أصولِ الشرائعِ كثيراً، وقليلٌ في الأحاديث الخاصّةِ وإن تَواتر مدلولُها، حتى قيل: مَن سُئل عن إبرازِ مثال لذلك أعياه طلبُه. وحديثُ (إنّما الأعمالُ بالنيّاتِ) ليس منه وإن نقله عددُ التواترِ وأكثرُ؛ لأنّ ذلك طَرَأَ في وَسَطِ إسناده. وأكثرُ ما ادّعي تواترهُ من هذا القبيلِ.

نعم، حديثُ: «مَن كذب عليّ متعمّداً فَلْيَتَبَوَّأ مقعدَه من النارِ» نَقَلَه مِن الصَحابَة الجمُّ الغفيرُ. قيل: أربعون. وقيل: نَيِّفٌ وستّون، ولم يَزَل العددُ في ازديادٍ.

وآحاد، وهو ما لم يَنْتَه إلى المتواترِ منه.

ثمّ هو مستفيضٌ إن زادتْ رُواتُه عن ثلاثةٍ، أو اثنين. ويقال له: المشهور أيضاً. وقد يُغايَر بينهما. وغريبٌ إن انفردَ به واحدٌ.

وغيرُهما، وهو ما عدا ذلك. فمنه العزيزُ، ومنه المقبولُ، والمردودُ، والمُشْتَبَهُ.

والأخبارُ مطلقاً غيرُ منحصرةٍ. ومَن بالغ في تتبُّعها وحَصَرَها في عددٍ فَبِحَسَبِ ما وَصَلَ إليه.

واعلم أنّ متنَ الحديث نفسه لا مَدْخلَ له في الاعتبار إلاّ نادراً، بل يَكتَسِبُ صفةً من القوّةِ والضعفِ وغيرهما بِحَسَبِ أوصافِ الرواةِ مِنَ العَدالَةِ وعَدَمِها، أو الإسنادِ، مِن الاتّصالِ والانقطاعِ والإرسالِ وغيرِها.

وتحريرُ البحث عن ذلك ينجرُّ إلى بيان أنواعه من الصحَّةِ وأضدادها، وإلى الجَرْحِ والتعديلِ. والنظرُ إلى كيفيّةِ أخذهِ، وطُرقَ تحمُّلِه والبحثِ عن أسماء الرواة وأنسابِهم، ونحوِ ذلك.

الرعاية لحال البداية في علم الدراية، الشهيد الثاني: ٢٨ـ٢٩، المقدمة في بيان أصوله واصطلاحاته.

ومنهم: من اشتغل بعلم النحو[1] واللغة[2] والشعر[3] وغريب اللغة[4]، زاعماً أنه من علماء الأمة المغفور لهم، إذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو، فأفنى هؤلاء أعمارهم في دقائق العربية وغريب اللغة، ومثالهم كمن يفني عمره في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم أن العلوم لا يمكن حفظها إلا بالكتابة فلابد من تعلمها، ولو عقل لعلم أنه يكفيه أصل الخط بحيث يمكن أن يقرأ كيفما كان والباقي زائد على الكفاية. بل مثالهم مثال من ضيع العمر في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه، وهو غرور إذ المقصود من الحروف المعاني[5].

---

(١) علم النحو: علم بأصول تعرف بها أحوال أواخر الكلم الثلاث من حيث الإعراب والبناء وكيفية تركيب بعضها مع بعض.
الهداية في النحو، المركز العالمي للدراسات الإسلامية: ١٦، الدرس الأول.

(٢) قال ابن سيده اللغة: اللسن وحدها أنها: (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم) وقال غيره: هو الكلام المصطلح عليه بين كل قبيل، وهى فعلة من لغوت، أي: تكلمت أصلها لغوة ككرة وقلة وثبة لاماتها كلها واوات، وقال: الجوهر أصلها لغى أو لغو والهاء عوض زاد أبو البقاء ومصدره اللغو، وهو الطرح. فالكلام لكثرة الحاجة إليه يرمى به وحذفت الواو تخفيفا (ج لغات) قال الجوهرى: وقال بعضهم: سمعت لغاتهم بفتح التاء وشبهها بالتاء التى يوقف عليها بالهاء انتهى.
تاج العروس، الزبيدي: ١٠/ ٣٢٨، مادة "اللغة".

(٣) الشعر: كلام منظوم بان عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم بما خص به من النظم الذي إن عدل به عن جهته مجته الأسماع وفسد على الذوق. ونظمه معلوم محدود فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن عن تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذق بها.
كتاب عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي: ٥ ـ ٦، مفهوم الشعر.

(٤) الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم كالغريب من الناس.
غريب الحديث، ابن سلام: ١/ ١.

(٥) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٦/ ٣٠٢ ـ ٣٣٦، كتاب ذم الغرور. جامع السعادات، ←

فصل: في غرور أرباب العبادة والعمل

فمنهم: فرقة أهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل، وربما تعمقوا بالفضائل حتى خرجوا إلى العدوان والسرف، كالذي يغلب عليه الوسوسة[1] في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرتضي الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع، ويقدر الاحتمالات البعيدة في النجاسة قريبة، وإذا آل الأمر إلى أكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة، وقد يطول الأمر في وسواسه في الوضوء والتطهير حتى تضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها.

ومنهم: من غلب عليه الوسوسة في نية الصلاة، فتفوته الجماعة ويخرج الوقت، وإن كبر ففي قلبه تردد في صحّة نيته، ويفوته الحضور والخضوع والخشوع.

ومنهم: من يغلب عليه الوسوسة في إخراج الحروف فلا يزال يعالجها حتى يذهل عن معاني القرآن.

ومنهم: من اغتر بقراءة القرآن فيهذُّه هذّاً[2]، وربما يختم في اليوم والليلة مرة ولسانه يجري به وقلبه يتردد في أودية الأماني، والله تعالى يقول: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنا هـذَا**

النراقي: ١٣ ـ ٢٤. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ٣٣٩ ـ ٣٥٣، كتاب ذم الغرور.

(١) الوسوسة: حديث النفس.

مختار الصحاح، الرازي: ٣٦٩، مادة "وسوس".

الوسوسة: الكلام الخفي في اختلاط. وهي: حديث النفس والأفكار.

لسان العرب، ابن منظور: ٦/٢٥٥، مادة "وسس".

(٢) الهذ والهذذ: سرعة القطع وسرعة القراءة.

لسان العرب، ابن منظور: ٣/ ٥١٧، مادة "هذذ".

﴿الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[1] وقلبه لا يخشى، ولو قرأ قليلاً مع تدبر وتفكر وآداب لكان خيراً من الكثير بدونه.

ومنهم: من اغتر بالمواظبة على الصوم، وعنى نفسه بالجوع والعطش ولم يحفظ لسانه من الغيبة وقلبه من الصفات الخبيثة، فقد أهمل الفرض وطلب النفل[2].

ومنهم: من اغتر بالحج وزيارات المشاهد، فيخرج إلى الحج والزيارة من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون وطلب الزاد الحلال، ويضيع في الطريق الصلاة، ويعجز عن طهارة الثوب والبدن.

ومنهم: من يتقلد إمامة مسجد أو أذانه ويظن أنه على خير، ولو أمَّ غيره أو أذّن في وقت غيبته قامت عليه القيامة ولو كان أورع منه وأعلم.

ومنهم: من يأمر الناس بالمعروف وينهى عن المنكر وينسى نفسه، وإذا أمر عنف وطلب الرئاسة والعز، وإذا ردّ عليه إذا باشر منكراً غضب وقال: أنا المحتسب فكيف ينكر علي، وإنما غرضه الرئاسة.

ومنهم: من جاور في الحرمين أو المشاهد واغتر بذلك ولم يطهر ظاهره وباطنه من الآثام والخبائث، ولم يزل قلبه وعيناه ممتدة إلى أوساخ أموال الناس، وغفل عن أن مجاورته لحب الحمد، ولو لم يعلم أحد بمجاورته لما هانت عليه المجاورة.

ومنهم: من تزهد في المأكل والملبس والمسكن وظن أنه من الزاهدين في الدنيا، والله يعلم منه الرغبة في الرئاسة والجاه والمنزلة في قلوب الناس الذي هو أعظم لذات الدنيا.

---

(١) سورة الحشر/ ٢١.

(٢) الأصل في النفل: ما تطوع به المعطي مما لا يجب عليه، ومنه قيل لصلاة التطوع: نافلة. غريب الحديث، ابن قتيبة: ١/ ٤٦، النفل.

ومنهم: من يحرص على التغافل لصلاة الليل وسائر الرواتب ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة إليها في أول الوقت.

ومنهم: من أشار إليهم بعض العارفين: قوم تسموا بأهل الذكر والتصوف[1] والمسمون يدعون البراءة من التصنع والتكلف، يلبسون خرقاً ويجلسون حلقاً، يخترعون الأذكار ويتغنون بالأشعار ويعلنون بالتهليل وليس لهم إلى العلم والمعرفة سبيل، ابتدعوا شهيقاً ونهيقاً[2] واخترعوا رقصاً وتصفيقاً، قد خاضوا الفتن وأخذوا بالبدع دون السنن، رفعوا أصواتهم بالنداء وصاحوا الصيحة الشنعاء.

ومنهم: من يدعي علم المعرفة ومشاهدة المعبود ومجاورة المقام المحمود والملازمة في عين الشهود، ولا يعرف من هذه الأمور إلا الأسماء، ولكنه تلقف من الطامات كلمات يرددها لدى الأغبياء كأنه يتكلم عن الوحي أو يخبر عن السماء، ينظر إلى اصناف العباد والعلماء بعين الازدراء يقول في العباد إنهم أجراء

---

(١) أصحاب التصوف، وهم: أصحاب الإباحة والقول بالحلول، وكان الحلاج يتخصص بإظهار التشيع، وإن كان ظاهر أمره التصوف، وهم قوم ملحدة وزنادقة، يموهون بمظاهرة كل فرقة بدينهم، ويدعون للحلاج الأباطيل، ويجرون في ذلك مجرى المجوس في دعواهم لزردشت المعجزات، ومجرى النصارى في دعواهم لرهبانهم الآيات والبينات، والمجوس والنصارى أقرب إلى العمل بالعبادات منهم، و هم أبعد من الشرائع و العمل بها من النصارى والمجوس.
بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٥/ ٣٤٥، كتاب الإمامة، أبواب علامات الإمام وصفاته وشرائطه، باب ١٠ نفي الغلو في النبي والأئمة صلوات الله عليه وعليهم وبيان معنى التفويض وما لا ينبغي أن ينسب إليهم، فصل في بيان معنى التفويض ومعانيه.

(٢) نهاق الحمار: صوته. وقد نهق ينهق وينهق نهيقا ونهاقا.
الصحاح، الجوهري: ٤/ ١٥٦٢، مادة "نهق".
النهيق: صوت الحمار.
لسان العرب، ابن منظور: ١٠/ ٣٦١، مادة "نهق".

متعبون وفي العلماء إنهم بالحديث عن الله لمحجوبون، ويدعي لنفسه من الكرامات ما لا يدعيه ملك مقرب، لا علماً أحكم ولا عملاً هذَّب، يأتي إليه الجمع الرعاع الهمج من كل فج أكثر من إتيانهم مكة للحج، يزدحم إليه الجمع ويلقون إليه السمع، وربما يخرون له سجوداً كأنهم اتخذوا معبوداً، يقبلون يديه ويتهافتون على قدميه، يأذن لهم في الشهوات ويرخص لهم في الشبهات، يأكل ويأكلون كما تأكل الأنعام ولا يبالون من حلال أصابوا أم من حرام، وهو لحلوائهم هاضم ولدينه وأديانهم حاطم، ﴿**لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ وَمِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ**﴾[(١)] [(٢)].

فصل: في غرور أرباب الأموال

فمنهم: من يحرص على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون أسماءهم بالآجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت أثرهم، ويظنون أنهم قد استحقوا المغفرة وهم مغرورون لوجهين:

أحدهما: إنهم اكتسبوها من الشبهات إن خلصوا من الحرام.

والثاني: إن الرياء قد غلب عليهم، إذ لو كلف أحدهم أن ينفق ديناراً ولا يكتب اسمه على الموضع أو لا يعرف لم تسمح نفسه بذلك والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب، فلولا أنه يريد وجه الناس لا وجه الله لما افتقر إلى ذلك، وربما يكون في جوار أحدهم أو في بلده فقير وصرف المال إليه أهم من الصرف إلى المساجد وزينتها.

---

(١) سورة النحل/ ٢٥.

(٢) انظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٦/ ٣٣٧ ـ ٣٤٤، كتاب ذم الغرور. جامع السعادات، النراقي: ٣/ ٢٥ ـ ٣١. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ٣٥٣ ـ ٣٥٩، كتاب ذم الغرور.

ومنهم: من ينفق الأموال في الصدقات وعلى الفقراء والمساكين ولكن يطلب به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والإفشاء للمعروف، ويكرهون التصدق في السر أو صرفه إلى غير أولئك أو إلى غير أصدقائهم والمترددين إليهم مع كونهم أهم. وبعضهم يرى إخفاء الفقير لما أخذ منه جناية عظيمة وكفراناً.

ومنهم: من يحرص على إنفاق ماله في الحج والزيارات، وربما يتركون أرحامهم وجيرانهم جائعين.

ومنهم: من يحفظ ماله ويمسكه بحكم البخل ثم يشتغل بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهو يظن أنه على خير لأن البخل المهلك قد استولى على باطنه، وهم أحوج إلى قمعه بإخراج المال من طلب الفضائل. ومثالهم مثال من دخل في ثوبه حية وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بصنع المبردات ليسكن به الصفراء.

ومنهم: من غلب عليه البخل، فلا تسمح نفسه إلا بأداء الزكاة فقط ثم يخرجها من المال الخبيث الرديء الذي يرغب عنه، ويخص بها من الفقراء من يخدمه ويتردد في حوائجه ويظن أنه أداها لله[1].

وأصناف الغرور لا تحصى فليتحذر منها. وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام: المغرور في الدنيا مسكين وفي الآخرة مغبون، لأنه باع الأفضل بالأدنى.

ولا تعجب من نفسك حيث ربما اغتررت بمالك وصحة جسمك لعلك تبقى وربما اغتررت بطول عمرك وأولادك وأصحابك لعلك تنجو بهم، وربما اغتررت بحالك ومنيتك وإصابتك مأمولك وهواك وظننت أنك صادق ومصيب، وربما

(١) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٦/ ٣٤٤ ـ ٣٤٨، كتاب ذم الغرور. جامع السعادات، النراقي: ٣/ ٣١ ـ ٣٣. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ٣٥٩ ـ ٣٦٢، كتاب ذم الغرور.

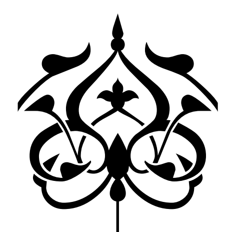
اغتررت بما تري الخلق من الندم على تقصيرك في العبادة ولعل الله يعلم من قلبك بخلاف ذلك، وربما أقمت نفسك على العبادة متكلفاً والله يريد الإخلاص، وربما افتخرت بعلمك ونسبك وأنت غافل عن مضمرات ما في علم الله، وربما توهمت أنك تدعو الله وأنت تدعو سواه، وربما حسبت أنك ناصح للخلق وأنت تريدهم لنفسك أن يميلوا إليك، وربما ذممت نفسك وأنت تمدحها في الحقيقة.

واعلم أنك لن تخرج من ظلمات الغرور والتمني إلا بصدق الإنابة إلى الله والإخبات له ومعرفة عيوب أحوالك من حيث لا يوافق العقل والعلم ولا يحتمله الدين والشريعة وسنن القدوة وأئمة الهدى، وإن كنت راضياً بما أنت فيه فما أحد أشقى بعلمك منك وأضيع عمراً، فأورثت حسرة يوم القيامة[1].

---

(١) مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ١٤٢ ـ ١٤٣، الباب السابع والستون في الغرور. وفيه النص: «قال الصادق عليه السلام: المغرور في الدنيا مسكين و في الآخرة مغبون لأنه باع الأفضل بالأدنى ولا تعجب من نفسك فربما اغتررت بمالك وصحة جسدك لعلك أن تبقى و ربما اغتررت بطول عمرك وأولادك و أصحابك لعلك تنجو بهم و ربما اغتررت بجمالك ومنيتك وإصابتك مأمولك وهواك فظننت أنك صادق ومصيب وربما اغتررت بما تري الخلق من الندم على تقصيرك في العبادة ولعل الله تعالى يعلم من قلبك بخلاف ذلك وربما أقمت نفسك على العبادة متكلفا والله يريد الإخلاص وربما توهمت أنك تدعو الله وأنت تدعو سواه وربما حسبت أنك ناصح للخلق وأنت تريدهم لنفسك أن يميلوا إليك وربما ذممت نفسك وأنت تمدحها على الحقيقة واعلم أنك لن تخرج من ظلمات الغرور والتمني إلا بصدق الإنابة إلى الله تعالى والإخبار له ومعرفة عيوب أحوالك من حيث لا يوافق العقل والعلم و لا يحتمله الدين والشريعة وسنن القدوة وأئمة الهدى وإن كنت راضيا بما أنت فيه فما أحد أشقى بعلمه وعمله منك وأضيع عمرا فأورثت حسرة يوم القيامة».

أوردنا النص لأهميته ولاعتماد السيد المؤلف عليه من مصباح الشريعة للإمام الصادق عليه السلام، وقد نسخ الحديث في المتن باختلاف في ألفاظه فذكرناه لإتمام الفائدة.



الركن الرابع

في المنجيات

وفيه أبواب





الباب الأول

التوبة



في التوبة

وفيه فصول

الفصل الأول: في حقيقة التوبة

وهي عبارة عن معنى ينتظم من ثلاثة أمور مترتبة: أولها العلم، وثانيها الحال، وثالثها الفعل. والأول موجب للثاني، والثاني موجب للثالث. والمراد بالعلم معرفة ضرر الذنوب وأنها السموم المهلكة للدين المفوتة لحياة الأبد، الحاجبة للعبد عن محبوبه من السعادة الأبدية.

ثم يحصل من هذا العلم حال، وهو أن يثور من هذه المعرفة تألم القلب بسبب فوات المحبوب، فإن القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم، وينبعث من هذا الألم في القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصداً إلى فعل له تعلق بالحال بترك الذنب الذي كان له ملابساً، وبالاستقبال بالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب إلى آخر العمر، وبالماضي بتلافي ما فات بالجبر والقضاء إن كان قابلاً للجبر.

والعلم الأول هو مطلع هذه الخيرات، وهو عبارة عن الإيمان والتصديق بأن الذنوب سموم مهلكة، وإذا أشرق على القلب ثار الندم الباعث على ما تقدم. وكثيراً ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع، وبهذا الاعتبار قال ﷺ: الندم توبة[1]. إذ لا يخلو الندم عن علم أوجبه وأثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه.

الفصل الثاني: في وجوبها وفضلها

لا ريب في وجوب الإحتراز عن الأمراض والمهالك المفوتة لحياة الجسد عقلاً وشرعاً، فوجوب الاحتراز عن أمراض الذنوب ومهلكات الخطايا المفوتة لحياة الأبد بطريق أولى، وقال تعالى: ﴿**تُوبُوا إِلَى اللَّه جَميعاً أَيُّهَ الْمُؤْمنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلحُونَ**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّه تَوْبَةً نَصُوحاً عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتكُمْ**﴾[3] والنصوح الخالص لله الخالي عن الشوائب. وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحبُّ التَّوّابينَ وَيُحبُّ الْمُطَهِّرينَ**[4]﴾[5].

وقال رسول الله ﷺ: التائب حبيب الله، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له[6].

---

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٤/ ٣٨٠، باب النوادر، من ألفاظ رسول الله ﷺ/ ح٤٩.

(٢) سورة النور/ ٣١.

(٣) سورة التحريم/ ٨.

(٤) في النص القرآني: "المتطهرين".

(٥) سورة البقرة/ ٢٢٢.

(٦) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٧/٧، كتاب التوبة، بيان وجوب التوبة وفضلها. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ٥، كتاب التوبة، بيان وجوب التوبة وفضلها.

وقال الباقر عليه السلام: الله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها، فالله تعالى أشد فرحاً لتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها[1].

وقال الصادق عليه السلام: إن الله[2] يفرح بتوبة عبده المؤمن إذا تاب كما يفرح أحدكم بضالته إذا وجدها[3].

وعنه عليه السلام[4] في قوله تعالى: ﴿**تُوبُوا إِلَى اللّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً**﴾[5] قال: هو الذنب الذي لا يعود فيه أبداً. قيل: وأينا لم يعد؟ قال: يا فلان إن الله يحب من عباده المفتن التواب ـ يعني كثير الذنب كثير التوبة[6].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم[7]: إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبه الله وستر عليه. قيل: وكيف يستر عليه؟ قال: يُنسي ملكيه ما كانا يكتبان عليه، ويوحي الله إلى جوارحه وإلى بقاع الأرض أن اكتمي عليه ذنوبه، فيلقى الله تعالى حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب[8].

وقال الباقر عليه السلام: التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمقيم على الذنب وهو يستغفر[9] منه كالمستهزئ[10].

---

(١) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/٤٣٥، كتاب الإيمان والكفر، باب التوبة/ح٨.

(٢) في الكافي: "إن الله عزّوجل".

(٣) الكافي، الكليني: ٢/ ٤٣٦، كتاب الإيمان والكفر، باب التوبة / ح١٣.

(٤) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٥) سورة التحريم/ ٨.

(٦) أنظر: الزهد، الأهوازي: ٧٢، باب ١٢ التوبة والاستغفار والندم والإقرار/ ح١٩١.

(٧) في الكافي الحديث يرويه معاوية بن وهب عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٨) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/٤٣٦، كتاب الإيمان والكفر، باب التوبة/ ح١٢.

(٩) في الكافي: "مستغفر".

(١٠) الكافي، الكليني: ٢/ ٤٣٥، كتاب الإيمان والكفر، باب التوبة/ ح١٠.

الفصل الثالث: في فوريتها

أما فوريتها فلا ريب فيها، لأن دفع ضرر الذنوب فوري وجوبه، على أن أصل التوبة هو معرفة كون المعاصي مهلكات، وهذا العلم من نفس الإيمان، وهو واجب فوري.

والعلم بضرر الذنوب إنما أريد ليكون باعثاً على تركها، فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الإيمان، وهو المراد بقوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[1]. إذ ليس المراد نفي الإيمان بالله وصفاته وكتبه ورسله وملائكته، بل نفي الإيمان بكون الزنا مبعداً عن الله وموجباً للمقت، كما إذا قال الطبيب هذا سم فلا تتناوله، فإذا تناوله يقال تناول وهو غير مؤمن، أي بقوله إنه سم مهلك، لا إنه غير مؤمن بوجود الطبيب، لأن العالم بالسم لا يتناوله أصلاً، فالعاصي بالضرورة ناقص الإيمان.

وليس الإيمان باباً واحداً، بل هو نيف وسبعون باباً أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. ومثله قول القائل: ليس الإنسان موجوداً واحداً بل هو نيف وسبعون موجوداً أعلاها القلب والروح وأدناها إماطة الأذى عن البشرة، بأن يكون مقصوص الشارب مقلم الأظفار نقي البشرة عن الخبث، حتى يتميز عن البهائم المتلوثة بأرواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها وأظلافها.

فالإيمان كالإنسان، وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية كفقد الروح والذي ليس له إلا شهادة التوحيد والرسالة كالإنسان مقطوع الأطراف مفقود العينين فاقد لجميع أجزائه الظاهرة والباطنة إلا أصل الروح.

---

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٤/ ٢٢، باب ما جاء في الزنا / ح١١.

وكما أن من هذا حاله قريب من أن يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلف عنها الأعضاء التي تمدها وتقويها، فكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان، وهو مقصر في الأعمال قريب من أن تنقلع شجرة إيمانه إذا صدر منها الرياح العاصفة المحركة للإيمان في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده، فكل إيمان لم يثبت في النفس أصله ولم تنتشر في الأعمال فروعه لم يثبت على عواصف الأهوال عند ظهور ناصية ملك الموت، وخيف عليه سوء الخاتمة إلا ما سقي بماء الطاعات على توالي الأيام والساعات حتى رسخ وثبت.

وإنما انقطعت نياط[١] العارفين خوفاً من دواهي[٢] الموت ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها إلا الأقلون، فالبدار البدار إلى التوبة قبل أن تعمل سموم الذنوب بروح الإيمان عملاً يجاوز الأمر فيه اختيار الأطباء ولا ينفع بعده الاحتماء، فلا ينفع بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين، ويحق الكلمة عليه بأنه من الهالكين[٣].

الفصل الرابع: في عمومها

إعلم أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال، فلا ينفك أحد عنه البتة، قال تعالى: ﴿**وتُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعاً**﴾[٤] فعمم الخطاب، وكل إنسان لا يخلو

---

(١) النيط: نياط القلب، وهو العرق الذي القلب معلق به.

النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ١٤١/٥، مادة "نيط".

(٢) الداهية: الأمر العظيم، ودواهي الدهر ما يصيب الناس من عظيم نوبه. ويقال: دهته داهية دهواء ودهياء، وهو: توكيد لها، ويقال: ما دهاك، أي: ما أصابك.

مختار الصحاح، الرازي: ١١٨، مادة "دهي".

(٣) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٧ / ٥ ـ ١٥، كتاب التوبة. جامع السعادات، النراقي: ٣ / ٥١ ـ ٦٠. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤ / ٤ ـ ٨، كتاب التوبة.

(٤) سورة النور/ ٣١.

عن معصية بجوارحه، فإن خلا في بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب، فإن خلا عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله، فإن خلا عنه فلا يخلو عن الغفلة والقصور في العلم بالله وصفاته وآثاره بحسب طاقته، وكل ذلك نقص وله أسباب وترك أسبابه بتشاغل أضدادها رجوع عن طريق إلى ضده.

والمراد بالتوبة الرجوع، ولا يتصور الخلو في حق الآدمي عن هذا النقص، وإنما يتفاوتون في المقادير، وأما الأصل فلا بد منه.

إلا أن الأنبياء والأوصياء ذنوبهم ليست كذنوبنا[1]، فإنما هي ترك دوام الذكر والاشتغال بالمباحات وحرمانهم زيادة الأجر بسبب ذلك، ولهذا ورد: إن «حسنات الأبرار سيئات المقربين»[2] وقال الصادق عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب إلى الله ويستغفره في كل يوم وليلة مائة مرة من غير ذنب، إن الله يخص أولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب[3] ـ أي كذنوبنا، فإن ذنب كل أحد إنما هو بحسب قدره ومنزلته عند الله.

وهذا باب شريف ينفتح منه معاني اعتراف الأنبياء والأئمة عليهم السلام بذنوبهم وبكائهم وتضرعهم[4].

---

(١) أنظر: الحديث التالي لتستبين أن ليس للمعصومين عليهم السلام من ذنب.

(٢) كشف الغمة، الأربلي: ٢/ ٢٥٤.

(٣) الكافي، الكليني: ٢/ ٤٥٠، كتاب الإيمان والكفر، باب نادر/ ح٢.

(٤) هذا مشابه لبحث النسب الآنف الذكر، وهو مما اختلط بين عقائد المدرستين حينما تم الإعتماد من قبل السيد المؤلف (قدس سره) على منابع العامة في أصل فكرة البحث، وهذا القول مخالف لعقائد الخاصة ومخالف للعصمة، لذا نوهنا عنه.

ثم اعلم أنه لا يكفي في تدارك الشهوات تركها في المستقبل، بل لابد من محو آثارها التي انطبعت في القلب بنور الطاعات، قال ﷺ: أتبع السيئة بالحسنة تمحها[1].

وينبغي أن تكون الحسنة الماحية للسيئة مناسبة لتلك السيئة، فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن وحضور المجالس التي يذكر الله فيها وأنبياؤه وخلفاؤه[2]، ويكفر القعود بالمسجد جنباً[3] بالعبادة فيه ونحو ذلك، وليس ذلك شرطاً.

روي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إني عالجت امرأة فأصبت منها كل شيء إلا المسيس فاقض علي بحكم الله. فقال: أما صليت معنا؟ فقال: بلى. فقال: إن الحسنات يذهبن السيئات[4].

---

(١) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ٨٩ ــ ٩٠، باب العتاب. وفيه: "اتبع السيئة الحسنة تمحها".

(٢) المقصود بهم الأئمة عليهم السلام وليس سواهم.

(٣) الأصل في المساجد مع المجنب قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُكارى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ وَ لا جُنُباً إِلاَّ عابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا...الآية﴾ سورة النساء/ ٤٣، وعن أبي جعفر عليه السلام في الآية قال: أن معناه لا تقربوا مواضع الصلاة من المساجد وأنتم جنب إلا مجتازين.

وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٢/١٠، كتاب الطهارة، باب ١٥ جواز مرور الجنب والحائض في المساجد إلا المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ/ ح٢٠.

وأما القعود فهو منهي عنه في المساجد على جنب، وحيث الأخذ عن الغزالي فقد مزج القول ههنا بين عقائد الخاصة والعامة، وإلى هذا أشرنا للتنبيه مكررا.

(٤) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٧/ ٨٥، كتاب التوبة، بيان ما ينبغي أن يبادر إليه التائب. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ٤٢، كتاب التوبة، بيان ما ينبغي إن جرى عليه ذنب إما عن قصد وشهوة غالبة أو عن إلمام بحكم الاتفاق.

وينبغي أن يكون عن قرب عهد بالخطيئة، بأن يتندم عليها ويمحو أثرها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّه للَّذينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَة ثُمَّ يَتُوبُونَ منْ قَرِيب ۞ وَلَيْسَت التَّوْبَةُ للَّذينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئات حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ**﴾[1]. قال الصادق عليه السلام: ذلك إذا عاين أمر الآخرة[2]، وذلك أن التوبة مقبولة قبل أن يعاين[3].

وعن النبي صلى الله عليه وآله[4] قال: من ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين: أحدهما أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير ريناً[5] وطبعاً فلا يقبل المحو. والثاني أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو[6]. ولذلك ورد في الخبر: «إن أكثر صياح أهل النار التسويف[7]»[8].

---

(١) سورة النساء/ ١٧ ـ ١٨.

والنص في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً ۞ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾.

(٢) تفسير الأصفى، الفيض الكاشاني: ١/ ٢٠٠، تفسير سورة النساء. تفسير كنز الدقائق، المشهدي: ٢/ ٣٩٥، تفسير سورة النساء.

(٣) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٤٤٠، كتاب الإيمان والكفر، باب فيما أعطى الله عزّوجل آدم عليه السلام وقت التوبة/ ح٢.

(٤) في الإحياء ورد النص عن النبي لقمان عليه السلام من مواعظه لابنه.

(٥) الرين: الطبع على القلب، ران يرين على قلبه، أي: طبع.

كتاب العين، الفراهيدي: ٨/ ٢٧٧، مادة "رين".

(٦) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ١١ ـ ١٢، كتاب التوبة، بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال فلا ينفك عنه أحد البتة.

(٧) في الإحياء: "من التسويف".

(٨) إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ١٢، كتاب التوبة، بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص ←

الفصل الخامس: في قبول التوبة

قال في الإحياء[1]: إعلم أنك إذا فهمت معنى القبول لم تشك في أن كل توبة صحيحة فهي مقبولة، فالناظرون بنور البصائر المستمدون من أنوار القرآن علموا أن كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم في الآخرة في جوار الله، ومستعد لأن ينظر بعينه الباقية إلى وجه الله، وعلموا أن القلب خلق سليماً في الأصل، فكل مولود يولد على الفطرة[2] وإنما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها.

وعلموا أن نار الندم تحرق تلك الغبرة، وأن نور الحسنة تمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة، وأنه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليالي مع نور النهار، بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون، فكما أن الثوب الوسخ لا يقبله الملك لأن يكون لبسه، فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لأن يكون في جواره، وكما أن استعمال الثوب في الأعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم تنظفه وتطهره وتزكيه.

وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول، فعلى الإنسان التزكية والتطهير وعلى الله القبول، إلا أن يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله، فلا يقوى الصابون على قلعه. ومثال ذلك أن تتراكم الذنوب حتى يصير طبعاً وريناً على القلب، فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب.

والأحوال فلا ينفك عنه أحد البتة.

(١) كتاب إحياء علوم الدين للغزالي.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة».

الكافي، الكليني: ٢/١٣، كتاب الإيمان والكفر، باب فطرة الخلق على التوحيد/ذيل الحديث٤.

نعم قد يقول باللسان تبت، فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب، وذلك لا ينظف الثوب أصلاً ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن منه[1]، قال الله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ**﴾[2] وقال: ﴿**غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ**﴾[3].

أقول: من طريق الخاصة[4] في الكافي[5] عن الصادق أو الباقر عليه السلام: إن الله

---

(١) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ١٢، كتاب التوبة، بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة.

(٢) سورة الشورى/ ٢٥.

(٣) سورة غافر/ ٣.

(٤) قال الفاضل الهندي: الخاصة، أي: الإمامية، فإنهم خواص الناس بالله ورسوله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام. كشف اللثام، الفاضل الهندي: ١/ ١١٠.

ولعل الفاضل الهندي اعتمد في تعريفه على منقولة عمار بن ياسر والتي فيها أن الشيعة هم الخاصة، ونصها:

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ سَلاَّرٍ أَبِي عَمْرَةَ، عَنْ أَبِي مَرْيَمَ الثَّقَفِيِّ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِذْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «إِنَّ الشِّيعَةَ الْخَاصَّةَ الْخَالِصَةَ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَرِّفْنَاهُمْ حَتَّى نَعْرِفَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَا قُلْتُ لَكُمْ إِلاَّ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: أَنَا الدَّلِيلُ عَلَى اللَّهِ عزوجل وَعَلِيٌّ نَصْرُ الدِّينِ وَ مَنَارُهُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَهُمُ الْمَصَابِيحُ الَّذِينَ يُسْتَضَاءُ بِهِمْ، فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ مُوَافِقاً لِهَذَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مَا وُضِعَ الْقَلْبُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ إِلاَّ لِيُوَافِقَ أَوْ لِيُخَالِفَ فَمَنْ كَانَ قَلْبُهُ مُوَافِقاً لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ كَانَ نَاجِياً وَمَنْ كَانَ قَلْبُهُ مُخَالِفاً لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ كَانَ هَالِكاً».

الكافي، الكليني: ٨/ ٣٣٣، كتاب الروضة، حديث الفقهاء والعلماء/ ح ٥١٨.

(٥) كتاب الكافي، للشيخ محمد بن يعقوب الكليني، قيل فيه: قال الشيخ المفيد، ٤١٣ هـ: "وهو من أجل كتب الشيعة وأكثرها فائدة".

وقال الشهيد محمد بن مكي، ٧٨٦ هـ، في إجازته لابن الخازن: "كتاب الكافي في الحديث الذي ←

عزّوجل قال لآدم عليه السلام: جعلت لك أن من عمل من ذريتك سيئة ثم استغفر غفرت له. قال: يا رب زدني. قال: جعلت لهم التوبة حتى تبلغ النفس هذه. قال: يا رب حسبي[1].

وعن الباقر عليه السلام قال: إذا بلغت النفس هذه ـ وأومأ[2] بيده إلى حلقه ـ لم يكن للعالم توبة وكان للجاهل توبة[3].

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته، ثم قال: إن السنة لكثير من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته ثم قال: إن الشهر لكثير، ثم قال: من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته، ثم قال: وإن الجمعة لكثير من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته، ثم قال: إن يوماً لكثير من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته[4].

لم يعمل الإمامية مثله".

وقال المولى محمد أمين، ١٠٣٦هـ: "سمعنا من مشايخنا وعلمائنا انه لم يصنف في الإسلام كتاب يوازيه أو يدانيه".

قال الفيض: "الكافي .. أشرفها وأوثقها وأتمها وأجمعها، لاشتماله على الأصول من بينها وخلوه من الفضول وشينها".

الشيخ الكليني البغدادي وكتابه الكافي، ثامر العميدي: ١٥٤ ـ ١٥٥، المبحث الثاني شهرة الكتاب.

(١) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٤٤٠، كتاب الإيمان والكفر، باب فيما أعطى الله عز و جل آدم عليه السلام وقت التوبة/ح١.

(٢) في الكافي: "وأهوى".

(٣) الكافي، الكليني: ٢/٤٤٠، كتاب الإيمان والكفر، باب فيما أعطى الله عزّوجل آدم عليه السلام وقت التوبة/ ح٣.

(٤) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٤٤٠، كتاب الإيمان والكفر، باب فيما أعطى الله عزّوجل آدم عليه السلام وقت التوبة/ ح٢.

وزاد في رواية الصدوق[1]: من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه، ثم قال: وإن الساعة لكثير من تاب وقد بلغت نفسه هنا ـ وأشار بيده إلى حلقه ـ تاب الله عليه[2].

وقال النبي ﷺ: لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم[3].

وقال الباقر عليه السلام لمحمد بن مسلم[4]: ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له، فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة، أما والله إنها ليست إلا لأهل الإيمان. قلت: فإن عاد بعد التوبة والاستغفار في الذنوب وعاد في التوبة؟ فقال عليه السلام: أترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر الله منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته. قلت: فإنه فعل ذلك مراراً يذنب ثم يتوب ويستغفر؟ فقال: كلما عاد المؤمن

---

(١) محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، أبو جعفر، نزيل الري، شيخنا وفقيهنا ووجه الطائفة بخراسان. ورد بغداد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن، كان جليلا حافظا للأحاديث، بصيرا بالرجال، ناقدا للأخبار، لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه، له نحو من ثلاثمائة مصنف، ذكرنا أكثرها في كتابنا الكبير، مات رضي الله عنه بالري سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة.
خلاصة الأقوال، العلامة الحلي: ٢٤٨/ الرقم ٤٥.

(٢) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١/ ١٣٣، باب غسل الميت/ ح٩.

(٣) إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ١٣، كتاب التوبة، بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة.

(٤) محمد بن مسلم بن رباح: أبو جعفر الأوقص الطحان، مولى ثقيف الأعور وجه من أصحابنا بالكوفة، ورع، فقيه، صاحب أبا جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام، وروى عنهما، وكان من أوثق الناس.
رجال العلامة، العلامة الحلي: ١٤٩، القسم الأول فيمن أعتمد عليه. الفصل الثالث والعشرون، الباب الأول محمد/ الرقم ٥٩.

بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1] يقبل التوبة ويعفو عن السيئات[2] [3].

وقال الصادق عليه السلام: إن الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله به الجنة. قيل[4]: يدخله الله بالذنب الجنة؟ قال: نعم، إنه ليذنب فلا يزال منه خائفاً ماقتاً لنفسه فيرحمه الله فيدخله الجنة[5].

الفصل السادس: في تقسيم الذنوب التي يثاب منها

وتنحصر جميع الذنوب في أربع صفات: صفات ربوبية، وشيطانية، وبهيمية، وسبعية.. لكون طينة الإنسان معجونة من أخلاط مختلفة[6] يقتضي كل منها أثراً:

---

(١) سورة المائدة / ٩٨.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ سورة الشورى/٢٥.

(٣) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٤٣٤، كتاب الإيمان والكفر، باب التوبة/ ح٦.

(٤) في الكافي: "قلت" بدل "قيل".

(٥) الكافي، الكليني: ٢/ ٤٢٦، كتاب الإيمان والكفر، باب الاعتراف بالذنوب/ ح٣.

(٦) رأي ديمقريطيس وشيعته: يقول في المبدع الأول: إنه ليس هو العنصر فقط، ولا العقل فقط، بل الأخلاط الأربعة، وهي: الأسطقسات، أوائل الموجودات كلها.

الملل والنحل، الشهرستاني: ١٧١، الفصل الثاني الحكماء الأصول، الرقم ٤ رأي ديمقريطيس وشيعته.

الطبائع، أي: الأخلاط الأربعة، أو الأمزجة الأربعة، من الحار والبارد والرطب واليابس، أو الأربعة المركبة من الحار اليابس والحار الرطب والبارد اليابس والبارد الرطب.

تحب ما يشاكلها، أي: تطلب ما يوافقها فصاحب المزاج الحار يطلب البارد والرطب يطلب اليابس، وهكذا.

بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٣٣١/٥٩، كتاب السماء والعالم، باب ٩٠ الرسالة الذهبية، ذكر فصول السنة.

فالربوبية كالكبر والفخر والتجبر وحب المدح والثناء والعز ودوام البقاء وطلب الاستعلاء ونحوها، وهذه أم المهلكات.

والشيطانية كالحسد والبغي والحيلة والخداع والأمر بالفساد والمنكر والغش والشقاق والدعوة إلى البدع والضلالة.

والبهيمية كالشره والتكالب والحرص والزنا واللواط والسرقة وأكل مال الأيتام ونحوها.

والسبعية يتشعب منها الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الأموال ونحوها.

ثم هذه أمهات الذنوب ومنابعها، وتنفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح، فبعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق وإضمار السوء للناس، وبعضها على العين والسمع، وبعضها على اللسان، وبعضها على البطن والفرج، وبعضها على اليدين والرجلين، وبعضها على جميع البدن.

وتنقسم قسمة ثانية إلى ما بين العبد وبين الله وإلى ما يتعلق بحقوق العباد: فما يتعلق بالعبد خاصة كتركه الصلاة والصوم ونحوهما، وما يتعلق بحقوق العباد كتركه الزكاة وقتل النفس وغصب الأموال وشتم العرض.

وتنقسم قسمة ثالثة إلى كبائر وصغائر، قال الله تعالى: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ**﴾(1) وقال تعالى: ﴿**والَّذِينَ**(2) **يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإِثْمِ وَالْفَواحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ**﴾(3).

(1) سورة النساء/31.

(2) في النص القرآني: "الذين" بلا "واو".

(3) سورة النجم/ 32.

وقد اختلفت الأقوال والأخبار في تعيين الكبائر، والأشهر أنها ما توعد الله عليه النار. فعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ**﴾[1] قال: الكبائر التي أوجب الله عليها النار[2].

وفي الصحيح[3] عن أبي جعفر الثاني[4] قال: سمعت أبي[5] يقول: سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: دخل عمرو بن عبيد[6] على أبي عبد الله عليه السلام، فلما

---

(١) سورة النساء/ ٣١.

(٢) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٢٧٦، كتاب الإيمان والكفر، باب الكبائر/ ح١.

(٣) تم بيان معنى الصحيح فيما تقدم.

(٤) قال الطبرسي في ذكر الإمام التقي أبي حعفر محمد بن علي عليه السلام: «لقبه التقي والمنتجب والجواد والمرتضى، ويقال له: أبو جعفر الثاني».

إعلام الورى، الطبرسي: ٣٤٥، الركن الثالث في ذكر الأئمة من أبناء أمير المؤمنين عليهم السلام، الباب الثامن في ذكر الإمام التقي أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، الفصل الأول في تاريخ مولده ومبلغ سنه ووقت وفاته.

(٥) أي: "الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام".

(٦) هو: عمرو بن عبيد البصري كما ذكره: من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٥٦٣/٣، باب معرفة الكبائر/ ح٢. علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ٢/ ٣٩١، باب ١٣١ العلة التي من أجلها حرم الله تعالى الكبائر/ح١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ٢٨٥/١ ـ ٢٨٦، باب ٢٨ فيما جاء عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام/ ح٣٣. عده الشيخ من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

رجال الطوسي، الشيخ الطوسي: ٢٥٠، باب العين/ الرقم ٤١٢.

قال القمي: كان من أصحاب أبي الحسن البصري وتلاميذه. قيل: كان أبوه شرطيا، وكان عمرو متزهدا فكانا إذا اجتازا معا على الناس قالوا: هذا شر الناس أبو خير الناس. مات عمرو في سنة ١٤٤، وهو ابن أربع وستين سنة. واحتجاج هشام بن الحكم عليه في مسجد البصرة في سؤاله: ألك عين؟ الخ مشهور.

الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي: ١/ ١٥٥ ـ ١٥٦، أبو مروان.

سلم وجلس تلا هذه الآية ﴿**الَّذينَ يَجْتَنِبُونَ كَبٰـائِرَ الإِثْـمِ وَالْفَـوٰاحِشَ**﴾[1] ثـم أمسك، فقال لـه عليه السلام ما أسكتك؟ قال: أحب أن أعرف الكبائر من كتاب الله فقال: نعم يا عمرو، أكبر الكبائر الإشراك بالله يقول الله ﴿**مَن يُشْرِكْ باللّه فَقَـدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيه الْجَنَّةَ**﴾[2]، وبعده اليأس من روح الله لأن الله يقـول: ﴿**إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللّه إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ**﴾[3]، ثم الأمن من مكر الله لأن الله تعالى يقـول: ﴿**فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللّه إِلاَّ الْقَوْمُ الْخٰاسِـرُونَ**﴾[4]، ومنها عقـوق الوالـدين لأن الله جعل العاق جباراً شقياً وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق لأن الله تعالى يقـول: ﴿**فَجَزآؤُهُ جَهَنَّمُ خٰالداً فِيهٰا**﴾[5] الآية، وقذف المحصنة لأن الله تعالى يقول: ﴿**لُعِنُوا في الدُّنْيٰا وَالآخِرَة وَلَهُمْ عَذٰابٌ عَظيمٌ**﴾[6]، وأكل مال اليتيم لأن الله يقول: ﴿**إِنَّمٰا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونهِمْ نٰاراً وَسَيَـصْلَوْنَ سَـعيراً**﴾[7]، والفرار من الزحف لأن الله يقـول: ﴿**وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذ دُبُرَهُ إِلاّ مُتَحَرِّفاً لِقِتٰال أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَة فَقَـدْ بٰـاء بِغَضَبٍ منَ اللّه وَمَأْوٰاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَـصيرُ**﴾[8]، وأكل الربا لأن الله يقـول: ﴿**الَّذينَ يَأْكُلُونَ الرِّبٰا لا يَقُومُونَ إِلاّ كَمٰا يَقُومُ الَّـذي يَتَخَبَّطُـهُ الـشَّيْطانُ مِـنَ الْمَسِّ**﴾[9]، والسحر لأن الله يقـول: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرٰاهُ مٰا لَهُ فِي الآخِـرَةِ**

(١) سورة النجم/٣٢.

(٢) سورة المائدة/ ٧٢.

(٣) سورة يوسف/ ٨٧.

(٤) سورة الأعراف/ ٩٩.

(٥) سورة النساء/ ٩٣.

(٦) سورة النور / ٢٣ .

(٧) سورة النساء/ ١٠.

(٨) سورة الأنفال/ ١٦.

(٩) سورة البقرة/ ٢٧٥.

مِنْ خَلاقٍ﴾[1]، والزنا لأن الله يقول: ﴿**وَمَن يَفْعَلْ ذلكَ يَلْقَ أَثامًا ۞ يُضاعَفْ لَــهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيــه مُهانــاً﴾**[2]، واليمين الغموس الفاجرة لأن الله يقول: ﴿**الَّذينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَليلاً أُوْلئكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِــي الآخِرَةِ﴾**[3]، والغلول لأن الله يقول: ﴿**وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمــا غَــلَّ بــه**[4] **يَــوْمَ الْقِيامَةِ﴾**[5]، ومنع الزكاة المفروضة لأن الله يقول: ﴿**فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾**[6]، وشهادة الزور، وكتمان الشهادة لأن الله يقول: ﴿**وَمَن يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾**[7]، وشرب الخمر لأن الله تعالى نهى عنها كما نهى عن عبادة الأوثان، وترك الصلاة متعمداً أو شيئاً مما فرض الله لأن رسول الله ﷺ قال: «من ترك الصلاة متعمداً فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله»، ونقض العهد وقطيعة الرحم لأن الله يقول: ﴿**لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدّارِ﴾**[8]. قال: فخرج عمرو وله صراخ من بكائه، وهو يقول: هلك من قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم[9].

فإن قيل: كيف ورد الشرع بما لم يبين حده، والكبائر مبهمة قد اختلفت في الأخبار؟.

---

(١) سورة البقرة/ ١٠٢.

(٢) سورة الفرقان/ ٦٨ ـ ٦٩.

(٣) سورة آل عمران/ ٧٧.

(٤) ليس في النص القرآني: "به".

(٥) سورة آل عمران/ ١٦١. ونصها: ﴿وَما كانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِما غَلَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ ثُمَّ تُوَفّى كُلُّ نَفْسٍ مّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾.

(٦) سورة التوبة/ ٣٥.

(٧) سورة البقرة/ ٢٨٣.

(٨) سورة الرعد/ ٢٥.

(٩) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٢٨٥ ـ ٢٨٧، كتاب الإيمان والكفر، باب الكبائر/ح٢٤.

فالجواب: إن كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا جاز أن يتطرق إليه الإبهام، والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث إنها كبيرة، فإن موجبات الحدود معلومة بأساميها، وإنما حكم الكبيرة أن اجتنابها يكفر الصغائر[1] وأن الصلوات الخمس لا تكفرها، كما في الحديث النبوي: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة تكفر ما بينهن إن اجتنب الكبائر»[2].

وهذا أمر يتعلق بالآخرة والإبهام به أليق حتى يكون الناس على حذر ووجل، فلا يتجرأون على الصغائر اعتماداً على الصلوات الخمس واجتناب الكبائر، ثم اجتناب الكبيرة إنما يكفر الصغيرة[3].

---

(١) قال الشيخ الطوسي: فعلى مذهب المعتزلة: من اجتنب الكبائر، وواقع الصغائر، فان الله يكفر الصغائر عنه، ولا يحسن مع اجتناب الكبائر عندهم المؤاخذة بالصغائر، ومتى آخذه بها كان ظالما. وعندنا: أنه يحسن من الله تعالى أن يؤاخذ العاصي بأي معصية فعلها، ولا يجب عليه إسقاط عقاب معصية لمكان اجتناب ما هو أكبر منها.

التبيان، الشيخ الطوسي: ٣/١٨٣، تفسير سورة النساء.

(٢) المغني عن حمل الأسفار، أبو الفضل العراقي: ٢/ ٩٨٧، كتاب التوبة/ ح٣٦٠٢. أورد الحديث باختلاف يسير علماء العامة في كتبهم، منهم: أحمد بن حنبل في المسند: ٢ / ٤٠٠. مسلم بن الحجاج النيسابوري في الصحيح: ١/ ١٤٤، كتاب الطهارة. ابن ماجه في سننه: ١٩٦/١. الترمذي في سننه: ١/ ١٣٨. ولم يذكره الخاصة في كتبهم، وهو عائد إلى ما قبله، أنظر الهامش السابق. وهذا إنما أورده المؤلف (تَتِرُّكُ) عن الفيض الكاشاني، والذي أخذه بدوره عن الغزالي، وقد أوضحنا ذلك دون تفصيل لبيان وجه الإشكال، وعدم الخلط بين عقائد المدرستين حين مراجعة كتابنا هذا وعدم رؤية تعليق يوضح ذلك.

(٣) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٧ / ٢٨ ـ ٣٢، كتاب التوبة، الركن الثاني فيما عنه وهي الذنوب صغائرها وكبائرها. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ١٥ ـ ١٨، كتاب التوبة، الركن الثاني فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغائرها وكبائرها، بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد.

الفصل السابع: في بيان ما تعظم به الصغائر

إعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب:

الأول: الإصرار والمواظبة[1]، ففي الكافي عن الصادق عليه السلام قال: **لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار**[2].

وعنه عليه السلام[3] قال: **لا والله لا يقبل**[4] شيئاً من طاعته على الإصرار على شيء من معاصيه[5].

وقال الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[6] قال: الإصرار أن يذنب الذنب فلا يستغفر ولا يحدث نفسه بتوبة فذلك الإصرار[7].

وقد مثلوا ذلك بقطرات من الماء تقع على الحجر على توالي فتؤثر فيه، وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة لم يؤثر، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خير الأعمال أدومها وإن قلّ[8].

---

(١) وظب يظب وظوبا، وهو: المواظبة على الشيء و المداومة والتعاهد.
كتاب العين، الفراهيدي: ٨/ ١٧٠، مادة "وظب".
المواظبة: المثابرة على الشيء، والمداومة عليه.
لسان العرب، ابن منظور: ١/ ٧٩٨، مادة "وظب".

(٢) الكافي، الكليني: ٢/ ٢٨٨، كتاب الإيمان والكفر، باب الإصرار على الذنب/ح١.

(٣) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٤) في الوسائل: "لا يقبل الله".

(٥) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٥/ ٣٣٧، كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب ٤٨ تحريم الإصرار على الذنب/ ح١.

(٦) سورة آل عمران/ ١٣٥.

(٧) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٧/ ٥٨ ـ ٥٩، كتاب التوبة، بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب.

(٨) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٧/ ٥٨، كتاب التوبة، بيان ما تعظم به الصغائر من ←

والأشياء تُستبان بأضدادها[1]، فإذا كان النافع من العمل هو الدائم وإن قلَّ فكذلك القليل من السيئات إذا دام عظم تأثيره في ظلام القلب.

ومنها: أن يستصغر الذنب، فإن العبد كل ما استعظمه من نفسه صغر عند الله وكل ما استصغره كبر عند الله لأن استعظامه يصدر نفور القلب عنه وكراهته له، وذلك النفور يمنع من شدة تأثره به واستصغاره يصدر عن الإلف به، وذلك يوجب شدة الأثر في القلب، والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات، ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة.

وقد جاء في الحديث: إن[2] المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنبه كذباب مرّ على أنفه فأطاره[3].

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله[4]: اتقوا المحقرات من الذنوب فإنها لا تغفر. قيل[5]: وما المحقرات؟ قال: الرجل يذنب الذنب فيقول: طوبى لي لو لم يكن[6] غير ذلك[7].

الذنوب. المغني عن حمل الأسفار، أبو الفضل العراقي: ٢/ ٩٩٨، كتاب التوبة/ح٣٦٢٧.

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٦٤/ ١٣٩، كتاب الإيمان والكفر، باب ٤ فطرة الله سبحانه وصبغته، تفسير.

(٢) ليس في المحجة والإحياء: "إن".

(٣) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٧/ ٥٩، كتاب التوبة، بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ٢٩، كتاب التوبة، بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب.

(٤) في الكافي: الحديث يرويه الإمام الصادق عليه السلام وليس في الإسناد قال رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٥) في الكافي: "قلت".

(٦) في الكافي: "لو لم يكن لي".

(٧) الكافي، الكليني: ٢/ ٢٨٧، كتاب الإيمان والكفر، باب استصغار الذنب/ ح١.

وعن الكاظم عليه السلام قال: لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلوا قليل الذنوب، فإن قليل الذنوب يجتمع حتى يكون كثيراً، وخافوا الله في السر حتى تعطوا من أنفسكم النصف[1].

ومنها: السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها، واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة، وكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند الكبر كبرت الصغيرة وعظم أثرها في تسويد قلبه، حتى إن من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح، ويقول المناظر في مناظرته أما رأيتني كيف فضحته.

والذنوب مهلكات، وينبغي أن يكون مرتكبها في حزن وتأسف بسبب غلبة عدوه الشيطان عليه، والمريض الذي يفرح بأن ينكسر إناؤه الذي فيه دواؤه حتى يتخلص من ألم شربه لا يرجى شفاؤه.

ومنها: أن يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وإمهاله إياه، ولا يدري أنه إنما يمهل مقتاً ليزداد بالإمهال إثماً[2]، فيظن أن تمكنه من المعاصي عناية من الله تعالى به، فيكون ذلك لأمنه من مكر الله وجهله بمكامن[3] الغرور، كما قال تعالى: **﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنا اللّهُ بِما نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَها وَبِئْسَ[4] الْمَصِيرُ﴾**[5].

---

(١) الكافي، الكليني: ٢/ ٢٨٧، كتاب الإيمان والكفر، باب استصغار الذنب/ ح٢.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُواْ إِثْماً﴾ سورة آل عمران/ ١٧٨.

(٣) كمن فلان يكمن كمونا، أي: اختفى في مكمن لا يفطن له.

كتاب العين، الفراهيدي: ٥/ ٣٨٦، مادة "كمن".

(٤) في النص القرآني: "فبئس".

(٥) سورة المجادلة/ ٨.

ومنها: أن يأتي بالذنب ويظهره بأن يذكره بعد إتيانه أو يأتي به في مشهد غيره، فإن ذلك جناية منه على ستر الله الذي أسدله عليه، وتحريك لرغبة الشر في من أسمعه ذنبه أو أشهده فعله، فهما جنايتان انضمتا إلى جنايته فتغلظت به، فإن انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الأسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الأمر. وهذا لأن من صفات الله ونعمه أنه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر[1]، فالإظهار كفران لهذه النعمة.

وفي الكافي عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المستتر بالحسنة تعدل[2] سبعين حسنة، والمذيع بالسيئة مخذول، والمستتر بها مغفور له[3].

وقال الصادق عليه السلام: من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن وتفسيره فدعوه. ومن جاءنا يبدي عورة قد سترها الله عليه[4] فنحوه[5].

ومنها: أن يكون المذنب عالماً يقتدى به فإذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه، كلبس العالم الإبريسم[6] والذهب، وأخذه مال الشبهة من أموال

(١) إشارة إلى دعاء النبي صلى الله عليه وآله المروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «يَا مَنْ أَظْهَرَ الْجَمِيلَ وَسَتَرَ الْقَبِيحَ يَا مَنْ لَمْ يَهْتِكِ السِّتْرَ وَلَمْ يُؤَاخِذْ بِالْجَرِيرَةِ يَا عَظِيمَ الْعَفْوِ يَا حَسَنَ التَّجَاوُزِ يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ... الخبر». تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ٣/٨٤ ـ ٨٥، كتاب الصلاة، باب ٥ الدعاء بين الركعات، الدعاء في الزيادة تمام المائة ركعة/ ح١٢.

(٢) في الكافي: "يعدل".

(٣) الكافي، الكليني: ٢/ ٤٢٨، كتاب الإيمان والكفر، باب ستر الذنوب/ ح٢. وقد ورد الحديث كما جاء في النص أعلاه في: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٧/ ٦٠، كتاب التوبة، بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب.

(٤) ليس في الكافي: "عليه".

(٥) الكافي، الكليني: ٢/ ٤٤٢، كتاب الإيمان والكفر، باب اللمم/ ح٤.

(٦) الإبريسم: حرير.

←

السلاطين، ودخوله على السلاطين وتودده إليهم، ومساعدته إياهم بترك الإنكار عليهم، وإطلاقه اللسان في الغيبة والأعراض وتعديه باللسان في المناظرة وقصده الاستخفاف ونحو ذلك، فهذه الذنوب يتبع العالم عليها فيموت ويبقى ﴿**شَرُّهُ مُسْتَطِيراً**﴾[1] في العالم مدداً متطاولة. فطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه.

وفي الخبر: من سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء[2]، قال تعالى: ﴿**وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَآثارَهُمْ**﴾[3] والآثار ما يلحق الأعمال بعد انقضاء العمل والعامل، ولهذا قيل: «مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق أهلها»[4].[5]

عَنْ أَبِي عُيَيْنَةَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَلْبَسَ وَهِيَ مُحْرِمَةٌ؟ قَالَ: الثِّيَابُ كُلُّهَا مَا خَلا الْقُفَّازَيْنِ وَالْبُرْقُعَ وَالْحَرِيرَ قُلْتُ تَلْبَسُ الْخَزَّ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ فَإِنَّ سَدَاهُ الإِبْرِيسَمُ وَهُوَ حَرِيرٌ قَالَ مَا لَمْ يَكُنْ حَرِيراً خَالِصاً فَلا بَأْسَ.

الكافي، الكليني: ٤/ ٣٤٥، كتاب الحج، باب ما يجوز للمحرمة أن تلبسه من الثياب والحلي وما يكره لها من ذلك/ح ٦.

(١) سورة الإنسان/ ٧.

(٢) أنظر: الفصول المختارة، الشيخ المفيد: ١٣٦. وفيه النص: «قال النبي صلى الله عليه وآله: من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

(٣) سورة يس/ ١٢.

(٤) غرر الحكم، الآمدي: ٤٧، القسم الأول، باب الأول المعرفة، الفصل الثالث في العالم، زلة العالم تفسد العوالم/ح٢٣٣. وفيه النص: "زلة العالم كانكسار السفينة تغرق وتغرق معها غيرها".

(٥) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٢٩٨ ـ ٣٠٠، المقالة السادسة في ساير الأعمال الصالحة، الباب الأول في التوبة، الفصل الخامس الذنوب الصغيرة بوابة الذنوب الكبيرة. جامع السعادات، النراقي: ٣ / ٧٦ ـ ٨٠، فصل الصغائر قد تكون كبائر. إحياء علوم

الفصل الثامن: في تجزئة التوبة

وملخص الكلام فيها أن التوبة عن بعض الذنوب إما أن تكون عن الكبائر دون الصغائر أو عن الصغائر دون الكبائر أو عن كبيرة دون كبيرة:

أما الأول: فهو ممكن للعلم بأن الكبائر أعظم عند الله وأجلب لسخطه ومقته، والصغائر أقرب إلى تطرق العفو إليه، وقد كثر التائبون ولم يكن أحد منهم معصوماً، فلا تستدعي التوبة العصمة. والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيراً شديداً ويحذره السكر تحذيراً أخف منه على وجه يظهر منه عدم ظهور أثره.

وأما القسم الثاني: فهو ممكن أيضاً لاعتقاده أن بعض الكبائر أشد وأغلظ عند الله، كالذي يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعلمه بأن ديوان العباد لا يترك، وما بينه وبين الله يسرع العفو إليه.

الثالث: أن يتوب عن صغيرة وهو مصر على كبيرة يعلم أنها كبيرة، كالذي يتوب عن الغيبة أو عن النظر إلى غير المحرم أو ما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر، وهو ممكن إذ ما من مؤمن إلا وهو خائف على معاصيه ونادم على فعله ندماً إما ضعيفاً وإما قوياً، ولكن تكون لذة نفسه في تلك المعصية أقوى من ألم قلبه في الخوف منها، لأسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة وأسباب توجب قوة الشهوة، فيكون الندم موجوداً ولكن لا يكون العزم قوياً عليه.

ويقول: لله علي أمران ولي على المخالفة فيه عقوبتان، وأنا ملي في أحدهما بقهر الشيطان عاجز عنه في الآخر فأقهره في ما أقدر عليه، وأرجوه بمجاهدتي فيه أن يكفر عني ما عجزت عنه بفرط شهوتي.

الدين، الغزالي: ٤/ ٢٩ ـ ٣٠، كتاب التوبة، بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب.

وهذا حال كل مسلم، وقد قال ﷺ: «الندم توبة»[1] ولم يشترط الندم عن كل ذنب، وقال عليه السلام[2]: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[3] ولم يقل التائب من الذنوب كلها.

الفصل التاسع: في أقسام العباد في التوبة

وهم طبقات:

الطبقة الأولى: أن يتوب العاصي ويستقيم إلى آخر عمره، فيتدارك ما فرط من أمره ولا يحدث نفسه بالعود إلى ذنوبه، إلا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادة، وهي التوبة النصوح.

الطبقة الثانية: تائب سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات وكبائر الفواحش كلها، إلا أنه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في مجاري أحواله، من غير أن يقدم عزماً على الإقدام عليها ولكنه إذا أقدم لام نفسه وندم وجدد عزمه على عدم العود. وهذه رتبة عالية وإن كانت نازلة عن الأولى، وهي أغلب أحوال التائبين، لأن الشر معجون بطينة الآدمي قلما ينفك عنه، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ**﴾[4] وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذا فَعَلُواْ فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ**

---

(1) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٤/ ٣٨٠، باب النوادر، من ألفاظ رسول الله ﷺ الموجزة/ ح٤٩.

(2) في العيون: «عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ ... الحديث».

(3) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ٢/ ٧٤، باب ٣١ فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة/ ح٣٤٧.

(4) سورة النجم/ ٣٢.

﴿فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّــهُ﴾[1]. وفي الحديث. «خياركم كل مفتن تواب»[2]. وفي الرواية: «المؤمن كالسنبلة تفيء أحياناً وتميل أحياناً»[3].

الطبقة الثالثة: أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب فيقدم عليها عن قصد وصدق شهوة بعجزه عن قهر الشهوة، إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من السيئات مع القدرة والشهوة، وإنما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوتان، وهو يودُّ قمعها ويقول: ليتني لم افعل وسأتوب، ولكنه يسوّف نفسه في التوبة يوماً بعد يوم، قال تعالى: **﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صالِحًا وَآخَرَ سَيِّئاً﴾**[4] فهو مرجو عسى الله أن يتوب عليه إذا تاب[5].

الطبقة الرابعة: أن يتوب ويستقيم مدة ثم يعود إلى مقارفة الذنب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة ومن غير أن يتأسف على فعله، بل ينهمك[6] انهماك الغافل في إتباع الشهوات، فهذا أقبح حال التائبين وأمر في مشيئة الله.

---

(١) سورة آل عمران/ ١٣٥.

(٢) كنز العمال، المتقي الهندي: ٢١٣/٤، كتاب التوبة، الفصل الأول في فضلها والترغيب فيها/ح١٠٢١٠.

(٣) المغني عن حمل الأسفار، أبو الفضل العراقي: ٢/ ١٠٠١، كتاب التوبة/ ٣٦٤٣.

(٤) سورة التوبة/ ١٠٢.

(٥) قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: ﴿الَّذِينَ خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً﴾ سورة التوبة/ ١٠٢. فَأُولَئِكَ قَوْمٌ مُؤْمِنُونَ يُحْدِثُونَ فِي إِيمَانِهِمْ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي يَعِيبُهَا الْمُؤْمِنُونَ وَيَكْرَهُونَهَا فَأُولَئِكَ ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ سورة التوبة/ ١٠٢.

الكافي، الكليني: ٢/ ٤٠٨، كتاب الإيمان والكفر، باب أصحاب الأعراف/ ح٢.

(٦) انهمك فلان في كذا، إذا لج وتمادى فيه.

كتاب العين، الفراهيدي: ٣/ ٣٨٢، مادة "همك".

انهمك الرجل في الأمر، أي: جد ولج.

الصحاح، الجوهري: ٤/ ١٦١٧، مادة "همك".

الفصل العاشر: في العلاج للإقبال على التوبة

وهي أربعة أمور:

الأول: أن ينظر إلى الآيات والأخبار المخوفة للمذنبين والعاصين وما فيها من التهديد والوعيد على العقاب الشديد والعذاب الأكيد، ففي بعض الأخبار من طرق الجمهور عنه ﷺ قال: ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات: يقول أحدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا، ويقول الآخر يا ليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا، فيقول الآخر ويا ليتهم إذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا فيقول الآخر ويا ليتهم إذ لم يعملوا بما علموا تركوا الخوض في ما لم يعلموا[1].

وفي رواية: تجالسوا فتذاكروا ما علموا، فيقول الآخر ويا ليتهم إذ لم يعملوا بما علموا تابوا عما عملوا[2].

وقال بعض العارفين[3]: ما من عبد يعصي إلا استأذن مكانه من الأرض أن يخسف به، واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفاً، فيقول الله للأرض وللسماء، كفا عن عبدي وأمهلاه، فإنكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه، لعله يتوب إلي فأغفر له، لعله يستبدل صالحاً فأبدله له حسنات، فذلك معنى قوله

(١) ذكر صدر الحديث أبو الفضل العراقي، في المغني عن حمل الأسفار: ٢/ ١٠٠٥، كتاب التوبة. وذكره باختلاف يسير الفيض الكاشاني، في المحجة البيضاء: ٧/ ٩٣ ــ ٩٤، كتاب التوبة، الركن الرابع في دواء التوبة.

(٢) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ٤٦، كتاب التوبة، الركن الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج.

(٣) قال الغزالي قبل إيراد الحديث: "قال بعض السلف".

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِن بَعْدِهِ﴾[١].

الثاني: حكايات المذنبين التائبين وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم.

الثالث: أن يتصور المذنب أن تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنب، وأن كل ما يصيب العبد من المصائب بسبب جناية صدرت منه، قال تعالى: ﴿وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾[٢].

وقال الصادق عليه السلام في هذه الآية[٣]: ليس من التواء عرق ولا نكبة حجر ولا عثرة قدم ولا خدشة[٤] عود إلا بذنب.[٥]

وفي رواية أخرى: أما إنه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلا بذنب، وذلك قول الله عزّوجل في كتابه: ﴿ما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾[٦] قال[٧]: وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به[٨].

وقال عليه السلام[٩]: إن الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل، وإن العمل السيئ أسرع في صاحبه من السكين في اللحم[١٠].

---

(١) سورة فاطر/ ٤١.

(٢) سورة الشورى/ ٣٠.

(٣) سورة الشورى/ ٣٠.

(٤) في الكافي: "ولا خدش".

(٥) الكافي، الكليني: ٢/ ٤٤٥، كتاب الإيمان والكفر، باب تعجيل عقوبة الذنب/ ح٦.

(٦) سورة الشورى/ ٣٠.

(٧) في الكافي: "قال: ثم قال".

(٨) الكافي، الكليني: ٢/ ٢٦٩، كتاب الإيمان والكفر، باب الذنوب/ ح٣.

(٩) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(١٠) الكافي، الكليني: ٢/ ٢٧٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الذنوب/ ح١٦.

الرابع: ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد، وهو مما لا يمكن حصره[1]. وفي الحديث يقول الله تعالى: «أدنى ما أصنع بالعبد إذا آثر شهوته على طاعتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي»[2].

وقال عليه السلام[3]: من همّ بالسيئة فلا يعملها، فإنه ربما عمل العبد سيئة[4] فيراه الرب تبارك وتعالى فيقول: وعزتي[5] لا أغفر لك بعد ذلك أبداً[6].

وقال الكاظم عليه السلام: حق على الله أن لا يعصى في دار إلا أضحاها للشمس حتى يطهرها[7].[8]

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام وإنه لينظر إلى أزواجه في الجنة يتنعمن[9].

---

(١) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٧/ ٩٣ ـ ٩٧، كتاب التوبة، الركن الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار. جامع السعادات، النراقي: ٣/ ٨٩، فصل علاج الإصرار على الذنوب. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ٤٦ ـ ٤٨، كتاب التوبة، الركن الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار.

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ٤٨، كتاب التوبة، الركن الرابع في دواء التوبة.

(٣) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٤) في الوسائل: "السيئة".

(٥) في الوسائل: "وعزتي وجلالي".

(٦) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٥/ ٣٠٣، كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب ٤٠ وجوب اجتناب الخطايا والذنوب/ح١٥.

(٧) في الكافي: "تطهرها".

(٨) الكافي، الكليني: ٢/ ٢٧٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الذنوب/ ح١٨.

(٩) الكافي، الكليني: ٢/ ٢٧٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الذنوب/ ح١٩.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لقائل بحضرته: أستغفر الله: ثكلتك أمك، أتدري ما الاستغفار؟ إن الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معانٍ: أولها الندم على ما مضى، والثاني العزم على ترك العود إليه أبداً، والثالث أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة، والرابع أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها تؤدي حقها، والخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد، والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: أستغفر الله[1].

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: التوبة حبل الله ومدد عنايته، ولابد للعبد من مداومة التوبة على كل حال، فتوبة الأنبياء من اضطراب السر، وتوبة الأولياء من تلوين الخطرات، وتوبة الأصفياء من التنفيس، وتوبة الخلص من الاشتغال بغير الله، وتوبة العالم من الذنوب.

ولكل واحد منهم معرفة وعلم في أصل توبته ومنتهى أمره، وذلك يطول شرحه هنا.

فأما توبة العالم فأن يغسل باطنه من الذنوب بماء الحسرة والاعتراف بجنايته دائماً، واعتقاد الندم على ما مضى والخوف على ما بقي من عمره، ولا يستصغر ذنوبه فيحمله ذلك إلى الكسل، ويديم البكاء والأسف على ما فاته من طاعة الله، ويحبس نفسه عن الشهوات، ويستغيث إلى الله ليحفظه على وفاء توبته، ويعصمه من العود إلى ما سلف، ويروض نفسه في ميدان الجهاد والعباد، ويقضي الفوائت

(١) أنظر: نهج البلاغة، الشريف الرضي: ٥٤٩ ـ ٥٥٠، فصل نذكر فيه شيئا من غريب كلامه المحتاج إلى التفسير/ الحكمة رقم٤١٧.

من الفرائض، ويرد المظالم، ويعتزل قرناء السوء، ويسهر ليله ويظمأ نهاره، ويتفكر دائماً في عاقبته، ويستعين بالله سائلاً منه الاستقامة في سرائه وضرائه، ويثبت عند المحن والبلاء كي لا يسقط عن درجة التوابين، فإن ذلك طهارة من ذنوبه وزيادة في عمله ورفعة في درجاته قال الله عزّوجل: ﴿**وَلَيَعْلَمَنَّ**[1] **اللّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ**﴾[2].[3]

---

(١) في النص القرآني: "فليعلمن".

(٢) سورة العنكبوت/ ٣.

(٣) مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ٩٧ ــ ٩٨، الباب الرابع والأربعون في التوبة. وفيه النص: «التوبة حبل الله و مدد عنايته ولا بد للعبد من مداومة التوبة على كل حال وكل فرقة من العباد لهم توبة فتوبة الأنبياء من اضطراب السر وتوبة الأولياء من تلوين الخطرات وتوبة الأصفياء من التنفيس وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله تعالى وتوبة العام من الذنوب ولكل واحد منهم معرفة وعلم في أصل توبته ومنتهى أمره وذلك يطول شرحه هاهنا فأما توبة العام فأن يغسل باطنه بماء الحسرة والاعتراف بجنايته دائما واعتقاد الندم على ما مضى والخوف على ما بقي من عمره ولا يستصغر ذنوبه فيحمله ذلك إلى الكسل ويديم البكاء والأسف على ما فاته من طاعة الله ويحبس نفسه عن الشهوات ويستغيث إلى الله تعالى ليحفظه على وفاء توبته ويعصمه عن العود إلى ما أسلف ويراوض نفسه في ميدان الجهل والعبادة ويقضي عن الفوائت من الفرائض ويرد المظالم ويعتزل قرناء السوء ويسهر ليله ويظمأ نهاره ويتفكر دائما في عاقبته ويستعين بالله سائلا منه الاستقامة وسراءه وضراءه وثبت عند المحن والبلاء كيلا يسقط عن درجة التوابين فإن في ذلك طهارة من ذنوبه وزيادة في علمه ورفعة في درجاته قال الله تعالى شأنه العزيز ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ﴾ سورة العنكبوت/ ٣. وقد أوردنا النص لأهميته، ولاعتماد المؤلف "قدس سره" على نسخة مصباح الشريعة، وبسبب وجود اختلافات في الألفاظ تغير جوهر المعنى حتى في ذيل الحديث عند ذكر الآية الكريمة، لذا أوردنا النص من المصدر لإتمام الفائدة.



الباب الثاني

الصبر



في الصبر

وفيه فصول

الفصل الأول: في فضله

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**أُولئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[3] وقال تعالى: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا**﴾[4] وقال تعالى: ﴿**وَجَعَلْناهُمْ**[5] **أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا**﴾[6].

---

(١) سورة الزمر/ ١٠.

(٢) سورة القصص/ ٥٤.

(٣) سورة النحل/ ٩٦.

(٤) سورة الأعراف/ ١٣٧.

(٥) في النص القرآني: "وجعلنا منهم".

(٦) سورة السجدة/ ٢٤.

وما من طاعة إلا وأجرها بحساب إلا الصبر، ولأجل كون الصوم من الصبر[1] قال تعالى: «**الصوم لي وأنا أجزي به**»[2].

ووعد الصابرين بأنه معهم فقال: ﴿**وَاصْبِر إنَّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ**﴾[3].

وعلق النصرة على الصبر فقال: ﴿**بَلى إنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاف مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ**﴾[4].

وجمع للصابرين أموراً لم يجمعها لغيرهم فقال: ﴿**أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾[5].

وقال ﷺ: الصبر نصف الإيمان[6].

وقال ﷺ: من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر، ومن أعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار[7].

وسئل ﷺ عن الإيمان فقال: الصبر والسماحة[8].

---

(١) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٧/ ١٠٦، كتاب الصبر والشكر، الشطر الأول في الصبر.

(٢) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٢/٧٥، كتاب الصوم، باب فضل الصيام/ صدر الحديث ٤.

(٣) سورة الأنفال/ ٤٦. ونصها: ﴿وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

(٤) سورة آل عمران/ ١٢٥.

(٥) سورة البقرة/ ١٥٧.

(٦) مسكن الفؤاد، الشهيد الثاني: ٤١، الباب الثاني في الصبر وما يلحق به. وفيه جميع الشرح أعلاه من بداية الباب الثاني مع نصوص الآيات الكريمة.

(٧) مسكن الفؤاد، الشهيد الثاني: ٤١، الباب الثاني في الصبر وما يلحق به. مستدرك الوسائل، المحدث النوري: ٢/ ٤٢٥، كتاب الطهارة، أبواب الدفن وما يناسبه، باب ٦٤ استحباب الصبر على البلاء/ صدر الحديث ٢٣.

(٨) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/٣٢٢، باب الخطب والأوامر، الخطبة رقم ٢٣، فصل في مدح الصبر وانتظار الفرج.

وقال ﷺ : الصبر كنز من كنوز الجنة[١].

وقال ﷺ : أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس[٢].

وقيل: أوحى الله إلى داود: تخلق بأخلاقي، أنا الصبور[٣].

وقال الصادق عليه السلام : إذا دخل المؤمن قبره[٤] كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره، والبر مظل عليه[٥]، ويتنحى الصبر ناحية، فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته قال الصبر للصلاة والزكاة والبر: دونكم صاحبكم فإن عجزتم عنه فأنا دونه[٦].

وعنه عليه السلام[٧]: من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد[٨].

وعنه عليه السلام[٩] قال: إن الله تعالى أنعم[١٠] على قوم فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً، وابتلى قوماً بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة[١١].

---

(١) مستدرك الوسائل، المحدث النوري: ٢/٤٢٥، كتاب الطهارة، أبواب الدفن وما يناسبه، باب ٦٤ استحباب الصبر على البلاء.

(٢) مسكن الفؤاد، الشهيد الثاني: ٤٢، الباب الثاني في الصبر وما يلحق به.

(٣) أنظر: إرشاد القلوب، الديلمي: ١/١٢٧، الحكم والمواعظ، الباب الثامن والثلاثون في الصبر.

(٤) في الكافي: "في قبره".

(٥) في الكافي: "مطل عليه".

(٦) الكافي، الكليني: ٢/ ٩٠، كتاب الإيمان والكفر، باب الصبر/ ح ٨.

(٧) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٨) مشكاة الأنوار، الطبرسي: ٢٦، الباب الأول في الإيمان والإسلام وما يتعلق بهما، الفصل الخامس في الصبر.

(٩) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(١٠) في مجموعة ورام: "إن الله أنعم".

(١١) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ٢/ ١٨٧.

وعنه عن أبيه عليه السلام قال[1]: من لا يعد الصبر لنوائب الدهر يعجز[2].

وعن الباقر عليه السلام قال: الجنة محفوفة بالمكاره والصبر. فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات، فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار[3].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: بني الإيمان على أربع دعائم: اليقين، والصبر والجهاد، والعدل[4].

الفصل الثاني: في حقيقته وأساميه وأقسامه

إعلم أن القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى، والحرب بينهما على ساق، ومحل المعركة قلب المؤمن، ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله، ومدد باعث الشهوة والهوى من الشياطين الناصرين لأعداء الله فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة.

ثم إنه ضربان[5]: بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليه، وهو إما بالفعل كتعاطي الأعمال الشاقة من العبادات، وإما بالاحتمال كالصبر على

---

(١) في الكافي: حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن بعض أصحابه، عن أبان، عن عبدالرحمن بن سيابة، عن أبي النعمان، عن أبي عبدالله أو أبي جعفر عليهما السلام، قال: ... الحديث.

(٢) الكافي، الكليني: ٢/ ٩٣، كتاب الإيمان والكفر، باب الصبر/ ح٢٤.

(٣) الكافي، الكليني: ٢/ ٨٩، كتاب الإيمان والكفر، باب الصبر/ ح٧.

(٤) بحار الأنوار، ألمجلسي: ٧٩/ ١٣٧، كتاب الطهارة، الجنائز ومقدماتها ولواحقها، باب ١٨ فضل التعزي والصبر عند المصائب والمكاره.

(٥) الضرب: النحو والصنف، يقال: هذا ضرب ذاك، و ضريب ذاك، أي: مثله.
كتاب العين، الفراهيدي: ٧/ ٣١، مادة "ضرب".

الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة، ونفسي وهو الصبر عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى، وهو إن كان عن شهوة البطن والفرج سمي عفة، وإن كان على احتمال مكروه فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر.

وضده حال يسمى الجزع[١] والهلع[٢]، وهو إطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق[٣] الجيوب[٤] وغيرها.

وإن كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس، ويضاده حالة تسمى البطر[٥].

وإن كان في الحرب سمي شجاعة، ويضاده الجبن.

وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلماً، ويضاده التذمر[٦] والغضب.

وإن كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة[٧] سمي سعة الصدر، ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر.

---

(١) الجزع بالتحريك: نقيض الصبر.
الصحاح، الجوهري: ٣/ ١١٩٦، مادة "جزع".

(٢) الهلاع: الجزع وأهلعني: أجزعني.
كتاب العين، الفراهيدي: ١/ ١٠٧، مادة "هلع".

(٣) الشق: الفصل في الشيء.
لسان العرب، ابن منظور: ١٠/ ١٨٣، مادة "شقق".

(٤) الجيب: جيب القميص والدرع، والجمع جيوب.
لسان العرب، ابن منظور: ١/ ٢٨٨، مادة "جيب".

(٥) البطر: قيل: التبختر، وقيل: قلة احتمال النعمة، وقيل: البطر الطغيان في النعمة.
لسان العرب، ابن منظور: ٤/ ٦٨، مادة "بطر".

(٦) تذمر إذا تغضب، يقال: سمعت له تذمر، أي: تغضبا، وظل فلان يتذمر عليه، إذا تنكر عليه وأوعده.
تاج العروس، الزبيدي: ٣/٢٢٩.

(٧) الضجر: القلق من الغم، وتضجر: تبرم.
لسان العرب، ابن منظور: ٤/ ٤٨١، مادة "ضجر".

وإن كان في إخفاء كلام سمي كتماناً وصاحبه كتوماً، وضده الإذاعة.

وإن كان في فضول العيش سمي زهداً، ويضاده الحرص.

وإن كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة، ويضاده الشره.

فالصبر جامع لأكثر أخلاق الإيمان، وهو الرئيس الأعظم والإمام الأقوم فلذلك لما سئل ﷺ عن الإيمان[1] قال: الصبر[2].

ثم إن العبد لا يستغني عن الصبر في جميع الأحوال، لأن ما يلقاه العبد في الدنيا إما يوافق هواه وإما يكرهه، وحاله غير خارج عن هذين القسمين، وهو محتاج إلى الصبر في كل منهما:

أما النوع الأول: كالصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا، فما أحوج العبد إلى الصبر في هذه الأمور، لأنه إن لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون إليها والانهماك في ملاذها المباحة أخرجه ذلك إلى البطر والطغيان، فإن ﴿**الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى**﴾[3]، ولذا قال بعض العارفين: «البلاء يصبر عليه المؤمن، والعوافي لا يصبر عليها إلا صديق»[4] لأنه مقرون بالقدرة، ومن العصمة أن لا تقدر.

---

(١) في المستدرك: "ما الإيمان".

(٢) مستدرك الوسائل، المحدث النوري: ٢/٤٢٥، كتاب الطهارة، أبواب الدفن وما يناسبه، باب ٦٤ استحباب الصبر على البلاء.

(٣) سورة العلق/ ٦ ـ ٧.

(٤) إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ٦٠، كتاب الصبر والشكر، بيان مضان الحاجة إلى الصبر وأن العبد لا يستغني عنه في حال من الأحوال.

ولذا حذر الله تعالى عباده عن فتنة المال والزوج والولد، فقال: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾[1] وقال: ﴿**إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّ لَكُمْ**﴾[2] وقال: ﴿ **أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾[3].

وأما النوع الثاني: وهو ما لا يوافق الهوى ـ فهو إما الذي يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي أو لا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب، أو لا يرتبط أوله باختياره ولكن له اختيار في إزالته كالتشفي من المؤذي والانتقام منه.

والقسم الأول: هو سائر أفعاله التي توصف كونها طاعة أو معصية، أما الطاعة فالعبد يحتاج إلى الصبر عليها، لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية.

ثم من الطاعات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة، ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة، ومنها ما يكره بسببهما معاً كالحج والجهاد، فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد، ويحتاج فيه إلى ثلاثة أحوال:

الأولى: قبل الطاعة، وذلك في تصحيح النية والإخلاص، والصبر عن شوائب الرياء ومكائد النفس، وهو شديد ولذا قال ﷺ: إنما الأعمال بالنيات[4]. وقال تعالى: ﴿**وَما أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾[5] وقال تعالى: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ**﴾[6].

---

(١) سورة المنافقين/ ٩.

(٢) سورة التغابن/١٤. ونصها: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّ لَكُمْ﴾.

(٣) سورة الأنفال/ ٢٨.

(٤) تقريب المعارف، أبو الصلاح: ١٢٨، القسم الأول من تقريب المعارف في الكلام.

(٥) سورة البينة/ ٥.

(٦) سورة هود/ ١١.

الثانية: الصبر حالة العمل كي لا يغفل عن الله في أثناء عمله، ويلازم الصبر عن دواعي الفتور إلى الفراغ، وهو أيضاً شديد.

الثالثة: الصبر بعد الفراغ من العمل عن إفشائه للسمعة والرياء، والصبر عن النظر إليه بعين العجب وعن جميع المبطلات، قال تعالى: ﴿**وَلا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ**﴾[1] وقال: ﴿**وَ**[2]**لا تُبْطِلُواْ صَدَقاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذى**﴾[3].

والضرب الثاني المعاصي، وما أحوج العبد إلى الصبر عنها، وأشدها المعاصي المألوفة بالعادة، سيما إذا سهل فعله كالغيبة والكذب والرياء والثناء لأن العادة طبيعة ثابتة فإذا انضافت إلى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله.

والقسم الثاني: ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه، كما لو أوذي بقول أو فعل أو جني عليه في نفسه أو ماله فالصبر على ذلك بترك المكافأة، ولذا قال تعالى: ﴿**وَلَتَصْبِرَنَّ عَلى ما آذَيْتُمُونا**﴾[4] وقال تعالى: ﴿**وَدَعْ أَذاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلى اللَّه**﴾[5] وقال تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَميلاً**﴾[6] وقال تعالى: ﴿**وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذينَ أُوتُواْ الْكِتابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾[7]. وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: صل من قطعك وأعط من حرمك وأعف عمن ظلمك[8].

---

(١) سورة محمد/ ٣٣.

(٢) ليس في النص القرآني "الواو".

(٣) سورة البقرة/ ٢٦٤.

(٤) سورة إبراهيم/ ١٢. ونصها: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلى ما آذَيْتُمُونا﴾.

(٥) سورة الأحزاب/ ٤٨.

(٦) سورة المزمل/ ١٠. ونصها: ﴿وَاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾.

(٧) سورة آل عمران/ ١٨٦.

(٨) أنظر: كنز الفوائد، الكراجكي: ٢/ ٣١، فصل من عيون الحكم والنكت من جواهر الكلام.

القسم الثالث: ما لا يدخل تحت الاختيار أوله وآخره، كالمصائب مثل موت الأعزة وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض وسائر أنواع البلاء، وهذا صبر مستنده اليقين، قال ﷺ: أسألك من اليقين ما يهون[1] به عليّ مصائب الدنيا[2].

وقال ﷺ: قال الله تعالى[3]: «**إذا وجهت على عبد[4] من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً**»[5].

وقال ﷺ: انتظار الفرج بالصبر عبادة[6].

وقال عليه السلام[7]: ما من عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى «**إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأعقبني خيراً منها**» إلا فعل الله ذلك[8].[9]

---

(١) في المحجة: "ما تهون".

(٢) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٧/ ١٢٦، كتاب الصبر والشكر، بيان مظان الحاجة إلى الصبر.

(٣) في الدعوات: "يقول الله عزّوجل".

(٤) في الدعوات: "إذا وجهت إلى عبد".

(٥) الدعوات، الراوندي: ١٧٢، الباب الثالث في ذكر المرض ومنافعه العاجلة والآجلة وما يجري مجراها، فصل في صلاة المريض وصلاحه وأدبه ودعائه عند المرض/ ح٣٥.

(٦) الدعوات، الراوندي: ٤١، الباب الأول، الفصل الثاني في كيفية الدعاء وآدابه وأوقات استجاباته/ ح٧٧.

(٧) أي: "النبي محمد ﷺ".

(٨) في المحجة: "ذلك به".

(٩) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٧/ ١٢٦، كتاب الصبر والشكر، بيان مظان الحاجة إلى الصبر، القسم الثالث.

وفي الكافي عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء والأرض، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجه ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش، ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش[1].

وقال الباقر عليه السلام: الصبر صبران: صبر على البلاء حسن جميل، و[2] أفضل الصبرين الورع عن محارم الله[3].

واعلم أن الإنسان إنما يخرج من مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى، وهذه الأمور داخلة تحت الاختيار، فينبغي أن يجتنب جميعها ويظهر الرضا بالقضاء، لا أنه لا يكره المصيبة في نفسه لأن ذلك غير مختار فلا يخرجه ذلك عن حد الصابرين ولا توجع القلب وفيضان العين، ولذلك لما مات إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وآله فاضت عيناه، فقيل له: أما نهيتنا عن هذا؟ قال: إن هذا رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحماء[4] وقال صلى الله عليه وآله: تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب[5].

(١) الكافي، الكليني: ٢/ ٩١، كتاب الإيمان والكفر، باب الصبر/ ح١٥.

(٢) ليس في مجموعة ورام: حرف "الواو".

(٣) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١٦.

(٤) أنظر: مسكن الفؤاد، الشهيد الثاني: ١٠٥ ـ ١٠٦، الباب الرابع في البكاء.

(٥) أنظر: تحف العقول، الحراني: ٣٧، ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله، وروي عنه صلى الله عليه وآله في قصار هذه المعاني.

بل ذلك أيضاً لا يخرج عن مقام الرضا، فإن المقدم على الفصد[1] والحجامة راض به وهو متألم بسببه لا محالة. نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب[2]، فعن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تعالى: «من مرض فلم يشك إلى عواد أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه، فإن عافيته عافيته ولا ذنب له، وإن قبضته قبضته إلى رحمتي»[3]. وفُسّر التبديل بأن يبدله لحماً ودماً وبشرة لم يذنب فيها، وفسرت الشكاية بأن يقول: ابتليت بما لم يبتل به أحد وأصابني ما لم يصب أحداً وقال عليه السلام[4]: وليس الشكوى أن يقول: سهرت البارحة وحممت اليوم ونحو هذا[5].

وسئل الباقر عليه السلام عن الصبر الجميل فقال: ذاك صبر ليس فيه شكوى، وأما الشكاية إلى الله تعالى فلا بأس بها كما قال يعقوب: ﴿**إِنَّما أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ**﴾[6] [7].

---

(١) الفصد قطع العروق. وافتصد فلان: قطع عرقه ففصد.
كتاب العين، الفراهيدي: ٧/ ١٠٢، مادة "فصد".

(٢) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ١٤٢ ـ ١٤٨، المقالة الرابعة في مكارم الأخلاق وتحصيلها، الباب الأول في فضيلة الصبر. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ٥٤ ـ ٦٦، كتاب الصبر والشكر.

(٣) أنظر: الكافي، الكليني: ٣/ ١١٥، كتاب الجنائز، باب آخر منه/ ح١.

(٤) الإمام الصادق عليه السلام.

(٥) مشكاة الأنوار، الطبرسي: ٢٧٩، الباب السابع في ذكر المصائب والشدائد والبلايا وما وعد الله من الثواب وذكر الموت، الفصل الأول فيما جاء في الصبر على المصائب/ذيل الحديث.

(٦) سورة يوسف/ ٨٦.

(٧) أنظر: التمحيص، الإسكافي: ٦٣، باب ٨ مدح الصبر وترك الشكوى واليقين والرضا بالبلوى/ ح٢٢.

الفصل الثالث: في دواء الصبر وعلاجه

إعلم أن «الذي أنزل الداء أنزل الدواء»[1] ووعد الشفاء، فالصبر وإن كان شاقاً ولكن يمكن تحصيله بمعجون العلم والعمل، بتقوية باعث الدين، وتضعيف باعث الهوى بالمجاهدة والرياضة وذكر قلة قدر الشدة ودقتها، وإضرار الجزع وقبحه، وأن يكثر فكره في ما ورد في فضل الصبر وحسن عواقبه في الدنيا والآخرة[2] وأن يعلم أن ثواب الصبر على المصيبة أكثر مما فات[3]، وأنه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة، إذ فاته ما لا يبقى معه إلا مدة الحياة الدنيا وحصل له ما يبقى بعد موته أبد الدهر.

ومن أسلم خسيساً[4] في نفيس[5] فلا ينبغي أن يحزن لفوات الخيس[6] في

---

(١) الدعوات، الراوندي: ١٨٠ ــ ١٨١، فصل في التداوي بتربة مولانا وسيدنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام / ح١.

(٢) نذكر ههنا بعض المصادر التي وضعت للصبر أبوابا، منها:

الكافي، الكليني: ٢/ ٨٧، كتاب الإيمان والكفر، باب الصبر. وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٣/ ٢٥٥، باب ٧٦ استحباب الصبر. ارشاد القلوب، الديلمي: ١/ ١٢٦، الباب الثامن والثلاثون في الصبر.

(٣) أنظر: غرر الحكم ودرر الكلم، الآمدي: ٢٨٢، الباب الثاني النفس وما حولها، الفصل السابع في الصبر والحلم والاستقامة، الصبر على البلية.

(٤) الخسيس: الدنيء. وخس الشيء يخس ويخس خسة و خساسة، فهو خسيس: رذل. لسان العرب، ابن منظور: ٦/ ٦٤، مادة "خسس".

(٥) النفيس والمنفس المال له قدر وخطر، ثم عم فقال: كل شيء له خطر وقدر فهو نفيس ومنفس. لسان العرب، ابن منظور: ٦/ ٢٣٨، مادة "نفس".

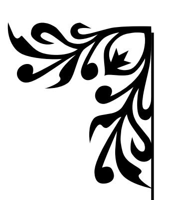
(٦) الإنسان يخيس في المخيس حتى يبلغ منه شدة الغم والأذى ويذل ويهان. كتاب العين، الفراهيدي: ٤/٢٨٨، مادة "خيس".

الحال، وأن يعوّد هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجاً حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجرئ عليها ويقوي منته في مصارعتها، فإن الاعتياد والممارسة للأعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الأعمال، ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما أراد.

ثم إن كان ذلك بتعب قوي فتصبّر وإن كان بيسير فصبر، وإن كان بجهد ففرض وإن كان بتلذذ فشكر، وهو بالغيبة عن حظوظ النفس والشهود مع الله تعالى وعدم التميز بين الألم واللذة[1].

---

(١) أنظر: جامع السعادات، النراقي: ٣/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠، فصل طريق تحصيل الصبر. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ٦٦ ـ ٧٠، كتاب الصبر والشكر، بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه.



الباب الثالث

الرضا بالقضاء



في الرضا بالقضاء

وهو ترك الاعتراض والسخط، قال الله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[1].

وقال الصادق عليه السلام: رأس طاعة الله الصبر، والرضا في ما أحب العبد أو كره، ولا يرضى عبد عن الله في ما أحب أو كره إلاّ كان خيراً له في ما أحب أو كره[2].

وقال عليه السلام[3]: إن أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله[4].

وقال الكاظم عليه السلام: ينبغي لمن عقل عن الله أن لا يستبطئه في رزقه ولا يتهمه في قضائه[5].

---

(١) سورة المائدة/ ١١٩.

(٢) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٦٠، كتاب الإيمان والكفر، باب الرضا بالقضاء/ ح١.

(٣) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٤) مشكاة الأنوار، الطبرسي: ٣٣، الباب الأول في الإيمان والإسلام وما يتعلق به، الفصل السابع في الرضا.

(٥) تحف العقول، الحراني: ٤٠٨، وروي عن الإمام الكاظم الأمين أبي إبراهيم ويكنى أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام في طوال هذه المعاني، وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

وقال الصادق عليه السلام: قال الله عزّوجل: عبدي المؤمن لا أصرفه في شيء إلا جعلت له خيراً[1]، فليرض بقضائي وليصبر على بلائي وليشكر نعمائي أكتبه يا محمد من الصديقين عندي[2].

وقال عليه السلام[3]: إن في ما أوحى الله عزّوجل إلى موسى بن عمران: ما خلقت خلقاً أحب إلي من عبدي المؤمن، وإني إنما أبتليه لما هو خير له، وأزوى عنه لما هو خير له، وأعافيه لما هو خير له، وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدي فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي وليرض بقضائي أكتبه في الصديقين عندي إذا عمل برضاي وأطاع أمري[4].

وقال عليه السلام[5]: عجبت للمرء المسلم لا يقضي الله عزّوجل له قضاء إلا كان خيراً له، وإن قرض[6] بالمقاريض[7] كان خيراً له، وإن ملك مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له[8].

---

(١) في الكافي: "جعلته خيرا له".

(٢) الكافي، الكليني: ٢/ ٦١، كتاب الإيمان والكفر، باب الرضا والقضاء/ ح٦.

(٣) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٤) أنظر: مسكن الفؤاد، الشهيد الثاني: ٨٨، الباب الثالث في الرضا.

(٥) الإمام الصادق عليه السلام.

(٦) القرض: القطع. قرضه يقرضه، بالكسر، قرضا وقرضه: قطعه.
لسان العرب، ابن منظور: ٧ / ٢١٦، مادة "قرض".

(٧) المقراض واحد المقاريض التي يقرض بها.
مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٤٨٨، مادة "قرض".
المقراض: هو ما قصصت به.
تاج العروس، الزبيدي: ٤/ ٤٢٢.

(٨) الكافي، الكليني: ٢/ ٦٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الرضا بالقضاء/ ح٨.

وقال الباقر عليه السلام: أحق خلق الله أن يسلم لما قضى الله عزّوجل، من عرف الله عزّوجل ومن رضي بالقضاء أتى عليه القضاء وعظم الله أجره، ومن سخط القضاء مضى عليه القضاء فأحبط[1] الله أجره[2].

وقال السجاد عليه السلام: الزهد عشرة أجزاء، أعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا.[3]

وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه سأل طائفة من أصحابه فقال: ما أنتم؟ فقالوا: مؤمنون. فقال: ما علامة إيمانكم؟ فقالوا: نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء. فقال صلى الله عليه وآله: مؤمنون ورب الكعبة[4]. وفي رواية: حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء[5].

وههنا كلام، وهو أنه كيف يتصور الرضا بأنواع البلاء والابتلاء وما يخالف الهوى والطبع، وإنما يتصور الصبر في هذه الأمور دون الرضا؟

فاعلم أن الرضا فرح الحب، فإذا حصلت المحبة حصل الرضا، ولذلك مرتبتان عليا وسفلى:

أما العليا: فهو أن يبطل الإحساس بالألم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس وتصيبه الجراحة ولا يدرك ألمها، وشاهده في عالم الأجسام الرجل المحارب، فإنه في حال غضبه أو خوفه قد تصيبه جراحات عظيمة ولا يحس بها ولا بألمها، فإذا

(١) في مجموعة ورام: "وأحبط".

(٢) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ٢/ ١٨٥.

(٣) مسكن الفؤاد، الشهيد الثاني: ٨٦، الباب الثالث في الرضا.

(٤)أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠، بيان الحب لله ولرسوله.

(٥) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ٢٣٠، بيان الحب لله ولرسوله. السيرة النبوية، ابن كثير: ٤/ ١٨١، وفد كندة.

رأى الدم استدل به على الجراحة، وكذلك الذي يعدو في شغل أو حاجة قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالألم لاشتغال قلبه، وإذا اشتغل القلب صار مستغرقاً بأمر من الأمور لم يدرك ما عداه، وكذا العاشق والمحب إذا أصابه ألم ـ سيما من المحبوب ـ لا يدركه لاستيلاء الحب عليه.

وأما المرتبة السفلى: فهو أن يحس به ويدرك ألمه ولكن يكون راضياً به بل راغباً فيه مريداً له بعقله وإن كان كارهاً له بطبعه نظراً إلى ثوابه الذي أعد له. ونظيره في عالم الأجسام الذي يلتمس من الفصاد الفصد[1] ومن الحجام الحجامة ومن الطبيب الدواء المر. فإنه يدرك ألمه إلا أنه راض به راغب فيه متقلد فيه المنة لما يعلم من العاقبة.

وقد حكي أن امرأة عثرت فانقطع ظفرها وسال الدم فضحكت، فقيل لها: أما تألمت؟ فقالت: لذة الأجر أنستني الألم[2].

ويروى أن أهل مصر كانوا إذا جاعوا نظروا الى وجه يوسف عليه السلام فيشغلهم جماله عن الإحساس بألم الجوع[3].

وفي القرآن ما هو أبلغ من ذلك، وهو قطع النسوة أيديهن ولم يحسن بذلك لما نظرن إلى جماله عليه السلام[4].

---

(١) الفصد بالفتح فالسكون: قطع العرق، يقال فصد فصدا من باب ضرب، والاسم الفصاد. مجمع البحرين، الطريحي: ٣/٤٠٤، مادة "فصد".

(٢) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ٣٠٣، كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، بيان حقيقة الرضا وتصوره.

(٣) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٨/ ٩٢، كتاب المحبة والشوق والرضا والأنس، بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حاشَ لِلّهِ ما هذا بَشَراً إِنْ هذا إِلاّ ←

واعلم أن الدعاء غير مناقض للرضا، لأنه عبادة تعبدنا الله بها وجعل من لم يدعه مستكبراً عليه مستحقاً للعذاب، فقال تعالى: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ**﴾[1].

وكذا تعبدنا الله بإنكار المعاصي وكراهتها، فروي أن من شهد منكراً ورضي به فكأنه قد فعله[2]. وفي آخر: لو أن عبداً قتل بالمشرق ورضي بقتله آخر بالمغرب كان شريكه في قتله[3].

واعلم أن فائدة الرضا في الحال فراغ القلب للعبادة والراحة من الهموم وفي المال رضوان الله والنجاة من غضبه، فقد قال سبحانه: من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليطلب رباً سوائي[4].

والطريق إلى تحصيله أن يعلم أن ما قضى الله سبحانه له فهو الأصلح بحاله وإن لم يبلغ علمه بسره وحكمته، ولا مدخل للهم فيه ولا يتبدل القضاء به، فإن ما قدر لا محالة يكون وما لم يقدر لا يكون، وما أحسن ما قيل[5]:

ما لا يكون فلا يكون بحيلة	أبداً وما هو كائن سيكون[6]

مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ سورة يوسف/٣١.

(١) سورة غافر/ ٦٠.

(٢) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٨/ ٩٥، كتاب المحبة والشوق والرضا، بيان أن الدعاء غير مناقض للرضا ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا.

(٣) أنظر: روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٢/ ٤٦١، مجلس في ذكر قتل النفس والزنى.

(٤) أنظر: كنز الفوائد، الكراجكي: ١/ ٣٦٠، فصل من القول في القضاء والقدر.

(٥) القائل: الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٦) ديوان الإمام علي عليه السلام، الإمام علي عليه السلام: ٤٥١.

وحسرة الماضي وتدبير الآتي يذهبان ببركة الوقت بلا فائدة وتبقى تبعة السخط عليه، بل ينبغي أن يدهشه الحب عن الإحساس بالألم كالعاشق والحريص، وأن يهون عليه العلم بجزيل الثواب وعظيم الأجر كالمريض والتاجر المتحملين شدة الحجامة والسفر، فيفوض أمره إلى الله ﴿**إِنَّ اللّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ**﴾[1].[2]

---

(١) سورة غافر/ ٤٤.

(٢) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ١٥٠ ـ ١٥٣، الباب الثاني في الرضا وطريق تحصيله. جامع السعادات، النراقي: ٣/ ٢٠٨ ـ ٢١٤. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ٣٠٢ ـ ٣٠٨، كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى.



الباب الرابع

الشكر



في الشكر

والكلام فيه في فصول

الفصل الأول: في فضله

إعلم أن الله تعالى قرن الشكر مع الذكر[١] في قوله: ﴿**وَلَذِكْرُ اللّهِ أَكْبَرُ**﴾[٢] فقال: ﴿**اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلا تَكْفُرُونِ**﴾[٣] وقال تعالى: ﴿**ما يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ**﴾[٤] وقال تعالى: ﴿**وَسَنَجْزِي الشّاكِرِينَ**﴾[٥] وقال تعالى: ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ**﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ**﴾[٧].

---

(١) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٧/ ١٤١، كتاب الصبر والشكر، بيان فضيلة الشكر.

(٢) سورة العنكبوت/ ٤٥.

(٣) سورة البقرة/ ١٥٢. ونصها: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾.

(٤) سورة النساء/ ١٤٧.

(٥) سورة آل عمران/ ١٤٥.

(٦) سورة إبراهيم/ ٧.

(٧) سورة سبأ/ ١٣.

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الطاعم الشاكر له من الأجر كأجر الصائم المحتسب والمعافى الشاكر له من الأجر كأجر المحروم القانع[1].

وعنه عليه السلام[2] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما فتح الله على عبد باب شكر فخزن عنه باب الزيادة[3].

وعنه عليه السلام[4] قال: من أعطي الشكر أعطي الزيادة، قال الله تعالى[5]: ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾[6].[7]

وعنه عليه السلام[8] قال: ما أنعم الله على عبد بنعمة[9] فعرفها بقلبه وحمد الله ظاهراً بلسانه فتم كلامه حتى يؤمر له بالمزيد[10].

وعن الباقر عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله عند عائشة ليلتها فقالت: يا رسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟[11] فقال: يا عائشة ألا أكون عبداً شكوراً. قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم على أصابع

---

(١) الكافي، الكليني: ٢/ ٩٤، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر/ ح١.

(٢) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٦/ ٣١١، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب فعل المعروف، باب ٨ تحريم كفر المعروف من الله كان أو من الناس/ ح٥.

(٤) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٥) في الكافي: "يقول الله عزّوجل".

(٦) سورة إبراهيم/ ٧.

(٧) الكافي، الكليني: ٢/ ٩٥، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر/ ح٨.

(٨) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٩) في المحجة: "من نعمة".

(١٠) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٧/ ١٤٤، كتاب الصبر والشكر، بيان فضيلة الشكر.

(١١) إشارة الى قوله تعالى في سورة الفتح / الآية ٢: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَما تَأَخَّرَ...الآية﴾.

رجليه[١]، فأنزل الله سبحانه[٢]: ﴿طه ۞ ما أَنزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى﴾[٣].[٤]

وعن الصادق عليه السلام قال مكتوب في التوراة: أشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك، فإنه لا زوال للنعماء إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت، الشكر زيادة في النعم وأمان من الغير[٥].

وسئل عليه السلام[٦] عن قوله تعالى: ﴿وَأَمّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٧]؟ قال: الذي أنعم الله عليك بما فضلك وأعطاك وأحسن عليك. ثم قال: فحدث بدينه وما أعطاه الله وما أنعم به عليه[٨].

وقال عليه السلام[٩]: ثلاث لا يضر معهن شيء: الدعاء عند الكرب، والاستغفار عند الذنب، والشكر عند النعمة[١٠].

وقال عليه السلام[١١]: شكر النعمة اجتناب المحارم، وتمام الشكر قول الرجل ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعالَمينَ﴾[١٢].[١٣]

---

(١) في الكافي: "على أطراف أصابع رجليه".

(٢) في الكافي: "سبحانه وتعالى".

(٣) سورة طه/ ١ ـ ٢.

(٤) الكافي، الكليني: ٢/ ٩٥، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر/ ح٦.

(٥) الكافي، الكليني: ٢/ ٩٤، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر/ ح٣.

(٦) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٧) سورة الضحى/ ١١.

(٨) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٩٤، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر/ ح٥.

(٩) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(١٠) الكافي، الكليني: ٢/ ٩٥، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر/ ح٧.

(١١) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(١٢) سورة الفاتحة/ ٢.

(١٣) الكافي، الكليني: ٢/ ٩٥، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر/ ح١٠.

وقال عليه السلام[1]: شكر كل نعمة وإن عظمت أن يحمد[2] الله عزّوجل[3].

وقال عليه السلام[4]: ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت فقال: ﴿**الْحَمْدُ لِلّهِ**﴾[5] إلاّ أدى شكرها[6].

وقال عليه السلام[7]: إن الرجل منكم ليشرب الشربة من الماء فيوجب الله بها الجنة، ثم قال عليه السلام: إنه ليأخذ الإناء فيضعه على فيه فيسمي، ثم يشرب فينحيه وهو يشتهيه فيحمد الله، ثم يعود فيشرب ثم ينحيه فيحمد الله، فيوجب الله عزّوجل بها له الجنة[8].

وقال الكاظم عليه السلام: من حمد الله على نعمة[9] فقد شكره، وكان الحمد أفضل من تلك النعمة[10].

وعن عمر بن يزيد[11] قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني سألت الله عزّوجل أن

(١) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٢) في الخصال: "أن تحمد".

(٣) الخصال، الشيخ الصدوق: ١/ ٢١، باب الواحد، شكر كل نعمة خصلة/ ح٧٣.

(٤) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٥) سورة الفاتحة/ ٢.

(٦) الكافي، الكليني: ٢/ ٩٦، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر/ ح١٤.

(٧) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٨) أنظر: جامع الأخبار، الشعيري: ١٢٧، الفصل الخامس والثمانون في الشكر.

(٩) في الكافي: "على النعمة".

(١٠) الكافي، الكليني: ٢/ ٩٦، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر/ ح١٣.

(١١) الظاهر من كلام الكشي والطوسي عنه، وكلام النجاشي عن ابنه، أنه عمر بن يزيد بياع السابري: وهو مولى ثقيف، ثقة له كتاب.

رجال الكشي، الكشي: ٣٣١، ما روي في عمر بن يزيد بياع السابري مولى ثقيف/ الرقم ←

يرزقني مالاً فرزقني، وإني سألت الله أن يرزقني ولداً فرزقني، وسألته أن يرزقني داراً فرزقني، وقد خفت أن يكون ذلك استدراجاً. فقال: أما والله مع الحمد فلا.[1]

وعنه عليه السلام[2] أنه خرج من المسجد وقد ضاعت دابته، فقال: لئن ردها الله علي لأشكرن الله حق شكره، فما لبث أن أوتي بها فقال: الحمد لله. فقيل له: جعلت فداك أليس قلت لأشكرن الله حق شكره؟ فقال عليه السلام: ألم تسمعني قلت ﴿**الْحَمْدُ للّهِ**﴾[3].[4]

وعنه عليه السلام[5] قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ورد عليه أمر يسره قال: «الحمد لله على هذه النعمة»، وإذا ورد عليه أمر يغتم به قال: «الحمد لله على كل حال».[6]

وعنه عليه السلام[7] قال: تقول ثلاث مرات إذا نظرت إلى المبتلى من غير أن تسمعه «الحمد لله الذي عافاني بما ابتلاك به ولو شاء لفعل»[8] من قال[9] ذلك لم

---

٦٠٥. رجال النجاشي، النجاشي: ٣٦٤، محمد بن عمر بن يزيد بياع السابري/ الرقم ٩٨١. رجال الطوسي، الطوسي: ٣٣٩، باب العين، عمر بن يزيد بياع السابري/ الرقم٧.

(١) الكافي، الكليني: ٢/ ٩٧، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر/ ح١٧.

(٢) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٣) سورة الفاتحة/ ٢.

(٤) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٩٧، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر/ ح١٨.

(٥) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٦) الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ١٥٥، الباب الثاني في الرضا وطريق تحصيله، الفصل الثالث في الشكر وطريق تحصيله.

(٧) الإمام الباقر عليه السلام.

(٨) في الكافي: "ولو شاء فعل".

(٩) في الكافي: «قال: من قال».

يصبه ذلك البلاء أبداً[1].

الفصل الثاني: في حده وحقيقته

إعلم أن الشكر من أفضل الأعمال، وهو ينتظم من علم وحال وعمل. فالعلم هو الأصل فيورث الحال، والحال يورث العمل، والعلم هو معرفة النعمة من المنعم، والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه، والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه، ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان.

وينبغي لمن أراد شكر الله أن يعلم بأن النعم كلها من الله تعالى، والوسائط مسخرون سخرهم لك برحمته وألقى في قلوبهم من الاعتقاد والرأفة ما صاروا به مضطرين إلى الإيصال إليك، وهذا هو الشكر بالقلب.

وأما الفرح بالنعم مع هيئة الخضوع والتواضع فهو أيضاً في نفسه شكر على حدة، كما أن المعرفة شكر، فإن كان فرحك بالنعم خاصة لا بالنعمة ولا بالإنعام بل من حيث إنك تقدر النعمة على التوصل إلى القرب من المنعم فهو المرتبة العليا من الشكر، وإمارته أن لا تفرح بنعم الدنيا إلا من حيث أنها مزرعة الآخرة ومعينة عليها، وتفرح بهذا المقدار وتحزن بكل نعمة تلهيك عن ذكر الله، وهذا أيضاً شكر بالقلب.

وأما العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم فهو يتعلق بالقلب واللسان والجوارح: أما بالقلب فقصد الخير وإضماره لكافة الخلق، وأما باللسان فبإظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه، وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته، حتى إن شكر العينين أن يستر كل

---

(١) الكافي، الكليني: ٢/ ٩٧، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر/ ح٢٠.

عيب يراه بمسلم، وشكر الأذنين أن يستر كل عيب يسمعه لمسلم، فيدخل هذا وأمثاله في جملة شكر نعمة هذه الأعضاء[1].

بل قال أرباب المعرفة[2]: إن من كفر نعمة العين فقد كفر نعمة الشمس أيضاً، إذ الإبصار إنما يتم بها، وإنما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بهما ما يضره فيهما، بل المراد من الخلق الأرض والسماء وخلق الدنيا وأسبابها أن يستعين الخلق بها على الوصول إلى الله، ولا وصول إليه إلا بمحبته والأنس به في الدنيا والتجافي عن غرورها[3]، ولا أنس إلا بدوام الذكر، ولا محبة إلا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر[4]، ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر إلا ببقاء البدن، ولا يبقى البدن إلا بالأرض والماء والهواء، ولا يتم ذلك إلا بخلق الأرض والسماء وخلق سائر الأعضاء، وكل ذلك لأجل البدن، والبدن مطية[5] النفس، والراجع إلى الله هي المطمئنة[6] بطول العبادة والمعرفة، فكل من استعمل شيئاً في غير طاعة

---

(١) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ١٥٣ ـ ١٥٤، الباب الثاني في الرضا وطريق تحصيله، الفصل الثالث في الشكر وطريق تحصيله. المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٧/ ١٤٤ـ ١٤٩، كتاب الصبر والشكر، بيان حد الشكر وحقيقته. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ٧٢ ـ ٧٤، كتاب الصبر والشكر، بيان حد الشكر وحقيقته.

(٢) القائل هو: محمد بن مرتضى المشهور بالملا محسن الفيض الكاشاني.

(٣) غرت: استغفلت. وغرته الدنيا غرورا من باب قعد: خدعته بزينتها.
مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٣٠٣، مادة "غرر".

(٤) قال أمير المؤمنين عليه السلام: "الفكر إحدى الهدايتين".
غرر الحكم، الآمدي: ١/ ٥٦ / ح٥٤١.

(٥) المطا وزن عسى: الظهر، والجمع أمطاء، ومنه قيل: البعير "مطية".
مجمع البحرين، الطريحي: ٤/ ٢١١، مادة "مطو".

(٦) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ سورة الفجر/ ٢٧.

الله فقد كفر نعمة الله في جميع الأسباب التي لابد منها لإقدامه على تلك المعصية، ولذا كان الشاكر الحقيقي قليلاً، قال تعالى: ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ**﴾.[1]

الفصل الثالث: في بيان معنى الشكر في حقه تعالى

لعلك تقول: إن الشكر إنما يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر، فإنا نشكر الملوك إما بالثناء ليزيد محلهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد صيتهم[2] وجاههم، أو بالخدمة التي هي إعانة لهم على بعض أغراضهم، أو بالمثول[3] بين أيديهم في صورة الخدم لتكثير سوادهم وزيادة جاههم، وهذا كله محال في حقه تعالى لوجهين.

أحدهما: إنه تعالى منزه عن الحظوظ والأغراض والحاجة ونشر الجاه والحشمة[4] وتكثير السواد ونحو ذلك.

الثاني: إن جميع ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة أخرى علينا من نعم الله، إذ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا وداعيتنا وسائر الأمور التي هي أسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته، فكيف نشكر نعمته بنعمته؟.

---

(١) سورة سبأ/ ١٣.

(٢) الصيت: الذكر الجميل الذي ينتشر في الناس، دون القبيح. يقال ذهب صيته في الناس. لسان العرب، ابن منظور: ٢/ ٥٨، مادة "صوت".

(٣) المثول: الانتصاب قائما، والفعل مثل يمثل. كتاب العين، الفراهيدي: ٨/ ٢٢٩، باب الثاء واللام والميم معهما، مادة "مثل".

(٤) حشمة الرجل وحشمه محركتين وأحشامه: خاصته الذين يغضبون له من أهل وعبيد أو جيرة. والحشم محركة للواحد والجمع: وهو العيال والقرابة أيضا. والحشمة بالكسر: الحياء والانقباض. القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ٤/ ٩٦، مادة "الحشمة".

ولو أعطانا الملك مركوباً فأخذنا مركوباً آخر له وركبناه، وأعطانا مركوباً آخر لم يكن الثاني شكراً للأول منا بل كان الثاني يحتاج إلى شكر كما يحتاج الأول، ثم لا يمكن شكر الشكر إلا بنعمة أخرى فيؤدي ذلك إلى أن يكون الشكر محالاً في حقه تعالى، وقد ورد الشرع به فكيف طريق الجمع بينهما؟.

فاعلم أن هذا الخاطر قد خطر لداود[1] أو لموسى[2] على اختلاف الروايتين ففي الكافي عن الصادق عليه السلام قال: أوحى الله عزّوجل إلى موسى: يا موسى أشكرني حق شكري. فقال: يا رب وكيف أشكرك حق شكرك وليس من شكر أشكرك به إلا وأنت أنعمت به علي. قال: يا موسى الآن شكرتني حيث علمت أن

---

(١) نبي الله داود عليه السلام: هو داود بن يسى، وقيل: إيشا بن عويبد بن بوعز، وقيل: عامر، وقيل: ياعز بن سلمون بن أحشون، وقيل: نحشون بن عمينا داب، وقيل: عويناداب، من سلالة إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام، ومعنى داود بالعبرية: الحبيب. ولد في بيت لحم بفلسطين حوالي عام ١٠٣٣ قبل ميلاد المسيح عليه السلام، وقيل: قبل الميلاد بـ ١٠٧١ سنة، وقيل: ١٠٨٦ سنة قبل الميلاد. توفي فجأة في أورشليم يوم السبت، وقيل: يوم الأربعاء، حدود عام ٩٦٢، وقيل: عام ١٠١٥ قبل ميلاد المسيح عليه السلام بعد أن عمر ١٠٠ سنة، وقيل: ٧٧ سنة، وقيل: ٧١ سنة، وقيل: ٨٠ سنة، وقيل: ١٢٠ سنة، فدفنوه في مدينة داود على جبل صهيون بفلسطين.
أعلام القرآن، عبد الحسين الشبستري: ٣٦١ ـ ٣٦٤، نبي الله داود عليه السلام.

(٢) موسى بن عمران عليه السلام: هو موسى، وبالعبرية: موشي بن عمران، أو عمرام، أو عمرم بن قاهث بن لاوي ابن نبي الله يعقوب عليه السلام. ولد موسى عليه السلام، وذلك بين سنتي ١٦٠٥ و١٦٤٥ قبل الميلاد. توفي على جبل نبو، وقيل: نبا بالقرب من جبل طور سيناء حدود سنة ١٥٢٥ قبل الميلاد أيام التيه، ودفن هناك، ويدعي اليهود أن فلسطين قبرا لموسى عليه السلام يقصدونه في كل سنة. توفي موسى عليه السلام وعمره ٢٤٠ سنة، وقيل ١٢٠ سنة، وقيل ١٢٦ سنة، وقيل ١٣٧ سنة.
أعلام القرآن، عبد الحسين الشبستري: ٩٣٧ ـ ٩٤٤، موسى بن عمران عليه السلام.

ذلك مني[1].

وفي حديث آخر: وشكري لك نعمة أخرى منك توجب الشكر لك. فقال تعالى: إذا عرفت أن النعم مني رضيت منك بذلك شكراً[2].

وعن السجاد عليه السلام أنه كان إذا قرأ هذه الآية ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لا تُحْصُوها**﴾[3] قال: سبحان من لم يجعل في أحد من معرفة نعمه إلا المعرفة بالتقصير عن معرفتها كما لم يجعل في أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم بأنه لا يدركه[4].

والجواب عن الأول: إن طلب الله من عباده الشكر كسائر التكاليف يرجع نفعه إليهم لا إليه.

وإن أردت إيضاح ذلك فاعلم أن ملكاً من الملوك لو أرسل إلى عبد قد بعد عنه مركوباً وملبوساً ونقداً لأجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك، فذلك الملك يتصور له حالتان: الأولى أن يكون قصده من إحضار عبده القيام ببعض مهماته والحظ بخدمته، والثانية أن لا يكون له حظ في حضوره أبداً ولا يزيد حضوره في ملكه مثقال ذرة، ولكنه قصد بذلك أن يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته ليرجع النفع إلى العبد نفسه لا إلى الملك، وإرادة الله الشكر من عباده مثال الحالة الثانية.

---

(١) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٩٨، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر/ ح٢٧.

(٢) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٧/ ١٥١ ـ ١٥٢، كتاب الصبر والشكر، بيان كشف الغطاء عن الشكر في حق الله سبحانه.

(٣) سورة النحل/ ١٨.

(٤) أنظر: تحف العقول، الحراني: ٢٨٣، وروي عن الإمام سيد العابدين عليه السلام في قصار هذه المعاني.

الفصل الرابع: في طريق تحصيل الشكر

وهو مركب من العلم والعمل، بأن يعرف الله ويتفكر في مصنوعاته وينظر إلى الأدنى في الدنيا فيشكر الله، وإلى الأعلى في الدين فيجتهد في الوصول إلى مرتبته، ويشكر في المصائب على أنه لم يصب بأكبر منها، وأنها لم تكن مصيبة دينية بل دنيوية، وأنه قد عجلت عقوبتها ولم تدخر للآخرة وأن ثوابها خير له، وأنها تنقص من القلب حب الدنيا، بل ربما بغضت الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة إليه، فهي في الحقيقة نعم يجب الشكر عليها، إذ لا تخلو مصيبة عن تكفير خطيئة أو رياضة نفس أو رفع درجة[١].

وليسأل الله العافية فإنها خير من البلاء[٢]، فكان النبي والأئمة عليهم السلام يستعيضون بالله من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة[٣]، وكانوا يقولون: ﴿**رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً**﴾[٤] وكانوا يستعيذون من شماتة الأعداء ومن سوء القضاء ومن

---

(١) قال الإمام علي عليه السلام: صبرك على المصيبة يخفف الرزية ويجزل المثوبة.
غرر الحكم، الآمدي: ٢٨٣، الصبر على البلية/ ح٢٤.

(٢) ورد في الخصال عن أمير المؤمنين عليه السلام: «سلوا الله العافية من جهد البلاء فإن جهد البلاء ذهاب الدين».
الخصال، الشيخ الصدوق: ٦٢٠/٢، علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في مجلس واحد أربعمائة باب.

(٣) ورد في مهج الدعوات: «وأعوذ بك من الجهل والهزل ومن شر القول والفعل ومن سقم يشغلني ومن صحة تلهيني وأعوذ بك من التعب والنصب والوصب والضيق والضنك والضلالة والغائلة والذلة والمسكنة والرياء والسمعة والندامة والحزن والخشوع والبغي والفتن ومن جميع الآفات والسيئات وبلاء الدنيا والآخرة وأعوذ بك من الفواحش ما ظهر منها وما بطن وأعوذ بك من وسوسة الأنفس مما تحب من القول والفعل والعمل».
مهج الدعوات، ابن طاووس: ١٠١، دعاء أمير المؤمنين عليه السلام.

(٤) سورة البقرة/ ٢٠٦.

حلول البلاء[1]، وقال رسول الله ﷺ: سلوا الله العافية، فما أعطي[2] عبد أفضل من العافية إلا اليقين[3]. وأشار باليقين إلى عافية القلب من مرض الجهل[4].

(١) ورد في مصباح الكفعمي: "أعذني من شماتة الأعداء ومن حلول البلاء ومن الذل والعناء". مصباح الكفعمي، الكفعمي: ٦٧٩، الفصل الثامن والأربعون فيما يعمل في ذي الحجة.

(٢) في المحجة: "أعطى" بدل "أعطي".

(٣) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٢٣٥/٧، كتاب الصبر والشكر، بيان فضل النعمة على البلاء.

(٤) أنظر: جامع السعادات، النراقي: ٣/ ٢٧٣ ـ ٢٧٦، فصل طريق تحصيل الشكر. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ٧٥ ـ ٧٩، كتاب الصبر والشكر، بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى.



الباب الخامس

الرجاء والخوف



في الرجاء والخوف

وهما جناحان يطير بهما المقربون إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود، وتحقيقهما في فصول:

الفصل الأول

الرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده، ولكن ذلك المحبوب متوقع لابد وأن يكون له سبب، فإن كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق، وإن كان ذلك انتظاراً مع انخرام[1] أسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه أصدق من اسم الرجاء، وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمني أصدق على انتظاره من اسم الرجاء.

وأيما كان فلا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على ما يتردد فيه، أما ما يقطع به فلا، فلا يقال: أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب، ويقال: أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه.

---

(١) ما خرم منه شيئا، أي: ما نقص وما قطع.

مختار الصحاح، الرازي: ٩٨، مادة "خرم".

وقد علم أرباب القلوب والعرفان بالبيان والوجدان والعيان أن «الدنيا مزرعة الآخرة»[1] والقلب كالأرض والإيمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها ومجرى الأنهار وسياق الماء إليها، والقلب المحب للدنيا كالأرض السبخة[2] التي لا ينمو فيها البذر، ويوم القيامة يوم الحصاد، ولا يحصد أحد إلا ما زرع، ولا ينمى زرع إلا من بذر الإيمان، وقلما ينفع الإيمان مع خبث القلب بالأخلاق الرديئة، كما لا ينمى زرع في أرض سبخة فليقس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع.

فكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً وأمده بما يحتاج إليه من سوق الماء في أوقاته ونقى الأرض عن الشوك والحشيش وسائر الموانع وجلس منتظراً من فضل الله دفع الصواعق المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاءً، وإن بث البذر في أرض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب إليها ماء ولم يشتغل بتعهد البذر أصلاً ثم انتظر الحصاد منه سمي انتظاره حمقاً وغروراً.

فينبغي للعبد أن يبث بذر الإيمان في القلب ويسقيه بماء الطاعات ويطهر القلب عن شوك الأخلاق الرديئة وينتظر من فضل الله تثبيته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة، فإذا فعل ذلك كان انتظاره رجاءً محموداً، وإن قطع عن بذر الإيمان تعهده بماء الطاعات أو ترك القلب مشحوناً

---

(١) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي: ١ / ٢٦٧، الفصل العاشر في أحاديث تتضمن شيئا من الآداب الدينية/ ح٦٦.

(٢) السباخ: جمع سبخة، وهي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٢/٣٣٣، باب السين مع الباء، مادة "سبخ".

برذائل الأخلاق وانتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور لا رجاء، ولهذا قال النبي ﷺ: الدنيا مزرعة الآخرة[1]. وقال ﷺ: الأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى[2]. وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ**﴾[3] أي أولئك ينبغي لهم أن يرجوا لا سواهم.

وقال تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا**﴾[4].

وعن الصادق عليه السلام أنه قيل له: إن قوماً من مواليك يلمون بالمعاصي ويقولون: نرجو. فقال: كذبوا ليسوا لنا بموال، أولئك قوم ترجّحت بهم الأماني: من رجا شيئاً عمل له، ومن خاف شيئاً هرب منه[5].

وقال عليه السلام[6]: لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو[7].

---

(١) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي: ١/ ٢٦٧، المقدمة، الفصل العاشر في أحاديث تتضمن شيئا من الآداب الدينية/ ح٦٦.

(٢) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ٢١٥، بيان آفة العجب. ونص الحديث: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله».

(٣) سورة البقرة/ ٢١٨.

(٤) سورة الأعراف/ ١٦٩.

(٥) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/٦٨ ـ ٦٩، كتاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجاء/ح٦.

(٦) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٧) الكافي، الكليني: ٢/ ٧١، كتاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجاء/ ح١١.

وقال حكيم[١] : من خاف شيئاً هرب منه ، ومن خاف الله هرب إليه[٢].

وقال آخر[٣] : من أعظم الاغترار التمادي في الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة ، وتوقع القرب من الله عزّ وجل بغير طاعة ، وانتظار زرع الجنة ببذر النار ، وطلب دار المطيعين بالمعاصي ، وانتظار الجزاء بغير عمل[٤].

واعلم أن الرجاء يورث طول المجاهدة بالأعمال والمواظبة على الطاعات في جميع الأحوال ، ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له ، فإن هذه الأحوال تظهر على من يرجو مثله من العبيد فكيف لا تظهر في حق الله. ومن ذلك يعلم أن جلّ رجائنا بل كله حمق وغرور ، فالمستعان بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله[٥].

---

(١) أبو القاسم الحكيم : إسحاق القاضي أبو قاسم الحكيم ، الفقيه الحنفي ، توفي ١٩٧ ، سبع وتسعون ومائة ، له مختصر في الحيض.

هدية العارفين ، إسماعيل باشا البغدادي : ١/ ١٩٦.

(٢) إحياء علوم الدين ، الغزالي : ٤/ ١٣٦ ، كتاب الخوف والرجاء ، بيان حقيقة الخوف. وفيه : قال أبوالقاسم الحكيم.

(٣) هو : يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي ، أبو زكريا : واعظ ، زاهد ، لم يكن له نظير في وقته. من أهل الري. أقام ببلخ ، ومات في نيسابور. توفي سنة ٢٥٨ هـ .

الأعلام ، الزركلي : ٨/ ١٧٢.

(٤) إحياء علوم الدين ، الغزالي : ٤/ ١٢٥ ، كتاب الخوف والرجاء ، بيان حقيقة الرجاء.

(٥) أنظر : الحقايق في محاسن الأخلاق ، الفيض الكاشاني : ١٥٨ ـ ١٦٠ ، الباب الثالث في الرجاء والخوف. المحجة البيضاء ، الفيض الكاشاني : ٧/ ٢٤٩ ـ ٢٥٢ ، كتاب الخوف والرجاء ، بيان حقيقة الرجاء. إحياء علوم الدين ، الغزالي : ٤/ ١٢٤ ـ ١٢٦ ، كتاب الخوف والرجاء ، بيان حقيقة الرجاء.

إعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف، لأن أقرب العباد إلى الله أحبهم إليه، والحب يغلب بالرجاء. واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفاً من عقابه والآخر رجاءً لثوابه، ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغائب، ولاسيما وقت الموت، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنّاسِ عَلى ظُلْمِهِمْ**﴾[2].

وعيّر الله قوماً فقال: ﴿**وَذلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ**﴾[3] وقال: ﴿**وظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا**﴾[4].

وفي أخبار يعقوب[5]: إن الله تعالى أوحى إليه: أتدري لِمَ فرقت بينك وبين يوسف[6]؟

---

(١) سورة الزمر/ ٥٣.

(٢) سورة الرعد/ ٦.

(٣) سورة فصلت/ ٢٣.

(٤) سورة الفتح/ ١٢.

(٥) يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان يعرف بإسرائيل، وهي كلمة عبرية، معناها: عبد الله، ويعقوب: اسم أعجمي. كان توأما مع أخيه عيص، أو عيصو، وأمه رفقة بنت بتوئيل أخي إبراهيم عليه السلام. وبعد أن أقام في مصر ١٧ سنة لبى نداء ربه وتوفي بها عن عمر ناهز ١٤٧ سنة، ودفن عند جبل المعظم، ثم حمل رفاته إلى فلسطين ودفن بها في بيت المقدس عند مرقد أبيه إسحاق عليه السلام وذلك حسب وصيته.

أعلام القرآن، عبد الحسين الشبستري: ١٠٥٥ ـ ١٠٥٦، نبي الله يعقوب عليه السلام.

(٦) هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام وأمه راحيل، أحد أنبياء بني إسرائيل، وكان راسخ الإيمان صديقا تقيا عفيفا صابرا، آية في الجمال، ومن أحسن الناس ←

لقولك: ﴿**إِنِّي أَخافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ**﴾[1] لِمَ خفت الذئب ولم ترجني؟ ولِمَ نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له؟[2].

وقال ﷺ[3]: لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله[4].

وقال ﷺ[5]: يقول الله أنا عند ظن عبدي بي، فليظنّ بي ما شاء[6].

ودخل ﷺ[7] على رجل وهو في النزع[8] فقال: كيف تجدك؟ قال: أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي. فقال ﷺ: ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا وآمنه مما يخاف[9].

وجها، ولد في فدان آرام في العراق، ونشأ في الشام تحت رعاية وتربية أبيه يعقوب عليه السلام. توفي بمصر عن عمر قارب ١٢٠ سنة، وقيل: ١١٠ سنوات، وأوصى بأن يحمل جثمانه إلى فلسطين، ويدفن عند آبائه.

أعلام القرآن، عبد الحسين الشبستري: ١٠٧١ ـ ١٠٧٦، نبي الله يوسف عليه السلام.

(١) سورة يوسف/ ١٣. ونصها: ﴿وَأَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ﴾.

(٢) فيض القدير، المناوي: ٢/ ٣٣٢.

(٣) النبي محمد ﷺ.

(٤) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٥٠٣/٢، مجلس في ذكر الرجاء وسعة رحمة الله تعالى.

(٥) أي: "النبي محمد ﷺ".

(٦) أنظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٠/ ١٥٥، خطبة ١٨٦ له عليه السلام، ذكر الخوف وما ورد فيه من الآثار.

(٧) أي: "النبي محمد ﷺ".

(٨) قولهم فلان في النزع: أي في قلع الحياة. يقال: فلان ينزع نزعا إذا كان في السياق عند الموت. لسان العرب، ابن منظور: ٣٤٩/٨، فصل النون، مادة "نزع".

(٩) أنظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٠/ ١٥٥، خطبة ١٨٦ له عليه السلام، ذكر الخوف وما ورد فيه من الآثار.

وقال ﷺ: إن الله يقول للعبد يوم القيامة: ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكر فإن لقنه الله حجته، قال: يا رب رجوتك وخفت الناس. قال: فيقول الله تعالى: قد غفرت لك[1].

وقال الباقر عليه السلام قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: «لا يتكل العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي، فإنهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم أعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي في ما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جناتي ورفيع الدرجات العلى في جواري، ولكن برحمتي فليتقوا وفضلي فليرجوا وإلى حسن الظن بي فليطمئنوا، فإن رحمتي عند ذلك تدركهم، فإني أنا الله الرحمان الرحيم وبذلك تسميت»[2].

وعنه عليه السلام[3] قال: وجدنا في كتاب علي عليه السلام: إن رسول الله ﷺ قال وهو على منبره: والذي لا إله إلا هو ما أعطي مؤمن خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله ورجائه له وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين، والذي لا إله إلا هو لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغتيابه للمؤمنين، والذي لا إله إلا هو لا يحسن ظن مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن، لأن الله كريم بيده الخيرات يستحي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخالف ظنه ورجاه، فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه[4].

---

(١) أنظر: مسند أحمد، ابن حنبل: ٣/ ٢٧، مسند أبي سعيد الخدري.

(٢) أنظر: أعلام الدين، الديلمي: ٤٢ ـ ٤٣، فصل في السؤال والبيان.

(٣) أي: "الإمام الباقر عليه السلام".

(٤) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٧١ ـ ٧٢، كتاب الإيمان والكفر، باب حسن الظن بالله عزّوجل/ ح٢.

وقال الصادق عليه السلام: حسن الظن بالله أن لا ترجوا إلا الله ولا تخاف إلا ذنبك[1].

الفصل الثالث: في دواء الرجاء وسبب حصوله

إعلم أن هذا الدواء يحتاج إليه أحد رجلين: إما رجل غلب عليه اليأس فيترك العبادة، وإما رجل غلب عليه الخوف فأسرف في المواظبة على العبادة حتى أضر بنفسه وأهله، وهما مائلان عن الاعتدال إلى طرفي الإفراط والتفريط فيحتاجان إلى علاج ودواء يردهما إلى الاعتدال.

وأما العاصي المغرور المتمني على الله مع الإعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فالرجاء في حقه سم قاتل، بل دواؤه الخوف والأسباب المهيجة له، ودواء الرجاء أمران: الاعتبار، والآيات والأخبار:

أما الاعتبار: فالتدبر في كثرة نعم الله على العبد في الدنيا. وسوابق فضل الله من دون شفيع، وما وعد من جزيل ثوابه من دون استحقاق، وما أنعم بما يمد في الدارين من دون سؤال وسعة الرحمة وسبقها الغضب، وأنه أرحم من الأم الشفيقة بأولادها الصغار، ورحمته في الآخرة أوسع منها في الدنيا كما ورد[2]، فهو لا محالة يرحمهم في الآخرة كما رحمهم في الدنيا.

والثاني: استقراء الآيات والأخبار الواردة في فضل الرجاء[3]، سيما في ما

---

(١) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ٢/ ١٨٥.

(٢) إن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الإنس والجن والبهائم والهوام فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها يعطف الوحش على ولدها فأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة.

نجم الحق، الحلي: ٣٧٤، إيضاح خرافة الجبر.

(٣) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٧/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧، كتاب الخوف والرجاء، بيان دواء الرجاء ←

ورد في أدعية أئمة الهدى، ففي ما ورد عنهم عليهم السلام: إلهي أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا فإنك أولى بذلك منا، وأمرتنا أن لا نرد سائلاً عن أبوابنا وقد جئناك سؤالاً فلا تردنا، وأمرتنا أن نعتق من مماليكنا من قد شاب في ملكنا وقد شبنا في ملكك فأعتق رقابنا من النار، وأمرتنا بالإحسان إلى ما ملكت أيماننا ونحن أرقاؤك فأعتقنا من النار، وأمرتنا أن نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك فتصدق علينا[1].

وفيها: اللهم إنك قلت لنبيك صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾[2] اللهم إن نبيك لا يرضى بأن تعذب أحداً من أمته في النار[3].

وهذا المضمون في كلماتهم عليهم السلام كثير[4].

الفصل الرابع: في الخوف

الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وهو

والسبب الذي يحصل منه حال الرجاء ويغلب. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ١٢٧ ـ ١٢٨، كتاب الخوف والرجاء، بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء ويغلب.

(١) أنظر: إقبال الأعمال، ابن طاووس: ٧٦، فصل فيما نذكره من أدعية تتكرر (متكررة) كل ليلة منه وقت السحر.

(٢) سورة الضحى/ ٥.

(٣) أنظر: مفتاح الفلاح، الشيخ البهائي: ١٣٢، الباب الأول فيما يعمل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

(٤) أنظر: إقبال الأعمال، ابن طاووس: ١٠٦، الباب الخامس فيما نذكره من سياقة عمل الصائم في نهاره، فصل فيما نذكره من الأدعية والتسبيح والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم المتكررة كل يوم من شهر رمضان.

أيضاً ينتظم من علم وحال وعمل:

أما العلم: فهو العلم بالسبب المفضي إلى المكروه، كمن جنى على ملك ثم وقع في يده وهو يخاف القتل ويجوز العفو والإفلات، ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالأسباب المفضية إلى قتله، وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه غضوباً منتقماً، وكون هذا الجاني عاطلاً عن كل حسنة تمحو أثر جنايته عند الملك، فالعلم بتظاهر هذه الأسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب، ولسبب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف.

فهذا العلم سبب لاحتراق القلب وتألمه وخوفه وهو الحال، وهذا الحال يثمر فعلاً بالاستعداد والتهيؤ لما يصلح للعفو.

والخوف من الله تارة يكون بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته، وتارة يكون بكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي، وتارة يكون بهما جميعاً وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله، فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه[1]، ولذلك قال ﷺ: أنا أخوفكم لله[2]. ولذا قال تعالى: ﴿**إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماء**﴾[3].

ثم إذا كملت تلك المعرفة وأورثت حال الخوف واحتراق القلب افضى أثر الحرقة من القلب على القلب وعلى البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات:

أما في البدن فبالنحول والصفار والبكاء ونحو ذلك.

وأما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافياً لما فرط

---

(١) عن رسول الله ﷺ: «أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه».

روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ١/ ٢٠، مجلس في معرفة الله، باب الكلام في النظر وما يؤدي إليه.

(٢) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٧/ ٢٧٠، كتاب الخوف والرجاء، بيان حقيقة الخوف.

(٣) سورة فاطر/ ٢٨.

واستعداداً للمستقبل، ولذلك قيل: ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف بأن يعاقب عليه[1].

وأما الصفات فهو أن يقمع الشهوات بالخوف ويؤدب الجوارح ويكدر اللذات، فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سماً، فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة، ويفارقه الكبر والحقد والحسد، بل يصير مستوعب الهمة بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرق لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالأنفاس واللحظات ومؤاخذة النفس في الخطرات والخطوات والكلمات، فيكون ظاهره وباطنه مشغولاً بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره.

هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه، وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال الامتناع من المحظورات[2]، ويسمى الكف الحاصل من المحظورات ورعاً، فإن زادت قوته وكف عما يتطرق إليه إمكان التحريم فيسمى ذلك تقوى، إذ التقوى أن يترك ما يريبه[3] إلى ما لا يريبه، وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى، فإذا انضم إليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنها تفارقه ولا يصرف إلى غير الله تعالى نفساً من أنفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بأن يسمى صديقاً.

---

(١) أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ٢/ ١٣٢. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ١٣٦، كتاب الخوف والرجاء، بيان حقيقة الخوف.

(٢) الحظر: هو خلاف الإباحة. المحظور: المحرم.
لسان العرب، ابن منظور: ٤/ ٢٠٢، مادة "حظر".

(٣) الريب: الشك. والريب: ما رابك من أمر، والاسم الريبة بالكسر، وهي التهمة والشك. الصحاح، الجوهري: ١/١٤١، مادة "ريب".

ويدخل في الصدق التقوى، وفي التقوى الورع، وفي الورع العفة، فإنها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة، فإذا الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والإقدام[1].

الفصل الخامس: في فضيلة الخوف وسببه والترغيب فيه

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾[3] وقال تعالى: ﴿**وَخافُونِ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ**﴾[4] وقال تعالى: ﴿**سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشى**﴾[5] وقال تعالى: ﴿**فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا**﴾[6].

وقال النبي ﷺ: ما من مؤمن تخرج من عينيه دمعة وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله ثم تصيب شيئا من حر وجهه إلا حرمه الله على النار[7].

وقال ﷺ: إذا اقشعر[8] قلب المؤمن[1] من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما

---

(١) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ١٦٠ ـ ١٦١، الباب الثالث في الرجاء والخوف، الفصل الأول حال من غلب عليه الخوف. المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٧/ ٢٦٩ ـ ٢٧١، كتاب الخوف والرجاء، بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ١٣٦ ـ ١٣٧، كتاب الخوف والرجاء، بيان حقيقة الخوف.

(٢) سورة فاطر/ ٢٨.

(٣) سورة البينة/ ٨.

(٤) سورة آل عمران/ ١٧٥.

(٥) سورة الأعلى/ ١٠.

(٦) سورة التوبة/ ٨٢.

(٧) أنظر: أعلام الدين، الديلمي: ٢٧٤، من كلام سيدنا رسول الله ﷺ.

(٨) القشعريرة: اقشعر الجلد من فزع ونحوه. وكل شيء تغير فهو مقشعر. كتاب العين، الفراهيدي: ٢/ ٢٨٧، مادة "قشعر".

يتحات[2] من الشجر ورقها[3].

وقال ﷺ: لا يلج[4] النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع[5].[6]

وقال الصادق عليه السلام لإسحاق بن عمار[7]: يا إسحاق خف الله كأنك تراه وإن كنت لا تراه فإنه يراك، وإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين إليك[8][9].

---

(١) في الإحياء: "قلب مؤمن".

(٢) الحت والإنحتات والتحات والتحتحت: سقوط الورق عن الغصن وغيره. تحاتت عنه ذنوبه، أي: سقطت.

تاج العروس، الزبيدي: ١/ ٥٣٦، فصل الحاء.

(٣) إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/١٤٢، كتاب الخوف والرجاء، بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه.

(٤) ولج يلج بالكسر ولوجا، أي: دخل، وأولجه غيره: أدخله.

مختار الصحاح، الرازي: ٣٧٥، باب الواو، مادة "ولج".

(٥) الضرة: أصل الضرع الذي لا يخلو من اللبن، أو لا يكاد يخلو منه. والضرة: أصل الثدي.

لسان العرب، ابن منظور: ٤/٤٨٧، مادة "ضرر".

(٦) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٧/ ٢٨٠، كتاب الخوف والرجاء، بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه.

(٧) قال النجاشي: شيخ من أصحابنا ثقة.

رجال النجاشي، النجاشي: ٧١، إسحاق بن عمار بن حيان مولى بني تغلب أبو يعقوب الصيرفي/ الرقم ١٦٩. معجم رجال الحديث، السيد الخوئي: ٣/ ٤٩ ـ ٦١، إسحاق بن عمار/الرقم ١١٥٨.

(٨) في الكافي: "أهون الناظرين عليك".

(٩) الكافي، الكليني: ٢/ ٦٨، كتاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجاء/ ح٢.

وعنه عليه السلام[1] قال: من خاف الله خاف منه[2] كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء[3].

وعنه عليه السلام[4]: من عرف الله خاف الله، ومن خاف الله سخت[5] نفسه عن الدنيا[6].

وعنه عليه السلام[7]: إن من العبادة شدة الخوف من الله، قال تعالى: ﴿**إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ**﴾[8]، وقال تعالى: ﴿**فَلا تَخْشَوُاْ النّاسَ وَاخْشَوْنِ**﴾[9] وقال تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجًا**﴾[10]. وقال عليه السلام[11]: إن حبّ الشرف

---

(١) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٢) في المشكاة: "أخاف الله منه".

(٣) مشكاة الأنوار، الطبرسي: ١١٧، الباب الثالث في محاسن الأفعال وشرف الخصال وما يشبههما، الفصل الرابع في الخوف والرجاء.

(٤) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٥) سخيت نفسي وبنفسي عن الشيء: إذ تركته، ولم تنازعك نفسك إليه.

كتاب العين، الفراهيدي: ٤/ ٢٨٩، مادة "سخو".

(٦) تحف العقول، الحراني: ٣٦٢، وروي عن الإمام الصادق أبي عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه في طوال هذه المعاني.

(٧) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٨) سورة فاطر/ ٢٨.

(٩) سورة المائدة/ ٤٤.

(١٠) سورة الطلاق/ ٢.

(١١) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

والذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب[1].

وقال عليه السلام[2]: المؤمن بين مخافتين: ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه، وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فهو لا يصبح إلا خائفاً ولا يصلحه إلا الخوف[3].

وعنه عليه السلام[4]: لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو[5].

والخوف يحصل من الإيمان بالله وبرسوله، وبما جاء به الرسول من الحساب والعذاب والعقاب، ولحصول الخوف طريقان أحدهما أعلى من الآخر.

ومثال ذلك أن الصبي إذا كان في بيت فدخل عليه سبع أو حية ربما كان لا يخاف، بل ربما مد يده إلى الحية ليأخذها ويلعب بها ولكن إذا كان معه أبوه ورآه الصبي قد ارتعدت فرائصه وهو يحتال في الهرب وقد غلب عليه الخوف، حصل له الخوف من ذلك، لعلمه بأنه لا يخاف إلا من سبب مخوف في نفسه، فخوف الأب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وسطوة السبع وبطشه، وخوف الولد إنما كان بمجرد التقليد، لأنه يحسن الظن بأبيه ويعلم أنه لا يخاف إلا من سبب مخوف، فيعلم أن السبع والحية مخوفان ولا يعرف وجههما، وخوف الأنبياء والأوصياء والعلماء من القسم الأول وخوف عموم الخلق من المؤمنين من القسم الثاني.

---

(١) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٦٩، كتاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجاء/ ح٧.

(٢) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٣) الكافي، الكليني: ٢/ ٧١، كتاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجاء/ ح١٢.

(٤) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٥) الأمالي، الشيخ المفيد: ١٩٥، المجلس الثالث والعشرون/ ح٢٧.

ويكفي في الخوف التفكير في الآيات القرآنية، فإن أكثرها تخويفات وتهديدات لمن تدبر، ولو لم يكن إلا قوله تعالى: ﴿**سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾[2] حيث علق المغفرة على أربعة شروط يعجز العبد عن أحدها[3].

وقوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَن تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحًا فَعَسى أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ**﴾[4] وقوله تعالى: ﴿**لِيَسْئَلَ الصّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ**﴾[5] وقوله تعالى: ﴿**أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ**﴾[6] وقوله تعالى: ﴿**وَإِن مِنكُمْ إِلاّ وارِدُها**﴾[7] وقوله تعالى: ﴿**اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ**﴾[8] وقوله تعالى: ﴿**وَقَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنثُورًا**﴾[9] وقوله تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنسانَ لَفِي خُسْرٍ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾[10] حيث شرط أربعة شروط للخلاص من الخسران[11]، لكان فيها الكفاية.

---

(١) سورة الرحمن/ ٣١.

(٢) سورة طه/ ٨٢.

(٣) إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ١٤٩، كتاب الخوف والرجاء، بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف. وفيه: "عن آحادها" بدل "عن أحدها".

(٤) سورة القصص/ ٦٧.

(٥) سورة الأحزاب/ ٨.

(٦) سورة الأعراف/ ٩٩.

(٧) سورة مريم/ ٧١.

(٨) سورة فصلت/ ٤٠.

(٩) سورة الفرقان/ ٢٣.

(١٠) سورة العصر/ ١ـ٣.

(١١) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٢٩٠/٧، كتاب الخوف والرجاء، بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف.

وروي أن النبي ﷺ كان إذا هبت ريح عاصفة يتغير وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج خوفاً من عذاب الله[1].

وقرأ ﷺ آية في سورة الحاقة فصعق[2]. وقال تعالى: ﴿**فَخَرَّ موسى صَعِقًا**﴾[3].

وكان ﷺ إذا دخل في الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل[4].

وروي أن داود عليه السلام كان يقول في مناجاته: إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت عليّ الأرض برحبها، وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلي روحي، سبحانك إلهي أتيت أطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني، فبؤساً للقانطين من رحمتك[5].

وقيل إنه عليه السلام[6] ذكر ما صدر منه ذات يوم فوثب صارخاً واضعاً يده على رأسه حتى لحق بالجبال، فاجتمعت إليه السباع فقال: ارجعوا لا أريدكم إنما أريد

---

(١) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٣٠٥/٧، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام في الخوف.

(٢) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٣٠٥/٧، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام في الخوف. إحياء علوم الدين: ١٥٨/٤، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام في الخوف.

(٣) سورة الأعراف/١٤٣.

(٤) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٣٠٥/٧، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام في الخوف. إحياء علوم الدين، الغزالي ١٥٨/٤، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام في الخوف.

(٥) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٣٠٦/٧، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام في الخوف. إحياء علوم الدين، الغزالي: ١٥٩/٤، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام في الخوف.

(٦) نبي الله داود عليه أفضل الصلاة والسلام.

كل بكّاء على خطيئته، فلا يستقبلني إلا البكّاء[1].

وكان يعاتب في كثرة البكاء فيقول: دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق العظام[2] واشتعال الحشا، وقبل أن يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون[3].

وحكي أنه عليه السلام[4] كان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعاً لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء، فإذا كان قبل ذلك بيوم أخرج له إلى البرية منبراً، فيأمر سليمان أن ينادي بصوت يستقرئ البلاد وما حولها من الغياض[5] والآكام[6] والجبال والبراري والصوامع[7] والبيع[8] فينادي: ألا من أراد

(١) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٣٠٦/٧، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام في الخوف. إحياء علوم الدين، الغزالي: ١٥٩/٤، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام في الخوف.

(٢) في المحجة: "قبل تخريق العظام".

(٣) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٣٠٦/٧، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام في الخوف.

(٤) أي: "داود عليه أفضل الصلاة والسلام".

(٥) الغياض: جمع غيضة. وهي: الشجر الملتف، لأنهم إذا نزلوها تفرقوا فيها فتمكن منهم العدو. لسان العرب، ابن منظور: ٢٠٢/٧، مادة "غيض".

(٦) آكام كجبل و أجبال. الأكمة: تل من القف وهو حجر واحد.
لسان العرب، ابن منظور: ٢٠/١٢، مادة "أكم".

(٧) الصوامع جمع صومعة النصارى، دقيقة الرأس.
مجمع البحرين، الطريحي: ٦٣٥/٢، مادة "صمع".

(٨) البيعة: كنيسة النصارى، وجمعها بيع.
كتاب العين، الفراهيدي: ٢٦٥/٢، مادة "بيع".

أن يسمع نوح داود على نفسه فليأت. قال: فتأتي الوحوش من البراري والآكام وتأتي السباع من الغياض وتأتي الهوام من الجبال وتأتي العذاري من خدورهن ويجتمع الناس لذلك اليوم، ويأتي داود حتى يرقى على المنبر ويحيط به بنو إسرائيل وكل صنف على حدة يحيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه، فيأخذ في الثناء على ربه، فيضجون بالبكاء والصراخ، ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فتموت الهوام وطائفة من الوحوش والناس والسباع، ثم يأخذ في أهوال القيامة، وفي النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة، فإذا رأى سليمان كثرة الموتى قال: يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني إسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في الدعاء، فبينا هو كذلك إذ ناداه بعض عباد بني إسرائيل: يا داود أعجلت بطلب الجزاء على ربك؟ فيخر مغشياً عليه، فإذا نظر سليمان إلى ما أصابه أتى بسرير فحمله عليه ثم أمر منادياً ينادي: ألا من كان له مع داود حميم أو قريب فليأت بسرير فليحمله، فإن الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار، فكانت المرأة تأتي بالسرير وتحمل قريبها وتقول: يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله. ثم إذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابه ويقول: يا إله داود أغضبان أنت على داود. ولا يزال يناجي فيأتي سليمان عليه السلام: فيقف على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير ويقول: يا أبتاه تقوّ بهذا على ما تريد، فيأكل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج إلى بني إسرائيل فيكون بينهم[1].

(١) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ١٦٠/٤، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام في الخوف.

ويحكى أن إبراهيم[1] عليه السلام كان إذا ذكر ما صدر منه يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلاً في ميل، فيأتيه جبرئيل فيقول له: الجبار يقرئك السلام ويقول: هل رأيت خليلاً يخاف خليله؟ فيقول: يا جبرئيل إني إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي[2].

وكان يسمع أزيز[3] قلبه عليه السلام[4] إذا كان في الصلاة مسيرة ميل خوفاً من ربه[1].

---

(١) أبو الضيفان إبراهيم، وقيل: إبراهام، أو إبراهم، أو إبرهم، أو إبراهوم بن تارح، وقيل: تارخ بن ناحور بن سروج، وقيل: ساروغ بن رعو، وقيل: أرعو، وقيل: راغو بن فالج، وقيل: فالغ بن عابر بن شالح، وقيل: شالخ بن أرفخشد، وقيل: أرفكشاذ بن سالم ابن نبي الله نوح عليه السلام، الملقب بخليل الله، وأمه أميلة، وقيل: عوشاء، وقيل: بونابنت كريتابن كرثى. هو أبو الأنبياء، وأحد الأنبياء أولي العزم، أصحاب الشرائع العامة، وجد العبرانيين، والعرب المستعربة من ابنه اسماعيل عليه السلام. ولد في غار بقرية كوثى، وقيل: كوثار من أرض بابل، وقيل: ولد بغدان آرام من قرى الكوفة، وقيل: بمدينة أور من بلاد الكلدانيين، وقيل: بالسوس، وقيل: ولادته في برزة شرقي دمشق سنة (١٩٩٦) قبل ميلاد المسيح عليه السلام. ولد إبراهيم عليه السلام وعمر أبيه ٧٥ سنة.

عاش ١٧٥ سنة، وقيل: ٢٠٠ سنة، وقيل: ١٢٠ سنة، وقيل: ١٩٠ سنة، توفي بفلسطين في أواخر القرن العشرين، أو أوائل القرن الحادي والعشرين قبل ميلاد المسيح، فدفنه ولداه إسماعيل عليه السلام وإسحاق عليه السلام بمغارة المكفيلة في حقل عفرون، وقيل: دفن في قرية أربع أو المربعة قرب بيت المقدس عند زوجته سارة.

أعلام القرآن، عبد الحسين الشبستري: ٢٢ ـ ٢٤، إبراهيم الخليل.

(٢) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/١٦٠، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام في الخوف.

(٣) قوله: أزيز، يعني: غليان جوفه بالبكاء.

غريب الحديث، ابن سلام: ١/٢٢١.

(٤) أي: "النبي إبراهيم عليه السلام".

ويكفيك في ذلك بكاء الأئمة الطاهرين عليهم السلام وخوفهم ومناجاتهم[٢] فما بالنا لا نخاف ألكثرة طاعاتنا أم لقلة معاصينا أم لغفلتنا وقسوتنا؟! فلا قرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوفنا ولا خوف سوء الخاتمة يزعجنا[٣].

الفصل السادس

قد تحصل من ملاحظة ما سبق أن الخوف من الله على مقامين:

أحدهما: الخوف من عذابه، وهو خوف عموم الخلق المؤمنين بالجنة والنار، وإذا ضعف هذا الخوف فسببه ضعف الإيمان والغفلة، ويقوى بالتذكير والوعظ وملازمة الفكر في أهوال القيامة[٤] وأصناف العذاب[١] والنظر في أحوال الخائفين.

---

(١) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/١٥٩، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام في الخوف.

(٢) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ١٦٧، الباب الثالث في الرجاء والخوف، الفصل الرابع الخوف من الله على مقامين. جامع السعادات، النراقي: ١/٢٦١، فصل الخوف من الله أفضل الفضائل.

(٣) أنظر: كتاب تنزيه الأنبياء، السيد المرتضى علم الهدى، وفيه بيان تفصيلي حول عصمة وتنزيه الأنبياء وكذلك الأئمة عليهم السلام، وأما ما يصدر عنهم من البكاء والمناجاة فهو ليس لذنب صدر منهم بل لمعرفتهم بالجنة والنار والأهوال وأنواع العذاب وما يجري على المذنبين خاصة من أممهم ويستغفروا لهم رجاءً لعتقهم من الله الرحيم وهكذا بكاء الحقيقة والمعرفة والشوق والخوف من البعد عن منازل القرب التي لا تكون إلا للخواص ممن يصطفيهم كحبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله ووصيه المرتضى صلوات الله عليه.

(٤) من الأهوال التي أشير إليها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ

والثاني: وهو الأعلى ـ أن يكون الله تعالى هو المخوف، بأن يخاف البعد والحجاب عنه، ويرجو القرب منه وهو خوف من عرفه من الأنبياء والأوصياء والعلماء ممن عرفوا من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله تعالى: ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ**﴾[2].

ثم إن الخوف لا يتحقق إلا بانتظار مكروه: والمكروه إما أن يكون مكروهاً في ذاته كالنار، وإما أن يكون مكروهاً لأنه يفضي إلى المكروه، كما تكره المعاصي لأدائها إلى العذاب.

والخائفون من القسم الثاني منهم من يغلب عليه خوف الموت قبل التوبة، أو خوف نقض التوبة، أو خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله، أو خوف زوال رقة القلب وتبديلها بالقساوة، أو خوف الميل عن الاستقامة، أو خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة، أو خوف أن يكله الله إلى حسناته التي اتكل عليها وتعزز بها في عباد الله، أو خوف البطر بكثرة نعم الله عليه، أو خوف الاشتغال عن الله بغير الله، أو خوف الاستدراج بتواتر النعم، أو خوف انكشاف غوائل[3] طاعاته حتى يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب، أو خوف تبعات الناس

سَعِيراً﴾ سورة الإسراء/٩٧.

(١) من أصناف العذاب التي ذكرت في القرآن الكريم: ﴿يَوْمَ يَغْشاهُمُ الْعَذابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ سورة الشعراء/ ١٥٧.

(٢) سورة آل عمران/ ٢٨.

(٣) الغوائل: الدواهي. وأتى غولا غائلة: أمرا داهيا منكرا. والغائلة الحقد الباطن والشر كالمغالة.

القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ٤/ ٢٧، مادة "غول".

عنده في الغيبة والخيانة والغش وإضمار السوء، أو خوف ما لا يدري أن يحدث في بقية عمره، أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاح قبل الموت، أو خوف الاغترار بزخارف[1] الدنيا، أو خوف خاتمة السوء، أو خوف اطلاع الله على سريرته في حال غفلته، أو خوف السابقة التي سبقت له في الأزل.

وهذه كلها مخاوف العارفين، ولكل منها خصوص فائدة، وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي إلى المخوف فمن يخاف استيلاء العادة عليه فليواظب على الفطام عن العادة، والذي يخاف من اطلاع الله على سريرته يشتغل بتطهير قلبه... وهكذا.

وأما الخائفون من المكروه لذاته فمنهم من يغلب عليهم سكرات الموت[2] وشدته أو سؤال منكر ونكير[3] أو عذاب القبر أو هول المطلع[4] أو هيبة الموقف بين يدي الله تعالى أو الحياء من كشف الستر أو السؤال عن النقير[5] والقطمير[1] أو

(١) الزخرف: الزينة، وبيت مزخرف. وتزخرف الرجل: تزين.

كتاب العين، الفراهيدي: ٤ / ٣٣٨، مادة "زخرف".

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَجاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ سورة ق/١٩.

(٣) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «يَجِيءُ الْمَلَكَانِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ إِلَى الْمَيِّتِ حِينَ يُدْفَنُ أَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ وَأَبْصَارُهُمَا كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ يَخُطَّانِ الأَرْضَ بِأَنْيَابِهِمَا وَيَطَئَانِ فِي شُعُورِهِمَا فَيَسْأَلانِ الْمَيِّتَ مَنْ رَبُّكَ ... الحديث».

الكافي، الكليني: ٣/٢٣٦ ـ ٢٣٧، كتاب الجنائز، باب المسألة في القبر ومن يسأل/ ح٧.

(٤) عن النبي محمد صلى الله عليه وآله قال: «لا تتمنوا الموت فإن هول المطلع شديد وإن من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة إلى دار الخلود».

الدعوات، الراوندي: ١٢٢، فصل في فنون شتى من حالات العافية/ ح٢٩٧.

(٥) النقير: النكتة في ظهر النواة.

←

الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه أو الخوف من النار وأغلالها[٢] وأهوالها أو الخوف من الحرمان عن الجنة أو النعيم في الملك المقيم أو من نقصان الدرجات أو الخوف من الحجاب عن الله، وهو أعلاها رتبة، وهو خوف العارفين من الأنبياء والعلماء والصالحين[٣].

الفصل السابع

قد عرفت توارد الأخبار في فضيلة الخوف والرجاء، وربما يعتري الناظر الشك في كون أيهما أفضل؟

فاعلم أن ذلك يضاهي قول القائل «الخبز أفضل أم الماء»[٤].

وجوابه: إن الخبز أفضل للجائع والماء أفضل للعطشان، وإن اجتمعا نظر إلى الأغلب: فإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل، وإن كان العطش أغلب فالماء

تاج العروس، الزبيدي: ٣/٥٨٠.

(١) القطمير: وهي القشرة الدقيقة التي على النواة، بين النواة والتمر.

لسان العرب، ابن منظور: ٥/١٠٨، مادة "قطمر".

(٢) الأصفاد: الأغلال.

غريب الحديث، الحربي: ٢/٧٠٧، باب صفد.

(٣) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ١٦٨ ــ ١٧٠، الباب الثالث في الرجاء والخوف، الفصل الخامس في الخائفين. جامع السعادات، النراقي: ١ / ٢٥٤ ـ ٢٥٧، فصل بم يتحقق الخوف. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ١٣٨ ـ ١٤٠، كتاب الخوف والرجاء، بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه.

(٤) أنظر: بحار الأنوار، مجلسي: ٨٤ / ١٠، كتاب الصلاة، باب ٤٧: ما ينبغي أن يقرأ كل يوم وليلة / بيان الحديث ١٦.

أفضل، وإن استويا فهما متساويان.

وكذا إن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله والاغترار به فالخوف أفضل، وإن كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل.

وأما بالنسبة إلى المؤمن المتقي الذي ترك ظاهر الإثم وباطنه وخفيه وجليه[١] فالأصلح به أن يعتدل خوفه ورجاؤه، كما ورد في الأخبار، ففي الكافي عن الصادق عليه السلام وقد قيل له: ما كان في وصية لقمان؟ فقال: كان فيها الأعاجيب وكان أعجب ما كان فيها أن قال لابنه: خف الله خيفة لو جئته ببر الثقلين لعذبك، وارج الله رجاءً لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك. ثم قال عليه السلام[٢]: كان أبي يقول: إنه ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا[٣].

ويرشد إلى ذلك أيضاً قوله تعالى في وصف من أثنى عليهم: ﴿**وَيَدْعُونَنَا رَهَبًا وَرَغَبًا**﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿**يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا**﴾[٥].

وغلبة الرجاء في غالب الناس مستندها الاغترار وقلة المعرفة، والأصلح لهم قبل الإشراف على الموت غلبة الخوف، وعند الموت غلبة الرجاء وحسن الظن كما ورد في الأخبار[٦]، والسر في ذلك أن الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل،

---

(١) أمر جلي: واضح. أجل لنا هذا الأمر، أي: أوضحه.
كتاب العين، الفراهيدي: ٦/ ١٨٠، مادة "جلو".

(٢) الإمام الصادق عليه السلام.

(٣) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٦٧، كتاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجاء/ ح١.

(٤) سورة الأنبياء/ ٩٠. ونصها: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾.

(٥) سورة السجدة/ ١٦.

(٦) أنظر: الكافي، الكليني: كتاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجاء. جامع الأخبار، ←

وقد انقضى وقت العمل، وهو لا يطيق هناك أسباب الخوف لأنها تقطع نياط[1] قلبه وتعين على تعجيل موته. وروح الرجاء يقوي قلبه ويحبب إليه ربه الذي إليه رجاؤه، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه[2].

واعلم أن الرجاء محمود إلى حد، فإن تجاوز إلى الأمن فهو خسران، قال تعالى: ﴿**وَلا يَأْمَنُ**[3] **مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخاسِــرُونَ**﴾[4]، وكذا الخوف محمود إلى حد فإن جاوز إلى القنوط فهو ضلال ﴿**وَمَن يَقْنَطُ من رَحْمَة رَبِّه إِلاَّ الضَّآلُّونَ**﴾[5]، أو إلى اليأس فهو كفر و﴿**لا يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ**﴾[6].

الشعيري: الفصل ٥٤ في الخوف والفصل ٥٥ في حسن الظن.

(١) النياط: عرق غليظ قد علق به القلب من الوتدين.
كتاب العين، الفراهيدي: ٤٥٦/٧، مادة "نوط".

(٢) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ١٦٤ ـ ١٦٥، الباب الثالث في الرجاء والخوف، الفصل الرابع الخوف من الله على مقامين.

(٣) في النص القرآني: "فلا يأمن".

(٤) سورة آل عمران/٥٤.

(٥) سورة الحجر/ ٥٦.

(٦) سورة يوسف/ ٨٧.



الباب السادس

الزهد



في الزهد

والكلام فيه في فصول

الفصل الأول

قال تعالى: ﴿**مَن كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِه مِنْها وَما لَهُ فِي الآخِرَة مِن نَصيبٍ**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقى**﴾[2].

وفي الحديث: أوحى الله إلى الدنيا أن اخدمي من خدمني، ونغصي وكدري عيش من خدمك[3].

وقال النبي ﷺ[4]: من أصبح وهمه الدنيا شتت[5] الله عليه أمره، وفرق

---

(١) سورة الشورى/ ٢٠.

(٢) سورة طه/ ١٣١.

(٣) أنظر: العدد القوية، رضي الدين الحلي: ١٥٠، اليوم السابع عشر، نبذة من أحوال الإمام الصادق عليه السلام.

(٤) في الزهد: "عن الإمام الصادق عليه السلام".

(٥) شتت الأمر شتا وشتاتا: تفرق.

الصحاح، الجوهري: ١/ ٢٥٤، مادة "شتت".

عليه ضيعته[1]، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه، وحفظ عليه ضيعته، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة[2].[3]

وقال ﷺ: إذا رأيتم العبد قد أعطي صمتاً وزهداً في الدنيا فاقربوا[4] منه، فإنه يلقي الحكمة، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾[5].[6]

وعنه عليه السلام[7]: ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد في ما أيدي الناس يحبك الناس[8].

وعنه ﷺ: من أراد أن يؤتيه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا[9].

---

(١) ضيعة الرجل: حرفته وصناعته ومعاشه وكسبه. يقال: ما ضيعتك؟ أي: ما حرفتك.
لسان العرب، ابن منظور: ٨/٢٣٠، مادة "ضيع".

(٢) أرغمته: حملته على ما لا يمتنع منه.
كتاب العين، الفراهيدي: ٤/٤١٧، مادة "رغم".

(٣) أنظر: الزهد، الأهوازي: ٤٩، باب ٨ ما جاء في الدنيا ومن طلبها/ ح١٢.

(٤) في المحجة: "فاقتربوا".

(٥) سورة البقرة/ ٢٦٩.

(٦) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٧/٣٥١، كتاب الزهد والفقر، بيان فضيلة الزهد.

(٧) أي: "النبي محمد ﷺ".

(٨) إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤ / ١٩٥، كتاب الفقر والزهد، الشطر الثاني من الكتاب في الزهد.

(٩) إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/١٩٦، كتاب الفقر والزهد، الشطر الثاني من الكتاب في الزهد، بيان حقيقة الزهد.

وقال ﷺ: من زهد في الدنيا أحل الله[1] الحكمة في قلبه فأنطق بها[2] لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه سالماً إلى دار السلام[3].

وقال ﷺ: من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث: همّ لا يفارق قلبه أبداً، وفقر لا يستغني معه أبداً، وحرص لا يشبع معه أبداً[4].

وقال ﷺ: لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف، وحتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته[5].

الفصل الثاني: في حقيقته

الزهد هو صرف الرغبة عن الدنيا وعدم إرادتها بقلبه إلا بقدر ضرورة بدنه، وقد تقدم تحقيق معنى الدنيا، ومنه يعلم أن الزهد في الدنيا لا ينافي كثرة المال والخدم ونحوهما إلا إذا كان محباً لها بقلبه وراغباً فيها وتشغله عن ذكر الله.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: الزهد كله بين كلمتين من القرآن، قال سبحانه[6]: ﴿**لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ**﴾[7]. ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه[8].

---

(١) في المحجة: "أدخل الله".

(٢) في المحجة: "به" بدل "بها".

(٣) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٣٥٣/٧، كتاب الفقر والزهد، بيان فضيلة الزهد.

(٤) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٣٥٤/٧ ـ ٣٥٥، كتاب الفقر والزهد، بيان فضيلة الزهد.

(٥) إحياء علوم الدين، الغزالي: ١٩٥/٤، كتاب الفقر والزهد، الشطر الثاني من الكتاب في الزهد، بيان حقيقة الزهد.

(٦) في نهج البلاغة: "قال الله سبحانه".

(٧) سورة الحديد/ ٢٣.

(٨) نهج البلاغة، الشريف الرضي: ٥٥٣ ـ ٥٥٤، حكم أمير المؤمنين عليه السلام.

وقال عليه السلام[1]: الزهد في الدنيا قصر الأمل، وشكر كل نعمة، والورع عن كل ما حرم الله عزّوجل[2].

وقال الصادق عليه السلام: ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال ولا تحريم الحلال، بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما عند الله[3].

نعم لما كان جمع المال ونحوه بالنسبة إلى حال أكثر الناس لضعف نفوسهم يحرك الرغبة في الدنيا فزهدهم إنما يكون في تركه، كما ورد في خبر آخر عن الصادق عليه السلام حيث سئل عن الزهد فقال: الذي يترك حلالها مخافة حسابه، ويترك حرامها مخافة عقابه[4].

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار، وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله من غير تأسف على فوتها ولا إعجاب في تركها ولا انتظار فرج منها وطلب محمدة عليها ولا عوض لها، بل ترى فوتها راحة وكونها آفة، وتكون أبداً هارباً من الآفة معتصماً بالراحة. والزاهد الذي يختار الآخرة على الدنيا والذل على العز والجهد على الراحة والجوع على الشبع وعافية الآجل على محبة العاجل والذكر على الغفلة، وتكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة[5].

---

(١) أي: "أمير المؤمنين عليه السلام".

(٢) الكافي، الكليني: ٧١/٥، كتاب المعيشة، باب معنى الزهد/ح٣.

(٣) أنظر: التهذيب، الشيخ الطوسي: ٣٢٧/٦، كتاب المكاسب، باب ٩٣ المكاسب/ح٢٠.

(٤) أنظر: روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٤٣٣/٢، مجلس في الزهد والتقوى.

(٥) أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ١٣٧، الباب الرابع والستون في الزهد.

الفصل الثالث: في أقسام الزهد ومراتبه

إعلم أن الزهد في نفسه على ثلاث درجات:

الأولى: وهي السفلى أن يزهد في الدنيا وهو لها مشتهٍ وقلبه إليها مائل ونفسه إليها ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها، وهي الدرجة الأولى من الزهد.

الثانية: أن يترك الدنيا طوعاً لاستحقاره إياها بالإضافة الى الآخرة المرغوب فيها، كالذي يترك درهماً لأجل درهمين، فإنه لا يشق عليه ذلك، وهو يظن بنفسه أنه ترك شيئاً له قدر لما هو أعظم قدراً منه.

الثالثة: وهي العليا أن يزهد طوعاً ويزهد في زهده فلا يرى زهده، إذ لا يرى أنه ترك شيئاً، حيث عرف أن الدنيا لا شيء، فيكون كمن ترك نواة وأخذ جوهرة، فلا يرى ذلك معاوضة[1]، وهذا كمال الزهد.

ومثله مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه، فألقى إليه لقمة خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ أمره في جميع مملكته، أفترى أنه يرى لنفسه يداً عند الملك بلقمة خبز ألقاها إلى الكلب في مقابلة ما ناله، فالشيطان كلب على باب الله يمنع الناس من الدخول والدنيا كلقمة خبز يأكلها، فلذتها حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع، ثم يبقى ثفله[2] في المعدة، ثم ينتهي إلى النتن والقذر ويحتاج إلى إخراج الثفل، فمن يتركها لينال قرب الملك كيف يلتفت إليها؟!.

وينقسم الزهد قسمة أخرى بالإضافة إلى المرغوب فيه إلى ثلاث درجات:

---

(١) العوض كعنب واحد الأعواض كأعناب، وأعاضني، العوض وهو البدل. وإعتاض: أخذ العوض.
مجمع البحرين، الطريحي: ٢٧٨/٣، مادة "عوض".

(٢) الثفل: ما رسب خثارته وعلا صفوه من الأشياء كلها.
لسان العرب، ابن منظور: ٨٤/١١، مادة "ثفل".

أسفلها: أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار وسائر الآلام، كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط، وهذا زهد الخائفين.

وأوسطها: أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعمته واللذات الموعودة في جنته، وهذا زهد الراجين.

وأعلاها: أن لا يكون له رغبة إلا في الله ولقائه، فلا يلتفت قلبه إلى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا إلى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله، وهو الذي أصبح وهمه هم واحد، فهو لا يطلب غير الله لأن من طلب غير الله فقد عبده، وكل مطلوب معبود وكل عبد بالإضافة إلى مطلوبه، وهذا زهد المحبين والعارفين.

وينقسم أيضاً الى فرض ونفل وسلامة: فالفرض هو الزهد في الحرام، والنفل هو الزهد في الحلال، والسلامة هو الزهد في الشبهات.

واعلم أن للزاهد الحقيقي ثلاث علامات:

الأولى: أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود، كما أشار إليه أمير المؤمنين في الاستنباط من قوله تعالى: ﴿**لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ**﴾[١] وهذا علامة الزهد في المال[٢].

والثانية: أن يستوي عنده مادحه وذامه، وهو علامة الزهد في الجاه.

والثالثة: أن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة.

---

(١) سورة الحديد/ ٢٣.

(٢) قال الباقر عليه السلام في حديث: «ألا وإن الزهد في آية من كتاب الله عزّوجل: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ﴾» سورة الحديد/ ٢٣.

معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ٢٥٢، باب معنى الزهد/ ح٤.

ليعلم أن من ثمرة الزهد السخاء ومن ثمرة الرغبة في الدنيا البخل، فالمال إن كان مفقوداً فالأليق بحال الإنسان القناعة، وإن كان موجوداً فالأليق بحال صاحبه السخاء والبذل لأهله واصطناع المعروف.

والسخاء من أخلاق الأنبياء وأصول النجاة، والسخي حبيب الله.

وقال النبي ﷺ: السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية على الأرض[1]، فمن أخذ منها غصناً قاده ذلك الغصن إلى الجنة[2].

وقال النبي ﷺ: قال جبرئيل: قال الله تعالى: «إن هذا دين ارتضيته لنفسي، ولن يصلحه إلاّ السخاء وحسن الخلق، فأكرموه بهما ما استطعتم»[3].

وقال ﷺ: إن من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام[4].

وقال ﷺ: تجافوا عن ذنب السخي، فإن الله أخذ بيده كلما عثر أقاله[5].

وقال ﷺ: طعام الجواد دواء، وطعام البخيل داء[6].

---

(١) في المحجة: "إلى الأرض".

(٢) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٦/٥٩، كتاب ذم المال، بيان فضيلة السخاء.

(٣) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/١٧٠، بيان فضيلة السخاء.

(٤) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/٢١٧، كتاب ذم البخل وذم حب المال، بيان فضيلة السخاء.

(٥) أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/١٧١، بيان فضيلة السخاء.

(٦) طب النبي، المستغفري: ٢١.

وقال ﷺ: إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار، وإن البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار، وجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل، وأدوى الداء البخل[1] [2].

واعلم أن أرفع درجات السخاء الإيثار، وهو أن يجود بالمال مع الحاجة إليه، قال الله تعالى في معرض المدح: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[3]. وقال تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾[4].

وقال النبي ﷺ: أيما امرئ اشتهى شهوة فردّ شهوته وآثر على نفسه غفر له[5].

وينبغي للفقير أن لا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه، فإن ذلك جهد المقل، وفضله أكثر من أموال كثيرة تبذل عن ظهر غني[6].

---

(١) في المحجة والإحياء: "من عالم بخيل وأدوء الداء البخل".

(٢) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٦٢/٦، كتاب ذم المال، بيان فضيلة السخاء. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٢١٩/٣، كتاب ذم البخل وذم حب المال، بيان فضيلة السخاء.

(٣) سورة الحشر/ ٩.

(٤) سورة الإنسان/ ٨.

(٥) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١٧٢/١، بيان الإيثار.

(٦) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ١٢٠ ـ ١٢٣، الفصل ٥ ـ ٦. المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٣٥٧/٧ ـ ٣٦٤، كتاب الفقر والزهد، بيان درجات الزهد وأقسامه. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ١٩٧ ـ ٢٠١، كتاب الفقر والزهد، بيان درجات الزهد وأقسامه.



الباب السابع

محبة الله تعالى

والأنس به



في محبة الله تعالى والأنس به

وفيه فصول

الفصل الأول: في حقيقتها

إعلم أن الحب للشيء عبارة عن الميل إليه والالتذاذ به، وهو فرع معرفة ذلك الشيء، ومعرفته قد تكون بالحواس وقد تكون بالقلب، وكلما كانت المعرفة به أقوى واللذة أشد وأكثر كان الحب أقوى.

ولا ريب أن البصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر، والقلب أشد إدراكاً من العين، وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار، فتكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الأمور الشريفة الإلهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ، فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى، فلا ينكر إذاً حب الله تعالى إلا من قعد به القصور في درجة البهائم فلم يتجاوز إدراكه الحواس.

وكما أن الإنسان يحب نفسه وكمال نفسه وبقاء نفسه كذلك قد يحب غيره لذاته لا لحظ يناله منه وراء ذاته، بل تكون ذاته عين حظه، وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق به.

وإن احتجت إلى شاهد على ذلك في عالم الدنيا فانظر إلى الطباع السليمة كيف تراها تستلذ بالنظر إلى الأنوار والأزهار والأطيار الحسنة والألوان المليحة، حتى إن الإنسان لتنفرج عنه الغموم بالنظر إليها لا لطلب حظ وراء النظر.

وكان رسول الله ﷺ يعجبه النظر إلى الخضرة والماء الجاري[1]، فالخضرة والماء الجاري محبوبان لا لشرب الماء وأكل الخضرة.

ثم الحسن والجمال ليسا مقصورين على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة، إذ يقال: هذا صوت حسن، وهذا خلق حسن، وهذا علم حسن، وهذه سيرة حسنة، وليس شيء من هذه الصفات يدرك بالبصر. بل ليس الحسن والجمال مقصوراً على مدركات الحواس، إذ كثير منها يدرك بالبصيرة الباطنة، ولذا ترى الطباع السليمة مجبولة[2] على حب الأنبياء والأئمة عليهم السلام مع أنهم لم يشاهدوهم.

ولما تواتر وصف أمير المؤمنين بالشجاعة وحاتماً بالسخاء أحبتهما القلوب حباً ضرورياً بدون نظر إلى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهما.

ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة أكثر من حبة للمعاني الظاهرة.

ثم كل محب إما أن يحب نفسه أو يحب غيره، ومحبة الغير إما لحسنه وجماله أو لإحسانه وكماله أو لمجانسة[3] بينه وبين المحب:

---

(١) كنز العمال، المتقي الهندي: ٧/١٥٠، أخلاق متفرقة/ ح١٨٤٦١.

(٢) الجبل: الخلق، جبلهم الله، فهم مجبولون. جبلة الإنسان على هذا الأمر، أي: طبع عليه. كتاب العين، الفراهيدي: ٦/١٣٧، مادة "جبل".

(٣) الجنس: الضرب من كل شيء. والجنس اعم من النوع، ومنه المجانسة والتجنيس. ويقال: هذا يجانس هذا، أي: يشاكله.

←

أما محبة النفس فهي أشد وأقوى، لأن المحبة إنما تكون بقدر الملاءمة والمعرفة، ولا شيء أشد ملاءمة لأحد من نفسه، ولا هو لشيء أقوى معرفة منه بنفسه، ولهذا جعل معرفة نفسه مفتاحاً لمعرفة ربه، ووجود كل أحد فرع لوجود ربه، فمحبة نفسه ترجع إلى محبة ربه وإن لم يشعر المحب به.

وأما محبة الغير لحسنه وجماله أو تقربه من الله وكماله فذلك لأن الجمال محبوب لذاته، سواء كان ذلك الجمال ظاهرياً صورياً أو باطناً معنوياً، وكذا الكمال، والله تعالى هو الجميل لذاته والكامل بذاته، وكل مليح حسنه من جماله، وكل كامل فكماله فرع كماله، فما أحب أحد غير خالقه ولكنه احتجب عنه تحت وجوه الأحباب وأستار الأسباب.

وكذا الكلام في محبة الغير للإحسان، فإن الإحسان أيضاً محبوب لذاته، سواء كان متعدياً إلى المحب أم لا، ولا إحسان إلا من الله ولا محسن سوى الله جل شأنه، فإنه خالق الإحسان وذويه وجاعل أسبابه ودواعيه، وكل محسن فهو حسنة من حسنات قدرته وحسن فعاله، وقطرة من بحار كماله وأفضاله.

وأما محبة الغير المجانسة فذلك لأن الجنس يميل إلى الجنس، سواء كانت المجانسة لمعنى ظاهر كما أن الصبي يميل إلى الصبي لصباه، أو لمعنى خفي كما يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال ولا طمع في جاه أو مال، فإن «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»[1]، وهذه المحبة فرع لمحبة النفس، فترجع إلى محبة الله كما عرفت.

لسان العرب، ابن منظور: ٦/ ٤٣، مادة "جنس".

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٤/ ٣٨٠، كتاب النوادر، من ألفاظ رسول الله ﷺ الموجزة التي لم يسبق إليها/ ح٥٦.

فعلى كل وجه ما متعلق المحبة إلا الله، إلا أنه لا يعرف ذلك إلا أولياؤه وأحباؤه، كما أشار إليه سيد الشهداء عليه السلام في دعاء عرفة بقوله: وأنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلتجئوا إلى غيرك، فسبحان من احتجب عن أبصار العميان غيرة على جماله وجلاله أن يطلع عليه إلا من سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نور الحجاب مبعدون، وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون، وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يترددون، ﴿**يَعْلَمُونَ ظاهِرًا مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ غافِلُونَ**[1]﴾[2].[3]

إذا عرفت هذا علمت فساد مقالة الزاعمين أن المحبة لا تكون إلا مع الجنس والمثل، ومحبة الله حقيقة ممتنعة.

الفصل الثاني: في الشواهد على محبة الله تعالى وفضلها

قال الله تعالى في وصف أمير المؤمنين وأولاده الطاهرين: ﴿**سَوْفَ**[4] **يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾[5] وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ**﴾[6] وقال

(١) في النص القرآني: "عن الآخرة هم غافلون".

(٢) سورة الروم/٧.

(٣) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ١٧٨ ـ ١٨٠، الباب الرابع في المحبة والأنس، الفصل الأول المحبة بعد المعرفة والإدراك. المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٨/ ٨ ـ ١٦، كتاب المحبة والشوق والرضا والأنس، بيان حقيقة المحبة وأسبابها. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ٢٥٩ ـ ٢٦٣، كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى.

(٤) في النص القرآني: "فسوف".

(٥) سورة المائدة/ ٥٤.

(٦) سورة البقرة/ ١٦٥.

تعالى: ﴿قُلْ إن كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْنآؤُكُمْ وَإِخْوانُكُمْ﴾[1] الى قوله تعالى: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ﴾[2] ـ الآية.

وقال النبي ﷺ: لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما[3].

وقال ﷺ في دعائه: اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك وحب ما يقربني الى حبك، واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد[4].

وفي الخبر المشهور[5] أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت إذا جاءه لقبض روحه: هل رأيت خليلاً يميت خليله؟ فأوحى الله إليه: هل رأيت محباً يكره لقاء حبيبه؟ فقال يا ملك الموت الآن فاقبض[6].

وفي ما ناجى الله به موسى بن عمران: يا بن عمران كذب من زعم أنه يحبني، فإذا جنه الليل نام عني، أليس كل محب يحب خلوة حبيبه؟ هأنذا[7] يا بن عمران مطلع على أحبائي، إذا جنهم الليل حولت أبصارهم إلي من قلوبهم، ومثلت عقوبتي بين أعينهم يخاطبونني عن المشاهدة ويكلمونني عن الحضور. يا بن

(١) سورة التوبة/ ٢٤.

(٢) سورة التوبة/ ٢٤.

(٣) مسكن الفؤاد، الشهيد الثاني: ١٧.

(٤) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٨/ ٥ ـ ٦، كتاب المحبة والشوق والرضا والأنس.

(٥) الخبر المشهور: وهو ما شاع عند أهل الحديث خاصة دون غيرهم بأن نقله منهم رواة كثيرون ولا يعلم هذا القسم إلا أهل الصناعة. أو عندهم وعند غيرهم، كحديث «إنما الأعمال بالنيات» وأمره واضح، وهو بهذا المعنى أعم من الصحيح. أو عند غيرهم خاصة ولا أصل له عندهم وهو كثير.
الرعاية لحال البداية في علم الدراية، الشهيد الثاني: ٨٠، المشهور.

(٦) أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ٢٢٣، بيان الحب لله ولرسوله(ﷺ).

(٧) في الأمالي: «ها أناذا».

عمران هب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينيك الدموع في ظلم الليل فإنك تجدني قريباً[1].

وروي أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم، فقال لهم: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا: الخوف من النار. فقال: حق على الله أن يؤمن الخائف، ثم جاوزهم إلى ثلاثة أُخر فإذا هم أشد نحولاً وتغيراً فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: الشوق إلى الجنة. قال: حق على الله أن يعطيكم ما ترجون. ثم جاوزهم إلى ثلاثة أُخر فإذا هم أشد نحولاً وتغيراً كأن على وجوههم المرايا من النور، فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: حب الله عزّوجل: فقال ثلاثاً: أنتم المقربون أنتم المقربون[2].

وروى الصدوق[3] في علل الشرائع عن نبينا صلى الله عليه وآله أن شعيباً بكى من حب الله عزّوجل حتى عمي فرد الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره، فلما كانت الرابعة أوحى الله إليه: يا شعيب الى متى يكون هذا أبداً منك؟ إن يكن هذا خوفاً من النار فقد أجرتك وإن يكن شوقاً الى الجنة فقد ابحتك. فقال: إلهي وسيدي أنت تعلم أني بكيت لا خوفاً

---

(١) أنظر: الأمالي: الصدوق: ٣٥٦ ـ ٣٥٧، المجلس السابع والخمسون/ ح١.

(٢) أنظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٠/ ١٥٦، من الخطبة رقم ١٨٦ له عليه السلام، ذكر الخوف وما ورد فيه من الآثار.

(٣) محمد بن علي بن الحسين بن بابويه: أبو جعفر، جليل القدر، حفظة، بصير بالفقه والأخبار، شيخ الطائفة وفقيهها ووجهها بخراسان، كان ورد بغداد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، سمع منه شيوخ الطائفة وهو حديث السن، له مصنفات كثيرة لم ير في القميين مثله في الحفظ وفي كثرة علمه، له نحو ثلاثمائة مصنف، مات بالري سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة.
رجال ابن داود، ابن داود: ١٧٩/ الرقم ١٤٥٥.

من نارك ولا شوقاً الى جنتك ولكن عقد حبك على قلبي فلست أصبر وأراك. فأوحى الله جل جلاله: أما إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليمي موسى بن عمران[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء كميل: فهبني يا إلهي وسيدي ومولاي وربي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك[2].

وقال ابنه سيد الشهداء في دعاء عرفة: أنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجأوا إلى غيرك[3].

وقال عليه السلام[4]: يا من أذاق أحباءه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملقين[5].

وفي المناجاة الإنجيلية[6] المنسوبة إلى السجاد عليه السلام: وعزتك لقد أحببتك محبة استقرت في قلبي حلاوتها وأنست نفسي بمباشرتها[7]، ومحال في عدل أقضيتك أن تسد أسباب رحمتك عن معتقدي محبتك[8].

(١) أنظر: علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ١/ ٥٧، باب ٥١ العلة التي من اجلها جعل الله عزّوجل موسى خادما لشعيب عليه السلام / ح١.

(٢) إقبال الأعمال، ابن طاووس الحلي: ٧٠٨، الباب التاسع فيما نذكره من فضل شهر شعبان وفوائده وكمال موائده وموارده.

(٣) إقبال الأعمال، ابن طاووس الحلي: ٣٤٩، الباب الثالث فيما يختص بفوائد من شهر ذي الحجة وموائد للسالكين صوب المحجة، فصل فيما نذكره من أدعية يوم عرفة.

(٤) أي: "الإمام الحسين بن علي عليهما السلام".

(٥) المصدر السابق.

(٦) قال الشيخ النمازي في مستدرك البحار: المناجاة الإنجيلية فيها جوامع العلوم والمعارف الحقة الإلهية. مستدرك سفينة البحار، الشيخ النمازي: ٩/ ٥٦٧، أدعية المناجاة.

(٧) في البحار: "نفسي ببشارتها".

(٨) بحار الأنوار، المجلسي: ٩١/ ١٦٩، كتاب الذكر والدعاء، باب ٣٢ أدعية المناجاة/ قطعة من المناجاة.

وفي مناجاته الأخرى: إلهي فاجعلنا من الذين ترسخت أشجار[1] الشوق إليك في حدائق صدورهم، وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم[2].

وقال عليه السلام[3]: وألحقنا بعبادك الذين هم بالبدار إليك يسارعون، وبابك على الدوام يطرقون، وإياك في الليل والنهار يعبدون، وهم من هيبتك مشفقون، الذين صفيت لهم المشارب وبلغتهم الرغائب[4].

وقال عليه السلام[5]: وملأت حفائرهم من حبك، ورويتهم من صافي شراب ودك، فبك إلى لذيذ مناجاتك وصلوا، ومنك على أقصى مقاصدهم حصلوا. ثم قال عليه السلام: فقد انقطعت إليك همتي وانصرفت نحوك رغبتي، فأنت لا غيرك مرادي ولك لا سواك سهري وسهادي، ولقاؤك قرة عيني، ووصلك مني نفسي، وإليك شوقي، وفي محبتك ولهي، وإلى هواك صبابتي، ورضاك بغيتي، ورؤيتك حاجتي، وجوارك طلبتي، وقربك غاية مسألتي، وفي مناجاتك روحي وراحتي، وعندك دواء علتي وشفاء غلتي وبرد لوعتي وكشف كربتي. ثم قال: ولا تقطعني عنك يا نعيمي وجنتي ويا دنياي وآخرتي[6].

---

(١) في البحار: "توشحت أشجار".

(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٩١/ ١٥٠، كتاب الذكر والدعاء، باب ٣٢ أدعية المناجاة، المناجاة الثانية عشر مناجاة العارفين ليوم الثلاثاء/ قطعة من المناجاة.

(٣) أي: "الإمام السجاد عليه السلام".

(٤) الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين عليه السلام: ٤١٢، في مناجاة المريدين. قطعة من المناجاة.

(٥) أي: "الإمام السجاد عليه السلام".

(٦) أنظر: الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين عليه السلام: ٤١٣، في مناجاة المريدين ليوم الجمعة.

وقال عليه السلام[1] أيضاً: إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلاً، ومن ذا الذي آنس بقربك فابتغى عنك حولا. إلهي فاجعلني ممن اصطفيته لقربك وولايتك، وأخلصته لودك ومحبتك، وشوقته إلى لقائك، وأرضيته بقضائك، ومنحته النظر إلى وجهك، وحبوته برضاك وأعذته من هجرك وقلاك. ثم قال عليه السلام[2]: وهيمت قلبه لإرداتك، واجتبيته لمشاهدتك، وأخليت وجهه لك، وفرغت فؤاده لحبك. ثم قال عليه السلام[3]: اللهم اجعلنا ممن دأبهم الارتياح إليك والحنين، وديدنهم الزفرة والأنين، وجباههم ساجدة لعظمتك، ودموعهم سائلة من خشيتك، وقلوبهم معلقة بمحبتك، وأفئدتهم منخلعة من هيبتك. يا من أنوار قدسه لا تزال شارقة وسبحات نور وجهه لقلوب عارفيه شائقة، يا منتهى قلوب المشتاقين، ويا غاية آمال المحبين، أسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يوصل إلى قربك وأن تجعلك أحب إلى ممن سواك[4].

وقال أيضاً[5]: إلهي ما ألذ خواطر الإلهام بذكرك على القلوب، وما أحلى المسير إليك في مسالك العيوب، وما أطيب حبك، وما أعذب شرب قربك.[6] إلى أن قال[7]: وغلتي لا يبردها إلاّ وصلك، ولوعتي لا يطفئها إلا لقاؤك، وشوقي

(١) أي: "الإمام زين العابدين عليه السلام".

(٢) أي: "الإمام زين العابدين عليه السلام".

(٣) أي: "الإمام زين العابدين عليه السلام".

(٤) أنظر: الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين عليه السلام: ٤١٣ ـ ٤١٤، في مناجاة المحبين ليوم السبت.

(٥) أي: "الإمام السجاد عليه السلام".

(٦) أنظر: الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين عليه السلام: ٤١٨، في مناجاة العارفين ليوم الثلاثاء/ ذيل المناجاة.

(٧) أي: "الإمام زين العابدين عليه السلام".

إليك لا يبله إلا النظر إلى وجهك، وقراري لا يقر دون دنوي منك، ولهفتي لا يردها إلا روحك، وسقمي لا يشفيه إلا طبك، وغمي لا يزيله إلا قربك، وجرحي لا يبرئه إلا صفحك، وصدأ قلبي[1] لا يجلوه إلا عفوك، ووسواس صدري لا يزيحه إلا منّك[2].

الفصل الثالث: في معنى محبة الله سبحانه لعبده

يرجع معناها إلى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه، وإلى تمكينه إياه من القرب إليه، وإلى إرادته ذلك به، وإلى تطهير باطنه من حب غيره وتخليته عن عوائق تحول بينه وبين مولاه حتى لا يسمع إلا بالحق ومن الحق ولا يبصره إلا به ولا ينطق إلا به، كما ورد في الحديث القدسي: لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به[3].

فيكون تقربه بالنوافل سبباً لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه، وكل ذلك من فضل الله ولطفه به، قال تعالى: ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾[4] وقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا**﴾[5] وقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾[6].

---

(١) في الصحيفة السجادية: "ورين قلبي".

(٢) الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين: ٤١٥، في مناجاة المفتقرين/ قطعة من المناجاة.

(٣) أنظر: الكافي، الكليني: ٣٥٢/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب من آذى المسلمين واحتقرهم/ح٧.

(٤) سورة المائدة/ ٥٤.

(٥) سورة الصف/ ٤.

(٦) سورة البقرة/ ٢٢٢.

وقال رسول الله ﷺ : إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلاّ من يحب[1].

وقال ﷺ : إذا أحب الله عبداً ابتلاه، فإن صبر اجتباه وإن رضي اصطفاه[2].

وقال ﷺ : إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه[3].

وأخص علاماته حبه لله، فإن ذلك يدل على حب الله عزّوجل له.

وأما الفعل الدال على كونه محبوباً فهو أن يتولى الله أمره ظاهره وباطنه سره وجهره، فيكون هو المشير عليه والمدبر لأموره والمزين لأخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل لهمومه هماً واحداً، والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته.

ثم اعلم أن الطريق إلى تحصيل المحبة وتقويتها تطهير القلب عن شواغل الدنيا وعلائقها والتبتل إلى الله بالذكر والفكر، ثم إخراج حب غير الله منه، فإن القلب مثل الإناء الذي لا يسع للخل مثلاً ما لم يخرج منه الماء، و﴿**ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾[4].

---

(١) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٨/ ٦٣ ـ ٦٤، كتاب المحبة والشوق والرضا والأنس، بيان محبة الله عزّوجل للعبد ومعناها.

(٢) أنظر: مسكن الفؤاد، الشهيد الثاني: ٨٤، الباب الثالث في الرضا.

(٣) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٨/ ٦٧، كتاب المحبة والشوق والرضا والأنس، بيان محبة الله عزّوجل للعبد ومعناها.

(٤) سورة الأحزاب/ ٤.

وكمال الحب في أن يحب الله بكل قلبه، وما دام يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة لغيره، فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حب الله، إلا أن يكون التفاته الى الغير من حيث إنه صنع الله وفعل الله ومظهر من مظاهر أسماء الله.

وبالجملة أن يحبه لله وفي الله كحب الأنبياء المرسلين والأئمة الطاهرين والأولياء والصالحين.

اللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك وحب ما يقرب الى حبك، وهيئ لنا أسباب حبك حتى نحبك ونحب من يحبك بمحمد وآله[1].

(١) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٨/ ٤٣ ــ ٥٠، كتاب المحبة والشوق والرضا والأنس، بيان الأسباب المقوية لحب الله تعالى.



الباب الثامن

اليقين



في اليقين

وفيه فصلان

الفصل الأول: في فضله

قال الله تعالى: ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[1].

وقال النبي ﷺ: من[2] أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر، ومن أوتي حظه منهما لم يبال ما فاته من صيام النهار وقيام الليل[3].

وقال ﷺ لما قيل له: رجل حسن اليقين كثير الذنوب، ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين؟ فقال ﷺ: ما آدمي إلا وله ذنوب، ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب، لأنه كلما أذنب ذنباً تاب واستغفر وندم، فيكفّر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة[4].

---

(١) سورة البقرة/ ٤.

(٢) ليس في جامع السعادات: "من".

(٣) جامع السعادات، النراقي: ١/ ١٥٤، اليقين.

(٤) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ١/ ٧٢، كتاب العلم، الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء.

وقال ﷺ: اليقين الإيمان كله[1].

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال: ليس شيء إلا وله حد. قيل له: جعلت فداك فما حد التوكل؟ قال: اليقين. قيل: فما حد اليقين؟ قال: ألا يخاف مع الله شيئاً[2].

وقال عليه السلام[3]: من صحة يقين المسلم أن لا يُرضي الناس بسخط الله ولا يلومهم على ما لم يؤته الله، فإن الرزق حرص حريص ولا يرده كراهية كاره، ولو أن أحدكم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت، ثم قال عليه السلام[4]: إن الله بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط[5].

أراد عليه السلام[6] بقوله: «ولا يلومهم على ما لم يؤته الله» أن لا يشكوهم على ترك صلتهم إياه بالمال ونحوه، فإن ذلك شيء لم يقدره الله له ولم يرزقه إياه، ومن كان من أهل اليقين عرف أن ذلك كذلك فلا يلوم أحداً بذلك، وعرف أن ذلك مما اقتضته ذاته بحسب استحقاقه وما أوجبته حكمة الله في أمره[7].

وقال عليه السلام[8]: إن العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين[9].

---

(١) إرشاد القلوب، الديلمي: ١/ ١٢٧، الباب الثامن والثلاثون في الصبر.

(٢) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٥٧، كتاب الإيمان والكفر، باب فضل اليقين/ ح١.

(٣) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٤) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٥) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٥٧، كتاب الإيمان والكفر، باب فضل اليقين/ ح٢.

(٦) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٧) أنظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٦٧/ ١٤٣، كتاب الإيمان والكفر، باب ٥٢ اليقين والصبر على الشدائد/ بيان العلامة المجلسي على الحديث ٧.

(٨) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٩) الكافي، الكليني: ٢/ ٥٧، كتاب الإيمان والكفر، باب فضل اليقين/ ح٣.

وقال عليه السلام[1]: قال أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر: لا يجد أحدكم طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه[2] لم يكن ليصيبه[3].

وقال عليه السلام[4]: إن أمير المؤمنين جلس إلى حائط مائل يقضي بين الناس، فقال بعضهم: لا تقعد تحت هذا الحائط فإنه معور، فقال عليه السلام[5]: حرس امرئ أجله، فلما قام عليه السلام سقط الحائط. قال: وكان عليه السلام مما يفعل هذا وأشباهه، وهذا اليقين[6].

وعن صفوان الجمال[7] قال: سألت الصادق عليه السلام[8] عن قول الله عزّوجل: ﴿**وَأَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما**﴾[9] فقال: أما إنه ما كان ذهباً ولا فضة، وإنما كان أربع كلمات: لا إله إلا أنا من أيقن بالموت لم يضحك سنه، ومن أيقن بالحساب لم يفرح قلبه، ومن أيقن بالقدر لم يخش إلا الله[10].

---

(١) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٢) في مجموعة ورام: "وما أخطأه".

(٣) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ٢/ ١٨٤.

(٤) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٥) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٦) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٥٨، كتاب الإيمان والكفر، باب فضل اليقين/ ح٥.

(٧) صفوان بن مهران بن المغيرة الأسدي، مولاهم ثم مولى بني كاهل منهم، كوفي، ثقة، يكنى أبا محمد، كان يسكن بني حرام بالكوفة. روى عن أبي عبد الله عليه السلام، وكان صفوان جمالا، له كتاب يرويه جماعة.

رجال النجاشي، النجاشي: ١٩٨، باب الصاد/ الرقم ٥٢٥.

(٨) في الكافي: "سألت أبا عبد الله عليه السلام".

(٩) سورة الكهف/ ٨٢.

(١٠) الكافي، الكليني: ٢/ ٥٨، باب الإيمان والكفر، باب فضل اليقين/ ح٦.

هكذا رواه الكافي، ولعله سقط من النساخ شيء، وتأتي الكلمة الرابعة في رواية أخرى[1].

وعنه عليه السلام[2] قال: كان أمير المؤمنين يقول: لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الضار النافع هو الله عزّوجل[3].

وعن سعيد بن قيس الهمداني[4] قال: نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان، فحركت فرسي فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع؟ فقال: نعم يا سعيد إنه ليس من عبد إلا وله من الله عزّوجل حافظة واقية معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بئر، فإذا نزل القضاء خليا بينه وبين كل شيء[5].

---

(1) عن العالم عليه السلام أنه سئل عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ سورة الكهف/٨٢. فقال: والله ما كان ذهبا ولا فضة ولكنه كان لوحا مكتوبا عليه أربعة أحرف: أنا الله لا إله إلا أنا من أيقن بالموت لم يضحك سنه، و من أيقن بالحساب لم يفرح قلبه، ومن أيقن بالقدر علم أنه لا يصيبه إلا ما قدر عليه.

فقه الرضا، الإمام الرضا عليه السلام: ٣٧٠ ـ ٣٧١، باب ١٠٢ التواضع والزهد.

(2) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(3) أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ٢/ ١٨٤.

(4) سعيد بن قيس الهمداني الصائدي الكوفي.

قال الفضل بن شاذان ومن التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم فعد جماعة منهم سعيد بن قيس.

جامع الرواة، الأردبيلي: ١/ ٣٦١، باب السين.

(5) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٥٩، كتاب الإيمان والكفر، باب فضل اليقين/ ح٨.

وعن الرضا عليه السلام قال: كان في الكنز الذي قال الله عزّوجل: ﴿**وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا**﴾[1] فيه بسم الله الرحمن الرحيم: عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها كيف يركن إليها، وينبغي لمن عقل عن الله أن لا يتهمه في قضائه ولا يستبطئه في رزقه[2].

وعن الصادق عليه السلام قال: كان قنبر[3] غلام علي يحب علياً عليه السلام حباً شديداً، فإذا خرج علي خرج على أثره بالسيف، فرآه ذات ليلة فقال له: يا قنبير ما لك؟ فقال: جئت لأمشي خلفك يا أمير المؤمنين. فقال: ويحك أمن أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض؟ فقال: لا بل من أهل الأرض. فقال: إن أهل الأرض لا يستطيعون لي شيئاً إلا بإذن الله فارجع، فرجع[4].

وروي عنه[5] أنه قيل للرضا عليه السلام: إنك تتكلم بهذا الكلام والسيف يقطر دماً؟ فقال عليه السلام: إن لله وادياً من ذهب حماه بأضعف خلقه وهو النمل، فلو رامه النجاشي لم يصله إليه[6].

---

(١) سورة الكهف/ ٨٢.

(٢) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٥٩، كتاب الإيمان والكفر، باب فضل اليقين/ ح٩.

(٣) قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام، قتله الحجاج على حبه.

رجال ابن داود، ابن داود الحلي: ٢٧٨، باب القاف/الرقم ١٢٠٦.

(٤) أنظر: مشكاة الأنوار، الطبرسي: ١٣، الباب الأول في الإيمان والإسلام وما يتعلق بهما، الفصل الثالث في اليقين.

(٥) أنظر: سند الحديث ونصه في الهامش الآتي.

(٦) الكافي، الكليني: ٢/ ٥٩، كتاب الإيمان والكفر، باب فضل اليقين/ ح١١. وفيه النص: «عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، قَالَ: قِيلَ لِلرِّضَا عليه السلام: إِنَّكَ تَتَكَلَّمُ بِهَذَا الْكَلَامِ وَالسَّيْفُ يَقْطُرُ دَماً، فَقَالَ: إِنَّ لِلَّهِ وَادِياً مِنْ ذَهَبٍ حَمَاهُ بِأَضْعَفِ خَلْقِهِ النَّمْلِ فَلَوْ رَامَهُ الْبَخَاتِيُّ لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِ».

الفصل الثاني: في حقيقة اليقين

اليقين أن يرى الأشياء كلها بقضها وقضيضها من مسبب الأسباب ومالك الرقاب، ولا يلتفت إلى الوسائط بل يرى الوسائط كلها مسخرة لأمر الله وحكمه، وإذا علم ذلك وتحقق ما هنالك حصل له الوثوق بضمان الله للرزق فيقطع طمع قلبه عما في أيدي الناس، ويعلم أن ما قدر له سيساق إليه ثم أن يغلب على قلبه أن من ﴿**يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾[1]، ثم المعرفة بأن الله مطلع عليه في كل حال عالم بسرائره وخبير بضمائره، ومشاهد لهواجس[2] ضميره وخفايا خواطره، فيكون متأدباً في جميع أحواله وأعماله مع الله تعالى، ويعبد الله كأنه يراه ويعلم بأنه يراه[3]، وتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه لعين الله الكالئة[4] اشد من مبالغته في تزيين ظاهره لسائر الناس[5].

---

(١) سورة الزلزلة/ ٧ ـ ٨.

(٢) الهجس: أن يحدث نفسه في صدره مثل الوسواس. وهجس في صدري شيء يهجس، أي: حدس.

تاج العروس، الزبيدي: ٢٧١/٤، مادة "الهجس".

(٣) قال رسول الله ﷺ في وصية له لأبي ذر: «يا أبا ذر أعبد الله كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه عزوجل يراك».

الأمالي، الطوسي: ٥٢٦، المجلس ١٩.

(٤) كلأه يكلؤه كلأ وكلاء و كلاءة، بالكسر: حرسه وحفظه.

لسان العرب، ابن منظور: ١/ ١٤٦، مادة "كلأ".

(٥) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ١٩٣، الباب الخامس في اليقين والتوكل، الفصل الأول عظم شأن اليقين ودرجاته.

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: اليقين يوصل العبد إلى كل حال سنيٍّ ومقام عجيب، كذلك أخبر رسول الله عن عظم شأن اليقين حين ذكر عنده أن عيسى بن مريم عليه السلام كان يمشي على الماء، فقال: لو زاد يقينه لمشى في الهواء، فدل بهذا على أن الأنبياء مع جلالة محلهم من الله كانوا يتفاضلون على حقيقة اليقين لا غير، ولا نهاية لزيادة اليقين على الأبد.

والمؤمنون أيضاً متفاوتون في قوة اليقين وضعفه: فمن قوي منهم يقينه فعلامته التبري من الحول والقوة إلا بالله، والاستقامة على أمر الله، وعبادته ظاهراً وباطناً، قد استوت عنده حالتا العدم والوجود والزيادة والنقصان والمدح والذم والعز والذل، لأنه يرى كلها من عين واحدة.

ومن ضعف يقينه تعلق بالأسباب، ورخص لنفسه بذلك، واتبع العادات وأقاويل الناس لغير حقيقة، والسعي في أمور الدنيا وجمعها وإمساكها مقراً باللسان أنه لا مانع ولا معطي إلا الله، وأن العبد لا يصيبه إلا ما رزق وقسم له، والجهد لا يزيد في الرزق وينكر ذلك بفعله وقلبه[1]، قال الله تعالى: ﴿**يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِم ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِما يَكْتُمُونَ**﴾[2].

وإنما عطف الله لعباده حيث أذن لهم في الكسب والحركات في باب العيش ما لم يتعدوا حدوده ولا يتركوا من فرائضه وسنن نبيه في جميع حركاتهم ولا يعدلوا عن محجة التوكل ولا يقفوا في ميدان الحرص، وأما إذا أبوا ذلك فارتبطوا بخلاف ما حدّ لهم كانوا من الهالكين الذين ليس معهم في الحاصل إلا الدعاوى الكاذبة.

---

(١) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ١٩٣ ـ ١٩٤، الباب الخامس في اليقين والتوكل، الفصل الأول عظم شأن اليقين ودرجاته.

(٢) سورة آل عمران/ ١٦٧.

وكل مكتسب لا يكون متوكلاً فلا يستجلب من كسبه إلى نفسه إلا حراماً وشبهة، وعلامته أن يؤثر ما يحصل من كسبه ويجوع وينفق في سبيل الدين ولا يمسك، والمأذون بالكسب من كان بنفسه مكتسباً وبقلبه متوكلاً، وإن كثر المال عنده قام فيه كالأمين عالماً بأن كون ذلك وفوته سواء، وإن أمسك أمسك لله وإن أنفق أنفق في ما أمره الله عزّوجل، ويكون منعه وعطاؤه في الله[1].

(١) أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ١٧٧ ـ ١٧٩، الباب الرابع والثمانون في اليقين.



الباب التاسع

التوكل



في التوكل

والكلام فيه في فصول

الفصل الأول: في فضله

قال الله تعالى: ﴿**وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[1] وقال: ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾[3]. فأعظم بمقام موسوم بمحبة الله صاحبه ومضمون بكفاية الله لا بسه، فإن المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب[4].

وقال تعالى: ﴿**أَلَيْسَ اللّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾[5] فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب[6] بهذه الآية[7][8].

---

(١) سورة المائدة/ ٢٣.

(٢) سورة الطلاق/ ٣.

(٣) سورة آل عمران/ ١٥٩.

(٤) أنظر: إرشاد القلوب، الديلمي: ١/ ١٢٠، في الحكم والمواعظ، الباب الخامس والثلاثون في التوكل على الله.

(٥) سورة الزمر/ ٣٦.

(٦) في مجموعة ورام: "مكذب".

(٧) سورة الزمر/ ٣٦.

(٨) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ٢٢١، بيان فضيلة التوكل.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1] أي عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ به والتجأ إلى حماه، وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره[2].

وقال رسول الله ﷺ: لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً[3].

وقال ﷺ: من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع الى الدنيا وكله الله إليها[4].

وقال ﷺ: من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده[5][6].

وعن الصادق عليه السلام: إن الغنى والعز يجولان، فإذا ظفرا بموضع التوكل أوطنا[7][8].

وعن الكاظم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[9]

---

(١) سورة الأنفال/ ٤٩.

(٢) أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ٢٢١، بيان فضيلة التوكل.

(٣) جامع الأخبار، الشعيري: ١١٧، الفصل الثالث والسبعون في التوكل.

(٤) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ٢٢٢، بيان فضيلة التوكل.

(٥) في المشكاة: "أوثق منه في يديه".

(٦) مشكاة الأنوار، الطبرسي: ١٨، الباب الأول في الإيمان والإسلام وما يتعلق بهما، الفصل الرابع في التوكل على الله والتفويض إليه والتسليم له/ ذيل الحديث.

(٧) في التحف: "أوطناه".

(٨) تحف العقول، الحراني: ٣٧٣، روي عن الإمام الصادق أبي عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه في طوال هذه المعاني، وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٩) سورة الطلاق/ ٣.

قال: للتوكل على الله درجات: منها أن تتوكل على الله في أمورك كلها، فما فعل بك كنت عنه راضياً، تعلم أنه لا يألوك إلا خيراً وفضلاً، وتعلم أن الحكم في ذلك له، فتوكل على الله بتفويض ذلك إليه، وثق به فيها وفي غيرها[1].

ولعل سائر درجات التوكل أن يتوكل على الله بعض أموره دون بعض، فتعددها بحسب كثر الأمور المتوكل فيها وقلّتها.

وعن الصادق عليه السلام: أوحى الله إلى داود: ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيته، ثم تكيده السماوات والأرض ومن فيهن إلا جعلت له المخرج من بينهن، وما اعتصم أحد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماوات من يديه وأسخت الأرض من تحته، ولم أبال بأي واد هلك[2].

وعنه عليه السلام[3]: إنه قرأ في بعض الكتب أن الله تعالى يقول: وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لأقطعن أمل كل مؤمل غيري باليأس، ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس، ولأنحينه من قربي، ولأبعدنه من وصلي، أيؤمل غيري في الشدائد، والشدائد بيدي، ويرجو غيري، ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني، فمن ذا الذي أمّلني لنوائبي فقطعته دونها، ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني، جعلت آمال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي، وملأت سماواتي ممن لا يمل تسبيحي،

---

(١) أنظر: الكافي، الكليني: ٦٥/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب التفويض إلى الله والتوكل عليه/ح٥.

(٢) أنظر: مشكاة الأنوار، الطبرسي: ١٦، الباب الأول في الإيمان والإسلام وما يتعلق بهما، الفصل الرابع في التوكل على الله والتفويض إليه والتسليم له.

(٣) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي، ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي أنه لا يملك كشفها أحد غيري، أفتراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثم أسأل فلا أجيب سائلي، أبخيل أنا فيبخلني عبدي، أو ليس الجود والكرم لي، أو ليس العفو والرحمة بيدي، أو ليس أنا محل الآمال فمن يقطعها دوني، أفلا يخشى المؤملون أن يؤملوا غيري، فلو أن أهل سماواتي وأهل أرضي أملوا جميعاً ثم أعطيت كل واحد منهم مثل ما أمل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة، وكيف ينقص ملك أنا قيمته، فيا بؤساً للقانطين من رحمتي، ويا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني[1].

الفصل الثاني: في حقيقة التوكل

إعلم أن التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين[2]، بل هو من معاني درجات المقربين[3]، وهو في نفسه غامض من حيث العلم وشاق وقال عليه السلام[4]: لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده، بل انظر الى خُلقه وعمله[5].

---

(١) أنظر: منية المريد، الشهيد الثاني: ١٦٠ ـ ١٦١، الباب الأول في آداب المعلم والمتعلم، القسم الأول آدابهما في أنفسهما، في التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه.

(٢) اليقين: العلم و إزاحة الشك، و تحقيق الأمر. واليقين: نقيض الشك.
لسان العرب، ابن منظور: ١٣/ ٤٥٧، مادة "يقن".

(٣) قيل في المقريبن، أنهم: علي عليه السلام وأصحابه.
مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٣/ ٢٣١.
قال الحسيني: في تفسير سورة الواقعة/ ٨٨: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ قال: ذاك من كان منزله عند الإمام. تأويل الآيات، الحسيني: ٦٣١، تأويل سورة الواقعة.

(٤) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٥) الكافي، الكليني: ٢/ ١٠٥، كتاب الإيمان والكفر، باب الصدق والأمانة/ ح١٢. وفيه ←

ووجه غموضه من حيث العلم أن ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد، والتباعد عنها بالكلية طعن في السنّة وقدح في الشرع، والاعتماد على الأسباب انغماس[1] في غمرة[2] الجهل.

والتحقيق فيه أن التوكل المأمور به في الشرع هو اعتماد القلب على الله في الأمور كلها وانقطاعه عما سواه، ولا ينافيه تحصيل الأسباب إذا لم يكن يسكن إليها، وكان سكونه إلى الله تعالى دونها مجوزاً أن يؤتيه الله مطلوبه من حيث لا يحتسب دون هذه الأسباب التي حصلها، وأن يقطع الله هذه الأسباب عن مسبباتها، سواء كانت لجلب نفع متوقع أو لدفع ضرر منتظر أو لإزالة آفة واقعة، وسواء كانت مقطوعاً بها، كمد اليد إلى الطعام ليصل إلى فيه، أو مظنونة كحمل الزاد للسفر وأخذ السلاح للعدو واتخاذ البضاعة للتجارة والادخار لتجدد الاضطرار والتداوي لإزالة الضرر والتحرز عن النوم في مكمن السباع وممر السيل وتحت الحائط المائل وغلق الباب وعقل البعير ونحو ذلك.

أما الموهومة كالرقية[3] والطيرة[4] والاستقصاء[1] في دقائق التدبير، فيبطل بها

النص: «قال أبو عبد الله عليه السلام: لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده فإن ذلك شيء اعتاده فلو تركه استوحش لذلك ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته».

(١) الغمس: إرساب الشيء في الشيء. وقال علي بن حجر: الإغتماس أن يطيل اللبث فيه.
لسان العرب، ابن منظور: ١٥٦/٦، مادة "غمس".

(٢) الغمرة منهمك الباطل، ومرتكض الهول. ويقال: هو يضرب في غمرة اللهو ويتسكع في غمرة الفتنة، وغمرة الموت: شدة همومه.
لسان العرب، ابن منظور: ٢٩/٥، مادة "غمر".

(٣) الرقية: العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات.
النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٢٥٤/٢، باب الراء مع القاف.

(٤) الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن: هي التشاؤم بالشيء. يقال: التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما. وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع وأبطله

التوكل، لأن أمثال ذلك ليست بأسباب عند العقلاء الألباء[٢]، وليست مما أمر الله بها، بل ورد النهي عنها.

وليس معنى التوكل ـ كما يظنه الحمقاء ـ أنه ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب، والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة واللحم على الوضم[٣]، فإن ذلك جهل محض[٤]، وهو حرام في الشرع، فإن الإنسان مكلف بطلب الرزق بالأسباب التي هداه الله إليها من زراعة أو تجارة أو صناعة أو غير ذلك مما أحله الله.

وكما أن الصلاة والصيام والحج عبادات كلف الله بها عباده يتقربون بها إليه كذلك طلب الرزق الحلال عبادة كلفهم الله به ليتقربوا به إليه، بل هو أفضل العبادات[٥]، كما ورد في الشرع: إن[٦] العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال[٧].

ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر.

النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ١٥٢/٣، باب الطاء مع الياء.

(١) القصا: البعد والناحية.

الصحاح، الجوهري: ٦/ ٢٤٦٢، مادة "قصا".

(٢) اللبيب: العاقل، والجمع ألباء.

الصحاح، الجوهري: ٢١٦/١، مادة "لبب".

(٣) الوضم الخشبة أو البارية التي يوضع عليها اللحم.

غريب الحديث، ابن سلام: ٣/ ٣٥٤.

(٤) المحض من كل شيء: الخالص.

لسان العرب، ابن منظور: ٧/ ٢٢٧، مادة "محض".

(٥) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ١٩٧، الباب الخامس في اليقين والتوكل، الفصل الرابع تحصيل الأسباب لا ينافي التوكل.

(٦) ليس في التهذيب: "إن".

(٧) التهذيب، الشيخ الطوسي: ٦/ ٣٢٤، كتاب المكاسب، باب ٩٣ المكاسب/ ح١٢.

ولكنه سبحانه كلفهم أيضاً بأن لا يثقوا إلا به جل وعز ولا يثقوا بالأسباب كما أنه سبحانه كلفهم بأن لا يتكلوا على أعمالهم الحسنة بل بفضل الله تعالى[1] ولهذا ورد في الشرع الأمر بالإجمال في الطلب لا الترك بالكلية ولا الإقبال عليه بالكلية[2].

وقال النبي ﷺ: ألا إنّ الروح الأمين نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله عزّوجل وأجملوا في الطلب[3].

وقال ﷺ: ما أجمل في الطلب من ركب البحر[4].

وقال الصادق عليه السلام: ليكن طلبك المعيشة فوق كسب المضيع ودون طلب الحريص الراضي بدنياه المطمئن إليها، ولكن أنزل نفسك من ذلك بمنزلة المنصف[5] المتعفف ترفع نفسك عن منزلة الواهن[6] الضعيف، وتكتسب ما لابد منه[7]، إن الذين أعطوا المال ثم لم يشكروا لا مال لهم[8].

(١) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ١٩٤ ـ ١٩٥، الباب الخامس في اليقين والتوكل، الفصل الثاني التوكل باب الرزق والرحمة.

(٢) أنظر: الكافي، الكليني: ٥/ ٨٠ ـ٨٣، كتاب المعيشة، باب الإجمال في الطلب/الأحاديث١ـ١١.

(٣) الكافي، الكليني: ٥/ ٨٠، كتاب المعيشة، باب الإجمال في الطلب/ صدر الحديث ١.

(٤) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١/ ٤٦٠، أبواب الصلاة وحدودها، باب الصلاة في السفينة/ ح١٤.

(٥) في التهذيب: "النصف" بدل "المنصف".

(٦) الواهن: الضعيف.

سبل الهدى والرشاد، الصالحي الهاشمي: ٥/ ١٧٣.

(٧) في التهذيب: "ما لابد للمؤمن منه".

(٨) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ٦/ ٣٢٢، كتاب المكاسب، باب ٩٣ المكاسب/ح٣.

وقال عليه السلام[1]: إذا فتحت بابك وبسطت بساطك فقد قضيت ما عليك[2].

وإنما لا يبطل التوكل بالأسباب المقطوعة والمظنونة مع أن الله تعالى قادر على إعطاء المطلوب بدون ذلك لأن الله سبحانه أبى[3] أن يجري الأشياء إلا بالأسباب[4] كما قال الصادق عليه السلام؛ وأحب الله لعباده أن يطلبوا منه مقاصدهم بالأسباب التي سببها لذلك وأمرهم بذلك، قال الله تعالى: ﴿**خُذُواْ حِذْرَكُمْ**﴾[5] وقال في كيفية صلاة الخوف[6]: ﴿**وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ**﴾[7] وقال: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ**﴾[8] وقال لموسى: ﴿**فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً**﴾[9] والتحصن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء دفعاً للضرر[10].

وقال النبي صلى الله عليه وآله للأعرابي لما أهمل البعير وقال: توكلت على الله «إعقل وتوكل»[11] الى غير ذلك من الأخبار.

---

(١) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٢) الكافي، الكليني: ٥/ ٧٩، كتاب المعيشة، باب الإبلاء في طلب الرزق/ ح١.

(٣) في بصائر الدرجات: "أبى الله".

(٤) بصائر الدرجات، الصفار: ٦، باب ٣ معرفة العالم الذي من عرفه عرف الله ومن أنكره أنكر الله تعالى والسبب الذي يوفق لمعرفته/ صدر الحديث ١.

(٥) سورة النساء/ ٧١.

(٦) أنظر: تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي: ١/ ٧٩، تفسير سورة البقرة.

(٧) سورة النساء/ ١٠٢.

(٨) سورة الأنفال/ ٦٠.

(٩) سورة الدخان/ ٢٣.

(١٠) أنظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري: ٢٥/ ١٥٦، تفسير سورة الدخان/ ح٢٤٠٥٦.

(١١) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي: ١/ ٧٥، الفصل الرابع/ ح١٤٩.

وروي أن زاهداً من الزهاد فارق الأمصار وقام في سفح جبل وقال: لا أسأل أحداً شيئاً حتى يأتيني ربي برزقي. فقعد سبعاً فكاد يموت ولم يأته رزقه، فقال: يا رب إن أحييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي وإلا فاقبضني إليك. فأوحى الله إليه: وعزتي وجلالي لا أرزقك حتى تدخل الأمصار وتقعد بين الناس. فدخل المصر وأقام فجاء هذا بطعام وهذا بشراب، فأكل وشرب وأوجس في نفسه ذلك، فأوحي إليه أردت أن تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا، أما علمت أن أرزق عبدي بأيدي عبادي أحب إلي من أن أرزقه بيد قدرتي[1].

وروي أن موسى عليه السلام اعتل بعلة فدخل عليه بنو إسرائيل فعرفوا علته فقالوا له: لو تداويت بكذا لبرئت. فقال: لا أتداوى حتى يعافيني الله من غير دواء. فطالت علته فأوحى الله إليه: وعزتي وجلالي لا أبرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك. فقال لهم: داووني بما ذكرتم، فداووه فبرأ فأوجس في نفسه ذلك فأوحى الله إليه: أردت أن تبطل حكمتي بتوكلك علي، فمن أودع العقاقير منافع الأشياء غيري؟![2].

الفصل الثالث: في سببه ودوائه ودرجاته

إعلم أن من اعتقد اعتقاداً بأنه لا فاعل إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأن له تمام العلم والقدرة على كفاية العباد، ثم تمام العطف والعناية والتوجه بجملة العباد والآحاد، وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه

---

(١) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ١٩٨ ـ ١٩٩، الباب الخامس في اليقين والتوكل، الفصل الرابع تحصيل الأسباب لا ينافي التوكل.

(٢) أنظر: نفس المصدر السابق.

علم ولا وراء منتهى عنايته عناية اتكل لا محالة قلبه على الله وحده ولم يلتفت إلى غيره بوجهه ولا إلى نفسه.

ومن لم يجد ذلك من نفسه فسببه أحد أمرين: إما ضعف اليقين، وإما ضعف القلب.

ومرضه باستيلاء الجبن عليه، وانزعاجه بسبب الأوهام الغالبة عليه، فإن القلب قد ينزعج تبعاً للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين، كانزعاجه أن يبيت مع ميت في قبر أو فراش مع عدم نفرته عن سائر الجمادات، فالتوكل لا يتم إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعاً، إذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر، فكم من يقين لا طمأنينة معه، كما قال تعالى لخليله: ﴿**أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾[1].

وكم من مطمئن لا يقين له كسائر أرباب الملل والمذاهب، فإن اليهودي مطمئن القلب إلى تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهما أصلاً، وإنما ﴿**يَتَّبِعُونَ الظَّنَّ وَما تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جاءَهُم مِن رَبِّهِمُ الْهُدى**﴾[2]، وهو سبب اليقين إلا أنهم معرضون.

واعلم أن الناس تتفاوت درجاتهم في التوكل بحسب تفاوت مراتبهم في قوة اليقين وضعفه، وفي قصر الأمل وطوله، وفي مدار الادخار بحسب الأمل وللمنفرد والمعيل: فمنهم من هو من المقربين[3]، ومنهم من هو من أصحاب اليمين[4]، ومنهم من لا توكل له أصلاً، وذلك بحسب عدم الوثوق بالأسباب أصلاً وقلته وكثرته.

---

(١) سورة البقرة/ ٢٦٠.

(٢) سورة النجم/ ٢٣.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَأَمّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ سورة الواقعة/ ٨٨.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وأَمّا إِنْ كانَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ﴾ سورة الواقعة/ ٩٠.

ومن كمل إيمانه سقط وثوقه بالأسباب بالكلية، فيرزقه الله من حيث لا يحتسب كسب أم لم يكتسب، إلا أنه لا يترك الكسب بل يتبع أمر الله فيه، وليس وثوقه إلا بالله وحده دون كسبه[1].

قال الصادق عليه السلام: أبى الله عزّوجل[2] أن يجعل أرزاق المؤمنين إلا من حيث لا يحتسبون[3].

وإنما خصه بالمؤمنين لأن كمال الإيمان يقتضي أن لا يثق صاحبه بالأسباب وأن يتوكل على الله عزّوجل وحده، وكمال الإيمان إنما يكون لصاحب العلم المكنون من الأنبياء والأولياء ﴿**ذلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشاء**﴾[4].

وقال السجاد عليه السلام: رأيت الخير كله في قطع الطمع عما في أيدي الناس، ومن لم يرج الناس في شيء وردَّ أمره إلى الله تعالى في جميع أموره استجاب الله تعالى له في كل شيء[5].

وقال الباقر عليه السلام: بئس العبد عبد له طمع يقوده، وبئس العبد عبد له رغبة تذله[6].

---

(١) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ١٩٦، الباب الخامس في اليقين والتوكل، الفصل الثالث التوكل يبنى بقوة القلب واليقين.

(٢) ليس في التمحيص: "عزّوجل".

(٣) التمحيص، الإسكافي: ٥٣، باب ٦ وجوب الأرزاق و الإجمال في الطلب/ ح١٠٤.

(٤) سورة المائدة/ ٥٤.

(٥) أنظر: الكافي، الكليني: ١٤٨/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الاستغناء عن الناس/ ح٣.

(٦) الكافي، الكليني: ٢/ ٣٢٠، كتاب الإيمان والكفر، باب الطمع/ ح٢.

وقال الصادق عليه السلام : شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس[1].

(١) مشكاة الأنوار، الطبرسي: ١٢٦، الباب الثالث في محاسن الأفعال وشرف الخصال وما يشبههما، الفصل السادس في الغنى والفقر.



الباب العاشر

الصدق وأداء الأمانة



في الصدق وأداء الأمانة

قال الله تعالى: ﴿**كُونُواْ**[1] **مَعَ الصّادِقِينَ**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ**﴾[3].

وقال الصادق عليه السلام: إن الصادق أول ما يصدقه الله تعالى يعلم أنه صادق، فتصدقه نفسه تعلم أنه صادق[4].

وعنه عليه السلام[5]: إن العبد ليصدق حتى يكتب عند الله من الصادقين، ويكذب حتى يكتب عند الله من الكاذبين، فإذا صدق قال الله تعالى[6] صدق وبرّ، وإذا كذب قال الله تعالى[7] كذب وفجر[8].

---

(١) في النص القرآني: "وكونوا".

(٢) سورة التوبة/ ١١٩.

(٣) سورة الأحزاب/ ٢٣.

(٤) أنظر: ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق: ١٧٨، ثواب الأعمال، ثواب الصدق.

(٥) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٦) في الكافي: "عز وجل" بدل "تعالى".

(٧) في الكافي: "عز و جل" بدل "تعالى".

(٨) الكافي، الكليني: ٢/ ١٠٥، كتاب الإيمان والكفر، باب الصدق وأداء الأمانة/ ح٩.

وفي رواية أخرى: إن العبد ليصدق حتى يكتبه الله تعالى صدّيقاً[1].

وعنه عليه السلام[2] قال: كونوا دعاة الناس بالخير بغير ألسنتكم[3] ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع.[4]

وقال عليه السلام[5] لبعض أصحابه: أنظر ما بلغ علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله فالزمه، فإن علياً إنما بلغ عند رسول الله ما بلغ بصدق الحديث وأداء الأمانة[6].

وقال عليه السلام[7]: إن الله تعالى[8] لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البر والفاجر[9].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: أداء الأمانة يجلب الرزق، والخيانة تجلب الفقر[10].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: أدوا الأمانات[11] ولو الى قاتل ولد الأنبياء[12].

---

(١) أنظر: المعجم الأوسط، الطبراني: ٨/ ٣٢.

(٢) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٣) في مجموعة ورام: «كونوا دعاة للناس إلى الخير بغير ألسنتكم».

(٤) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١٢.

(٥) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٦) أنظر: مشكاة الأنوار، الطبرسي: ٤٦، الباب الأول في الإيمان والإسلام وما يتعلق بهما/ الفصل الثاني عشر في التقوى والورع.

(٧) أي: «الإمام الصادق عليه السلام».

(٨) في الكافي: "عز و جل" بدل "تعالى".

(٩) الكافي، الكليني: ٢/ ١٠٤، كتاب الإيمان والكفر، باب الصدق وأداء الأمانة/ ح١.

(١٠) تحف العقول، الحراني: ٤٥، ماروي عن النبي صلى الله عليه وآله في طوال هذه المعاني، وروي عنه صلى الله عليه وآله في قصار هذه المعاني. وفيه النص: «الأمانة تجلب الرزق والخيانة تجلب الفقر».

(١١) في الكافي: "الأمانة" بدل "الأمانات".

(١٢) الكافي، الكليني: ٥/ ١٣٣، كتاب المعيشة، باب أداء الأمانة/ ح٣.

وعن الصادق عليه السلام: من ائتمنك بأمانة فأدها إليه، ومن خانك فلا تخنه[1].

واعلم أن الصدق يكون في الأقوال وفي الأعمال وفي الأحوال، وأدنى مراتب الصدق الصدق في القول في كل حال، وكماله بترك المعاريض من غير ضرورة حذراً عن تفهيم الخلاف، وكسب القلب صورة كاذبة.

وينبغي أن يصدق في القول مع الحق ومع الخلق، فمن قال «وجهت وجهي لله»[2] وفي قلبه سواه، أو ﴿**إِيّاكَ نَعْبُدُ**﴾[3] وهو يعبد الدنيا وهواه أو ﴿**إِيّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[4] وهو بغير الله يستعين، فهو كاذب.

كما قال الفريد الوحيد رحمه الله.

إياك من قول به تفند	**فأنت عبد لهواك تعبد**
تلهج في «إياك نستعين»	**وأنت غير الله تستعين**[5]

ثم الصدق في النية، بأن يخلصها من الشوائب كما تقدم.

ثم في العزم، وهو الجزم القوي على الخير، فإن الإنسان قد يقدم العزم على العمل، فيقول في نفسه «إن رزقني الله مالاً تصدقت بجميعه أو شطره» و«إذا لقيت عدواً في سبيل الله قاتلته ولم أبال وإن قتلت». وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد، وضعف يضاد الصدق في العزيمة.

---

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٣/ ١٨٦، باب الدين والقرض/ ح٢٠.

(٢) الكافي، الكليني: ٣/٣١٠، كتاب الصلاة، باب افتتاح الصلاة والحد في التكبير/ح٧.

(٣) سورة الفاتحة / ٥.

(٤) سورى الفاتحة/ ٥.

(٥) يقول النمازي في مستدرك سفينة البحار قبل ذكر الأبيات، يناسب في هذا المقام نقل هذه الأشعار من الدرة. وقد أوضحنا سابقا أن الدرة للسيد مهدي بحر العلوم الطباطبائي (قدس سره).
مستدرك سفينة البحار، النمازي: ٧/ ٦٥.

ثم في الوفاء بالعزم، فالنفس قد تسخو بالعزم في الحال، إذا لا مشقة في الوعد، فإذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة، وهذا يضاد الصدق فيه، ولذلك قال تعالى: ﴿**رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ**﴾[1].

ثم في الأعمال، بأن يبذل جهده، بحيث لا يكون ظاهره مخالفاً لباطنه لا بأن يترك العمل بالمرة، بل بأن يسخر الباطن الى تصديق الظاهر، وهذا غير ريائي، لأن المرائي هو الذي يقصد ذلك لأجل الخلق، وربّ واقف على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره، ولكن قلبه غافل عن الصلاة، فمن نظر إليه رآه قائماً بين يدي الله، وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته. وكذلك قد يمشي على هيئة السكون والوقار، وليس باطنه موصوفاً بذلك، فهذا غير صادق في عمله وإن لم يكن ملتفتاً إلى الخلق ولا مرائياً إياهم، ولا ينجو من هذا إلا باستواء السر والعلانية، بأن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيراً من ظاهره، وهذا كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: إني والله ما أحثكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلا وأتناهى قبلكم عنها[2].

ثم في مقامات الدين، وهو أعلى درجات الصدق وأعزها، كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والحب والتوكل وسائر المكارم، فإن هذه الأمور لها مبادئ ينطلق الاسم بظهورها، ثم لها غايات وحقائق، والصادق المحقق من نال حقيقتها، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا**﴾ الى قوله: ﴿**أُولئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ**﴾[3] وقال عزّوجل: ﴿**وَلكِنَّ الْبِرَّ مَنْ**

(١) سورة الأحزاب/ ٢٣.

(٢) نهج البلاغة، الشريف الرضي: ١/ ٢٥٠، خطب أمير المؤمنين عليه السلام، الخطبة ١٧٥ له عليه السلام في الموعظة وبيان قرباه من رسول الله.

(٣) سورة الحجرات/ ١٥.

آمَنَ بِاللّه وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[1] ثم قال: ﴿وَالصّابِرِينَ فِي الْبَأْساء والـضَّرّاء﴾[2] الى قوله: ﴿أُولئكَ الَّذينَ صَدَقُوا﴾[3].

وسئل أبو ذر[4] رضي الله عنه عن الإيمان فقرأ هذه الآية[5]، فقيل له: سألناك عن الإيمان فقال: سألت رسول الله ﷺ عن الإيمان فقرأ هذه الآية[6].[7]

وإن أردت أيضاً أن تعرف معنى الصدق في الخوف فاعلم أنه ما من عبد يؤمن بالله إلا وهو خائف خوفاً ينطبق عليه هذا الاسم، ولكنه خوف غير بالغ درجة الصدق والحقيقة، ولذا تراه إذا خاف سلطاناً أو قاطع طريق في سفر كيف يصفر لونه فترتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه أكله ونومه، وينقسم عليه فكره حتى لا ينتفع به أهله وولده، وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالأنس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للأخطار، كل ذلك خوفاً من درك المحظور، فما بال من يدعي الخوف من الله ومن عذابه وعقابه وناره لا يظهر عليه شيء من ذلك

---

(١) سورة البقرة/ ١٧٧.

(٢) سورة البقرة/ ١٧٧.

(٣) سورة البقرة/ ١٧٧.

(٤) جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد، من بني غفار، من كنانة بن خزيمة، أبو ذر: صحابي، من كبارهم. يقال أسلم بعد أربعة وكان خامسا. يضرب به المثل في الصدق. هاجر بعد وفاة النبي (ﷺ) إلى بادية الشام. فأقام إلى أن توفي أبو بكر وعمر وولي عثمان، فسكن دمشق وجعل ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم. فشكاه معاوية إلى عثمان فاستقدمه عثمان إلى المدينة، فقدمها و استأنف نشر رأيه في تقبيح منع الأغنياء أموالهم عن الفقراء، فعلت الشكوى منه فأمره عثمان بالرحلة إلى الربذة فسكنها إلى أن مات (سنة ٣٢ هـ). وكان كريما لا يخزن من المال قليلا ولا كثيرا.
الأعلام، الزركلي: ٢/ ١٤٠، أبو ذر الغفاري.

(٥) سورة الحجرات/ ١٥.

(٦) سورة الحجرات/ ١٥.

(٧)إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ٣٤٠، كتاب النية والإخلاص والصدق، الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته، بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه.

عند جريان معصيته عليه، ولذا قال النبي ﷺ: لم أر مثل النار نام هاربها، ولم أر مثل الجنة نام طالبها[1]. وهكذا الصدق في الرجاء كما تقدم في محله.

وقد يكون العبد صادقاً في جميع الأمور، فيسمى صديقاً، وقد يكون في بعض دون بعض فيضاف الى ذلك البعض، بأن يسمى صادق القول أو العمل[2].

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: إذا أردت أن تعلم أصادق أنت أم كاذب فانظر في قصد معناك وغور[3] دعواك وغيرها بقسطاس[4] من الله عزّوجل كأنك في القيامة، قال الله: ﴿**وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ**﴾[5]، فإذا اعتدل معناك بدعواك ثبت لك الصدق.

وأدنى حد الصدق أن لا يخاف اللسان القلب ولا القلب اللسان. ومثل الصادق الموصوف بما ذكرنا كمثل النازع روحه إن لم ينزع، فماذا يصنع؟![6].

---

(١) أنظر: أعلام الدين، الديلمي: ١٩٠، باب وصية النبي ﷺ لأبي ذر.

(٢) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٢٠١ ـ ٢٠٣، الباب السادس في الصدق والأمانة. المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٨/ ١٤٠ ـ ١٤٧، كتاب النية والصدق والإخلاص، الباب الثالث. جامع السعادات، النراقي: ٢/ ٣٣٥ ـ ٣٣٩، تكميل أقسام الصدق. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ٣٣٦ ـ ٣٤١، كتاب النية والإخلاص والصدق، الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته.

(٣) الغور: القعر من كل شيء، والدخول في الشيء.
القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ٢/ ١٠٥، مادة "الغور".

(٤) القسطاس: أعدل الموازين وأقومها، وقيل: هو شاهين. والقسطاس: هو ميزان العدل، أي: ميزان كان من موازين الدراهم وغيرها.
لسان العرب، ابن منظور: ٦/ ١٧٦، مادة "قسطس".

(٥) سورة الأعراف/ ٨.

(٦) أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ٣٤ ـ ٣٥، الباب الخامس عشر في الصدق.



الباب الحادي عشر

المحاسبة والمراقبة



في المحاسبة والمراقبة

وفيه فصلان

الفصل الأول: في المحاسبة

قال الله تعالى: ﴿وكَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ حَسيبًا﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبينَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمينَ مُشْفِقينَ مِمّا فيهِ وَيَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا مالِ هذا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغيرَةً وَلا كَبيرَةً إلاّ أَحْصاها وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[3] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّهُ جَميعًا فَيُنَبِّئُهُم بِما عَمِلُوا أَحْصاهُ اللّهُ وَنَسُوهُ وَاللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهيدٌ﴾[4] وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النّاسُ أَشْتاتًا لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ ۞ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[5].

---

(١) سورة الإسراء/ ١٧. ونصها: ﴿إقرأ كتابك كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾.

(٢) سورة الأنبياء/ ٤٧.

(٣) سورة الكهف/ ٤٩.

(٤) سورة المجادلة/ ٣٦.

(٥) سورة الزلزلة/ ٦ ـ ٨.

فعلم أرباب البصائر أن العليم بالسرائر والمطلع على الضمائر سيحاسبهم على الصغير والكبير والجليل والحقير والنقير والقطمير، وعلى مثاقيل الذر من اللحظات والخطرات والغفلات والالتفاتات، ولا ينجيهم من هذه الأخطار العظيمة والأهوال الجسيمة إلا محاسبة أنفسهم في الدنيا قبل أن يحاسبوا في القيامة.

قال الصادق عليه السلام: إذ أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئاً إلا أعطاه فلييأس من الناس كلهم، ولا يكون له رجاء إلا من عند الله[1]، فإذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلا أعطاه، فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها، فإن للقيامة خمسين موقفاً كل موقف مقام ألف سنة، ثم تلا عليه السلام[2]: ﴿**فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**﴾[3].[4]

وفي رواية أخرى: ينبغي أن يكون للعاقل أربع ساعات: ساعة يحاسب بها نفسه...[5].

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: لو لم يكن للحساب مهولة إلا حياء العرض على الله عزّوجل وفضيحة هتك الستر على المخفيات يحق للمرء أن لا يهبط من رؤوس الجبال ولا يأوي الى عمران، ولا يشرب ولا ينام إلا عن اضطرار، ومثل ذلك يفعل من يرى القيامة بأهوالها وشدائدها قائمة في كل نفس، ويعاين بالقلب الوقوف بين يدي الجبار، حينئذ يأخذ نفسه بالمحاسبة، كأنه الى

---

(١) في مجموعة ورام: "الله عزّوجل".

(٢) ليس في مجموعة ورام: "عليه السلام".

(٣) سورة المعارج/ ٤.

(٤) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ٢/ ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٥) أنظر: روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ١/ ٤، مجلس في ماهية العقول وفصولها.

عرصاتها[1] مدعو وفي غمراتها[2] مسؤول، قال الله عزّوجل: ﴿**وَإِن كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبِينَ**﴾[3].[4]

واعلم أن معنى المحاسبة أن يطالب نفسه أولاً بالفرائض التي هي بمنزلة رأس ماله، فإن أدتها على وجهها شكر الله عليه ورغبها ومثلها، وإن فوتتها من أصلها طالبها بالقضاء، فإن أدتها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل، وإن ارتكبت معصية اشتغل بعتابها وتعذيبها ومعاقبتها، واستوفى منها ما يتدارك به ما فرط، كما يصنع التاجر بشريكه، فكما أنه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط[5] فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن بشيء منها، فينبغي أن يتقي غائلة[6] النفس ومكرها، فإنها خداعة ملبسة مكارة، فليطالبها أولاً بتصحيح الجواب عن جميع ما يتكلم به طول نهاره، وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولى غيره في صعيد القيامة.

وهكذا عن نظره، بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه، حتى عن سكوته لم سكت وعن سكونه لم سكن، فإذا عرف مجموع

---

(١) العرصة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء. العرصات: جمع عرصة، وقيل: هي كل موضع واسع لا بناء فيه.
لسان العرب، ابن منظور: ٧/ ٥٢ ـ ٥٣، مادة "عرص".

(٢) الغمرة: الشدة. وغمرة كل شيء: منهمكه وشدته كغمرة الهم والموت و نحوهما.
لسان العرب، ابن منظور: ٥/ ٢٩، مادة "غمر".

(٣) سورة الأنبياء/ ٤٧.

(٤) أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ٨٥، الباب الثامن والثلاثون في الحساب.

(٥) القيراط جزء من أجزاء الدينار، وهو نصف عشر في أكثر البلاد.
مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٤٨٩، مادة "قرط".

(٦) كل ما اغتال الإنسان فأهلكه فهو غول. يقال: غالته غول، إذا وقع في مهلكة.
الصحاح، الجوهري: ٥/ ١٧٨٦، مادة "غول".

الواجب على النفس وصح عنده قدر ما أدى الحق منه كان ذلك القدر محسوباً له، فيظهر له الباقي عليها، فليثبته عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وعلى جريدته.

ثم النفس غريم[1] يمكن أن يستوفى منه الديون، أما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينه، وبعضها بالعقوبة له على ذلك، ولا يمكن شيء من ذلك إلا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه، فإذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالب والاستيفاء[2].

قال الكاظم عليه السلام: ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسنة استزاد الله[3] وإن عمل سيئة استغفر الله منها وتاب إليه[4].

وقال الباقر عليه السلام: لا يغرنك الناس[5] من نفسك، فإن الأمر يصل إليك دونهم، ولا تقطع نهارك بكذا وكذا فإن معك من يحفظ عليك عملك فأحسن[6] فإني لم أر شيئاً أحسن دركاً ولا أسرع طلباً من حسنة محدثة لذنب قديم[7].

---

(١) الغرم: الدين. رجل غرم: عليه دين.
لسان العرب، ابن منظور: ١٢/ ٤٣٦، مادة "غرم".

(٢) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٣٠٣ ـ ٣٠٥، الباب الثاني المحاسبة والمراقبة. جامع السعادات، النراقي: ٣/ ١٠١ ـ ١٠٢، مقامات مرابطة العقل للنفس. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ٣٥١ ـ ٣٥٣، كتاب المراقبة والمحاسبة.

(٣) في إرشاد القلوب: "الله عزّوجل".

(٤) إرشاد القلوب، الديلمي: ١/ ١٨٢، في الحكم والمواعظ، الباب الحادي والخمسون في أخبار عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار.

(٥) في الكافي: "يا أبا النعمان لا يغرنك الناس".

(٦) في الكافي: "وأحسن".

(٧) الكافي، الكليني: ٢/ ٤٥٤، كتاب الإيمان والكفر، باب محاسبة العمل/ ح٣.

وقال الصادق عليه السلام: إن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: يا رسول الله أوصني. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فهل أنت مستوص إذا أنا أوصيتك؟[1] حتى قال له ذلك ثلاثاً وفي كلها يقول له الرجل: نعم يا رسول الله. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فإني أوصيك إذا أنت هممت بأمر فتدبر عاقبته، فإن يك رشداً فأمضه، وإن يك غياً فانته عنه[2].

الفصل الثاني: في المراقبة

ينبغي للعبد أن يراقب نفسه عند الخوف في الأعمال، ويلاحظها بالعين الكالئة، فإنها إن تركت طغت فأفسدت وفسدت، ثم يراقب الله في كل حركة وسكون، وذلك بأن يعلم بأن الله مطلع عليه وعلى ضمائره خبير بسرائره، رقيب على أعمال عباده، قائم على كل نفس بما كسبت، وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف، بل أشد من ذلك، قال الله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللّهَ يَرى**﴾[3] وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[4].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك[5].

وفي الحديث القدسي: إنما يسكن جنات عدن الذين إذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني، والذين انحنت أصلابهم من خشيتي، وعزتي وجلالي إني لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب[6].

---

(١) في الكافي: "إن أنا أوصيتك".

(٢) الكافي، الكليني: ٨/ ١٥٠، كتاب الروضة، حديث من ولد في الإسلام/ ح٥.

(٣) سورة العلق/ ١٤.

(٤) سورة النساء/ ١.

(٥) أنظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١/ ٢٠٣، بيان أحوال العارفين.

(٦) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٨/ ١٥٦، كتاب المراقبة والمحاسبة، المرابطة الثانية المراقبة.

وحكي أن زليخا[1] لما خلت بيوسف قامت فغطت وجه صنمها، فقال يوسف: ما لك تستحين من مراقبة جماد ولا أستحي من مراقبة الملك الجبار[2].

والمراقبة تحصل من معرفة الله ، والعلم بأنه تعالى مطلع على الضمائر عالم بما في السرائر، بمرأى منهم وبمسمع، وهم بمرأى منه ومسمع.

والموقنون بهذه المعرفة مراقبتهم على درجتين:

إحداهما: مراقبة المقربين، وهي مراقبة التعظيم والجلال، وهي أن يصير القلب مستغرقاً بملاحظة ذلك الجلال ومنكسراً تحت الهيبة، فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير، وهذا هو الذي صار همه هماً واحداً وكفاه الله سائر الهموم.

والثانية: مراقبة الورعين من أصحاب اليقين، وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظواهرهم وبواطنهم ولكن لم يدهشهم ملاحظة الجمال والجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الأحوال والأعمال والمراقبة فيها، وغلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يحجمون[3] إلا بعد التثبت، ويمتنعون

---

(١) زليخا: هي زليخا، وقيل: زلخا، وقيل: راعيل، وقيل: فكة بنت ملك المغرب هيموس، وقيل: رعاييل، وقيل: بوش، وأمها أخت الملك الريان بن الوليد صاحب مصر. (زوجة قطفير، وقيل: أطفير، وقيل: هو طيفار بن رجيب وزير ملك مصر، وكان يلقب بالعزيز، وهي تعرف بامرأة العزيز. تزوجها (النبي يوسف عليه السلام) وكانت قد تقدم بها السن، فطلبت منه أن يسأل الله أن يرد عليها شبابها وصباها، فطلب يوسف عليه السلام ذلك من الله سبحانه، فرد الله عليها شبابها وجمالها. أنجبت له ولدين : أفرايم ومنشا.

أعلام القرآن، عبد الحسين الشبستري: ٤٠١ ـ ٤٠٢، زليخا.

(٢) أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ٢٣٦، باب محاسبة النفس.

(٣) الإحجام: ضد الإقدام. أحجم عن الأمر: كف أو نكص هيبة.

لسان العرب، ابن منظور: ١٢/ ١١٦، مادة "حجم".

عن كل ما يفتضحون به في القيامة، فإنهم يرون الله مطلعاً عليهم، فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة.

فإن العبد لا يخلو إما أن يكون في طاعة أو معصية أو مباح. فمراقبته في الطاعة بالإخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات، ومراقبته في المعصية بالتوبة والندم والإقلاع والحياء والاشتغال بالتكفير، ومراقبته في المباح بمراعاة الأدب، بأن يقعد مستقبل القبلة وينام على اليد اليمنى مستقبلاً الى غير ذلك، فكل ذلك داخل في المراقبة. وبشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها، وبالصبر على البلاء، فإن لكل واحد منها حدوداً لابد من مراعاتها بدوام المراقبة «ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه»[1].[2]

---

(١) سورة الطلاق/ ١.

(٢) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٨/ ١٥٦ ــ ١٦٢، كتاب المراقبة والمحاسبة، بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها. الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٣٠٦ ـ ٣٠٧، الفصل الثاني مراقبة العبد لنفسه. جامع السعادات، النراقي: ٣/ ٩٧ ــ ١٠٠، فصل مقامات مرابطة العقل للنفس. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ٣٤٦ ــ ٣٥١، كتاب المراقبة والمحاسبة، بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها.



الباب الثاني عشر

التفكر والتدبر



في التفكر والتدبر

قال الله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾[1] وقال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها﴾[2].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: تفكر ساعة خير من عبادة سنة[3].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: التفكر يدعو الى البر والعمل به[4].

وقال عليه السلام[5]: نبه بالتفكر قلبك، وجاف[6] عن الليل جنبك، واتق الله ربك[7].

---

(١) سورة آل عمران/ ١٩١.

(٢) سورة محمد/ ٢٤.

(٣) تفسير العياشي، العياشي: ٢/ ٢٠٨، تفسير سورة الرعد/ ح ٢٦.

(٤) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ٢/ ١٨٤.

(٥) أي: "الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام".

(٦) جفا الشيء يجفو جفاء وتجافى: لم يلزم مكانه، كالسرج يجفو عن الظهر، وكالجنب يجفو عن الفراش. لسان العرب، ابن منظور: ١٤/ ١٤٧، مادة "جفا".

(٧) الكافي، الكليني: ٢/ ٥٤، كتاب الإيمان والكفر، باب التفكر/ ح١.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: تفكروا في آلاء[1] الله ولا تفكروا في الله، فإنكم لن تقدروا قدره[2].

وقال الباقر عليه السلام: إياكم والتفكر في الله، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته[3] فانظروا إلى عظم خلقه[4].

وقال الصادق عليه السلام: من نظر في الله كيف هو هلك[5].

واعلم أن التفكر الذي أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام أنه يدعو الى البر والعمل به قد يكون في الحسنات والسيئات بأن يتفكر العبد في حسناته هل هي تامة أو ناقصة، موافقة للسيئة أو مخالفة لها، خالصة عن الشرك والشك أو مشوبة بهما، فيدعوه هذا التفكير لا محالة إلى إصلاحها وتدارك ما فيها، وكذا إذا تفكر في سيئاته وما يترتب عليها من العقوبات والبعد عن الله، فيدعوه ذلك إلى الانتهاء عنها وتداركها بالتوبة والندم.

وقد يكون بالتفكر في صفات الله وأفعاله، من لطفه بعباده وإحسانه إليهم بسوابغ[6] النعماء وبسطة الآلاء، والتكليف دون الطاقة، والوعد بالثواب الجزيل

(١) ﴿آلاء الله﴾ سورة الأعراف/ ٦٩، أي: نعمه، واحدها "ألى". وقيل: "الآلاء" هي: النعم الظاهرة. مجمع البحرين، الطريحي: ١/ ٩٧، مادة "ألى".

(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٦٨/ ٣٢٢، كتاب الإيمان والكفر، أبواب مكارم الأخلاق، باب٨٠ التفكر والاعتبار والاتعاظ/ ح٣. وفيه النص: «تفكروا في آلاء الله فإنكم لن تقدروا قدره».

(٣) في التوحيد: "إلى عظمة الله".

(٤) التوحيد، الشيخ الصدوق: ٤٥٨، باب ٦٧ النهي عن الكلام والجدل والمراء في الله عزّوجل/ ح٢٠.

(٥) المحاسن، البرقي: ١/ ٢٣٧، باب ٢٤ جوامع من التوحيد/ ح٣.

(٦) نعمة سابغة، وأسبغ الله عليه النعمة: أكملها وأتمها ووسعها. لسان العرب، ابن منظور: ٨/ ٤٣٣، مادة "سبغ".

والثناء الجميل على العمل الحقير القليل، وتسخيره له ما في السماوات والأرض وما بينهما[١] ونحو ذلك، فيدعوه ذلك الى البر والعمل به، والرغبة في الطاعات والانتهاء عن المعاصي.

وهذا تفكير المتوسطين، وإليه الإشارة بقول الرضا عليه السلام: ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم، إنما العبادة التفكر في أمر الله[٢].[٣]

وسئل الصادق عليه السلام عما يروي الناس «إن تفكر ساعة خير من قيام ليلة» قيل: كيف يتفكر؟ قال: تمر بالخربة أو بالدار فتقول: أين ساكنوك وأين بانوك ما لك لا تتكلمين؟[٤].

وهذا التفكر دون الأولين في الفضل، وللناس فيه مراتب[٥].

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة لقمان/ الآية ٢٠. ونصها: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماوات وَما فِي الأَرْضِ﴾.

(٢) في مجموعة ورام: "الله عزّوجل".

(٣) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ٢/ ١٨٣ ـ ١٨٤.

(٤) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٥٤ ـ ٥٥، كتاب الإيمان والكفر، باب التفكر/ ح٢.

(٥) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٣٠٨ ـ ٣٠٩، الباب الثالث في التفكر والتدبر.



الباب الثالث عشر

ذكر الموت وقصر الأمل



في ذكر الموت وقصر الأمل

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذآئقَةُ الْمَوْتِ وَإنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إلاّ مَتاعُ الْغُرُورِ﴾[1].

وقال النبي ﷺ: أكثروا ذكر هادم اللذات. قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: الموت، فما ذكره عبد على الحقيقة في سعة إلا ضاقت عليه الدنيا، ولا في شدة إلا اتسعت عليه[2].

وقال ﷺ: الموت كفارة لكل مسلم[3].

وقال ﷺ: تحفة المؤمن الموت[4].

---

(١) سورة آل عمران/ ١٨٥.

(٢) أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ١٧١ ـ ١٧٢، الباب الواحد والثمانون في ذكر الموت.

(٣) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ٢٦٨، بيان ذكر الموت.

(٤) الدعوات، الراوندي: ٢٣٥، الباب الرابع في أحوال الموت وأهواله، فصل في ذكر الموت وفرحته وترحته/ ح١.

وقال ﷺ: الموت الموت، ألا ولابد من الموت، جاء الموت بما فيه، جاء بالروح والراحة والكرّة المباركة الى جنة عالية، لأهل دار الخلود اللذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما أنزل الموت حق منزلته من عدّ غداً من أجله[2].

وقال عليه السلام[3]: ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل[4].

وكان يقول[5]: لو رأى العبد أجله وسرعته إليه لأبغض العمل من طلب الدنيا[6].

وقيل للباقر عليه السلام: حدثني ما أنتفع به. قال[7]: أكثر ذكر الموت، فإنه لم يكثر ذكره إنسان إلا زهد في الدنيا[8].

وقال الصادق عليه السلام: إذا أنت حملت جنازة فكن كأنك أنت المحمول، وكأنك سألت ربك الرجوع إلى الدنيا ففعل، فانظر ماذا تستأنف. ثم قال: عجباً لقوم حبس أولهم عن آخرهم ثم نودي فيهم بالرحيل وهم يلعبون[9].

---

(١) الكافي، الكليني: ٣/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨، كتاب الجنائز، باب النوادر/ صدر الحديث ٢٧.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق: ١٠٨، المجلس الثالث والعشرون/ ح٤.

(٣) أي: "الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام".

(٤) كتاب الزهد، الأهوازي: ٨١، باب ١٤ ذكر الموت والقبر/ ح١٠.

(٥) الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٦) الكافي، الكليني: ٣/ ٢٥٩، كتاب الجنائز، باب النوادر/ ذيل الحديث ٣٠.

(٧) في الكافي: "فقال يا أبا عبيدة".

(٨) الكافي، الكليني: ٣/ ٢٥٥، كتاب الجنائز، باب النوادر/ ح١٨.

(٩) أنظر: كتاب الزهد، الأهوازي: ٧٧ ـ ٧٨، باب ١٤ ذكر الموت والقبر/ ح١.

وقال عليه السلام[1]: ما خلق الله[2] يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت[3].

واعلم أن الموت هائل وخطره عظيم، وغفلتنا عنه لقلة فكرنا وذكرنا له، وإذا ذكرناه فلسنا نذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا، والطريق فيه تفريغ العبد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي بين يديه كالذي يريد أن يسافر إلى مفازة[4] مخطرة أو يركب البحر فإنه لا يتفكر إلا فيه، فإذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه، وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكر قلبه.

وأوقع طريق فيه أن يكثر ذكر أقرانه الذين مضوا قبله، فيتذكر موتهم ومصرعهم تحت التراب، ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم، وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم، وكيف أرملوا نساءهم وأيتموا أولادهم وضيعوا أموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم، وانقطعت آثارهم، وأوحشت ديارهم.

ومهما تذكر رجلاً رجلاً وفصل في قلبه حاله وكيفية حياته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وأمله في العيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمؤاتاة الأسباب وركونه إلى القوة والشباب وميله الى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع، وأنه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه

(١) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٢) في الفقيه: "الله عزّوجل".

(٣) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١/ ١٩٤، باب النوادر/ ح٥٩٦.

(٤) المفازة: المهلك.

المفازة: المنجاة، وهي مفعلة من الفوز، يقال فاز فلان: إذا نجا.

مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٤٣٧، مادة "فوز".

ومفاصله، وكيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه، وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه، وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه الى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر، وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لا يحتسبه، فانكشفت له صورة ملك الموت، وقرع سمعه النداء إما بالجنة أو بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم، والسعيد من اتعظ بغيره.

والذاكرون للموت على أقسام: فمنهم المنهمك في اللذات المنكب على الشهوات، فهو إن اتفق ذكره للموت تأسف على دنياه واشتغل بمذمته وفرّ منه غفلة عن قوله تعالى: **﴿أَيْنَما تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾**[(1)] وقوله تعالى: **﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾**[(2)] ويزيده ذكر الموت من الله بعداً. نعم ربما استفاد تنغص نعيمه وتكدر لذته، فيتجافى عن الدنيا.

ومنهم: التائبون الذين يكثرون ذكر الموت لينبعث من قلوبهم الخوف والخشية فيفوا بتمام التوبة، وربما كرهوا الموت خيفة من أن يختطفهم قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الزاد، وهم معذورون في كراهة الموت غير داخلين في قوله عليه السلام[(3)]: «من كره لقاء الله كره الله لقاءه»[(4)] لأنهم يخافون فوت لقاء الله للقصور والتقصير، فهم كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلاً بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه، فلا يعدّ كارهاً للقائه، وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له.

---

(1) سورة النساء/ ٧٨.

(2) سورة الجمعة/ ٨.

(3) أي: "الإمام الصادق عليه السلام وفي ذيل الحديث يروي الإمام الصادق عليه السلام هذا النص عن النبي محمد صلى الله عليه وآله".

(4) مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ١٧٢، الباب الواحد والثمانون في ذكر الموت / ذيل الحديث.

ومنهم: العارفون الذين يكثرون ذكر الموت، لأنه موعد للقاء الحبيب والمحب لا ينسي موعد لقاء حبيبه وينبغي أن لا يحبوا الموت إلا لأجل التزود من الأعمال وتحسين الأخلاق والأحوال.

ومنهم: وهو الأعلى ـ المفوضون، وهم الذين يفوضون أمرهم إلى الله ولا يختارون لأنفسهم موتاً ولا حياة[1]، وأحب الأشياء لديهم ما يختار لهم مولاهم[2].

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الفرقان الآية/٣ : ﴿وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَيَاةً وَلا نُشُوراً﴾.

(٢) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٨/ ٢٣٨ ـ ٢٤٤، كتاب ذكر الموت وما بعده. الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٣١٢ ـ ٣١٤، الباب الرابع في ذكر الموت وقصر الأمل. جامع السعادات، النراقي: ٣/ ٤٥ ـ ٤٦، فصل مراتب الناس في ذكر الموت. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ٣٩١ ـ ٣٩٣، كتاب ذكر الموت وما بعده.



الباب الرابع عشر

طول الأمل



في طول الأمل

قال النبي ﷺ: إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من دنياك لآخرتك[1]، ومن حياتك لموتك، ومن صحتك لسقمك، فإنك لا تدري ما اسمك غداً[2].

وقال ﷺ: إن اشد ما أخاف عليكم خصلتان: اتباع الهوى، وطول الأمل. فأما اتباع الهوى فإنه يعدل عن الحق، وأما طول الأمل فإنه يحبب الدنيا[3].

وقال ﷺ: أيها الناس أما تستحون من الله؟ قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: تجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون، وتبنون ما لا تسكنون[4].

---

(١) في مسكن الفؤاد: "وخذ من حياتك لموتك "بدل" وخذ من دنياك لآخرتك".

(٢) مسكن الفؤاد، الشهيد الثاني: ١٦.

(٣) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٨/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥، كتاب ذكر الموت وما بعده، الباب الثاني في طول الأمل.

(٤) إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/٣٩٤، كتاب ذكر الموت وما بعده، فضيلة قصر الأمل.

وطول الأمل له سببان: أحدهما الجهل، والآخر حب الدنيا. فإنه إذا أنس بها وشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقلت على قلبه مفارقتها، فامتنع قلبه عن الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها، وكل من كره شيئاً رفعه من نفسه والإنسان مشغوف[1] بالأماني الباطلة، فتمنى نفسه أبداً ما يوافق مراده وهو البقاء في الدنيا، فلا يزال يتوهمه ويقرره في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا، فيصير قلبه معكوفاً[2] عليها ويلهو عن ذكر الموت.

وأصل هذه الأماني كلها حب الدنيا، وأما الأمل فإن الإنسان قد يعوّل[3] على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب، وليس يتفكر المسكين في أن مشايخ بلده لو عدوا لكانوا أقل من عشر أهل البلد، وإنما قلوا لأن الموت في الشباب أكثر، وإلى أن يموت شيخ يموت ألف صبي وشاب.

وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجأة ولا يدري أن ذلك غير بعيد، وإن كان بعيداً ففجاء المرض غير بعيد، وكل مرض فإنما يقع فجأة، وإذا مرض لم يكن الموت بعيداً والموت ليس له وقت مخصوص من شاب وشيب وكهولة، ومن صيف وشتاء وخريف وليل ونهار، لعدم اشتغاله بالاستعداد واستشعاره.

---

(١) الشغاف ككتاب: غلاف القلب وهي جلدة دونه كالحجاب. ويقال: هو حبة القلب، وهي: علقة سوداء في صميمه. وشغف قلبه الهوى شغفا من باب نفع والاسم الشغف بفتحتين. وفلان مشغوف بفلانة، أي: ذهب به الحب إلى أقصى المذاهب.

مجمع البحرين، الطريحي: ٢/٥٢١، باب ما أوله الشين، مادة "شغف".

(٢) عكف بعكف ويعكف عكفا وعكوفا، وهو: إقبالك على الشيء لا تصرف عنه وجهك. كتاب العين، الفراهيدي: ١/٢٠٥، مادة "عكف".

(٣) عولت عليه: استعنت به.

كتاب العين، الفراهيدي: ٢/ ٢٤٨، مادة "عول".

وعلاج الجهل الفكر الصافي من القلب الحاضر وسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة، وعلاج حب الدنيا الإيمان باليوم الآخر وما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب، وإذا حصل اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا. وقد تقدم في الزهد وحب الدنيا ما فيه بلاغ[1].

نسأل الله أن يحسن عملنا ويقصر أملنا، ويخرج حب الدنيا عن قلبنا، ويحبب إلينا لقاءه، ويوفقنا للأعمال الصالحة بحمد الله.

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

تم في يوم الأربعاء سابع وعشرين ربيع الأول سنة ١٢٢٥ ألف ومائتين وخمس وعشرين من الهجرة النبوية صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٨/ ٢٤٦ ـ ٢٤٨، كتاب ذكر الموت وما بعده، بيان السبب في طول الأمل وعلاجه. الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٣١٥ ـ ٣١٧، الباب الرابع في ذكر الموت وقصر الأمل، الفصل الرابع. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨، كتاب ذكر الموت وما بعده، بيان السبب في طول الأمل وعلاجه.

المصادر

١. أبجد العلوم، السيد صديق بن حسن خان القنوجي البخاري / الطبعة الأولى ــ بيروت ١٤٢٠هـ ــ نشر دار الكتب العلمية.
٢. الآحاد والمثاني، ابن أبي عاصم الضحاك / الطبعة الأولى ــ ١٤١١ هـ ــ نشر دار الدراية.
٣. الاحتجاج، أبو منصور احمد بن علي الطبرسي / ١٤٠٣ هـ ــ نشر المرتضى ــ مشهد.
٤. الأحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي / الطبعة الثانية ــ ١٤٠٢ هـ ــ مؤسسة النور ــ نشر المكتب الإسلامي ــ دمشق.
٥. إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي / ١٤٢١ هـ ــ نشر دار الكتب العملية ــ بيروت.
٦. الاختصاص، محمد بن محمد بن النعمان (المفيد)، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ــ نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ــ قم.
٧. الأخوان، عبد الله بن عبيد بن أبي الدنيا / نشر دار الاعتصام.
٨. آداب الصحبة، أبي عبد الرحمن السلمي / الطبعة الأولى ــ ١٤١٠هـ ــ نشر دار الصحابة للتراث.
٩. الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري / الطبعة الثالثة ــ ١٤٠٩ هـ ــ نشر دار البشائر الإسلامية ــ بيروت.
١٠. أذكياء الفقهاء والمحدثين، محمد رضا الحكيمي / الطبعة الأولى ــ ١٤١٨ هـ ــ نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ــ بيروت.
١١. الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان (المفيد)، الطبعة الأولى ــ ١٤١٣ هـ ــ نشر المؤتمر للشيخ المفيد ــ قم.

١٢. إرشاد القلوب، الحسن بن أبي الحسن الديلمي / الطبعة الأولى ــ ١٤١٢ هـ ـــ دار الشريف الرضي للنشر.
١٣. الاستبصار، الشيخ أبو جعفر الطوسي / الطبعة الثالثة ١٣٩٠ هـ ـــ نشر دار الكتب الإسلامية ـــ طهران.
١٤. أسرار الصلاة، الشهيد الثاني / الطبعة الأولى ـــ ١٤١٠ هـ ـــ الدار الإسلامية للطباعة ونشر والتوزيع ـــ لبنان.
١٥. أسرار العبادات ، الفيض الكاشاني / الطبعة الأولى ـــ ١٤٢٦ هـ ـــ نشر ذوي القربى.
١٦. الأعلام، خير الدين الزركلي / الطبعة الخامسة ـــ نشر دار العلم للملايين ـــ بيروت.
١٧. أعلام الدين في صفات المؤمنين، الحسن بن أبي الحسن الديلمي / الطبعة الأولى ــ ١٤٠٨ هـ ـــ نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام ـــ قم.
١٨. أعلام القرآن، عبدالحسين الشبستري / الطبعة الأولى ـــ ١٤٢١ هـ ـــ مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي ـــ قم.
١٩. إعلام الورى بأعلام الهدى، الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي / الطبعة الثالثة ـــ ١٣٠٩ هـ ـــ نشر دار الكتب الإسلامية ـــ طهران.
٢٠. أعيان الشيعة، حسن الأمين / الطبعة الخامسة ـــ ١٤١٨ هـ ـــ بيروت ـــ دار التعارف للمطبوعات.
٢١. إقبال الأعمال، علي بن طاووس الحلي / الطبعة الثانية ـــ ١٣٦٧ هـ. ش ـــ نشر دار الكتب الإسلامية ـــ طهران.
٢٢. الأمالي، الصدوق / الطبعة الرابعة المصححة ـــ ١٤٠٤ هـ ـــ نشر المكتبة الإسلامية ــ قم.
٢٣. الأمالي، الطوسي / الطبعة الأولى ــ ١٤١٤ هـ ـــ دار الثقافة للنشر ــ قم.
٢٤. الأمالي، المفيد / الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ ــ نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ــ قم.
٢٥. أمل الآمل، محمد بن الحسن الحر العاملي / ١٤٠٤ هـ ـــ نشر مكتبة الأندلس ــ بغداد.
٢٦. إيمان أبو طالب، السيد فخار بن معد الموسوي، الطبعة الأولى ـــ ١٤١٠ هـ ــ دار سيد الشهداء للنشر ــ قم.
٢٧. بحار الأنوار، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي ــ الطبعة الرابعة ــ ١٤٠٤ هـ ــ نشر مؤسسة الوفاء ــ بيروت.

٢٨. بدائع الصنائع، أبو بكر بن مسعود الكاشاني / الطبعة الأولى ــ ١٤٠٩ هـ ــ نشر المكتبة الحبيبية ــ باكستان.
٢٩. بشارة المصطفى ﷺ لشيعة المرتضى، عماد الدين الطبري / الطبعة الثانية ــ ١٣٨٣ هـ ــ نشر المكتبة الحيدرية ــ النجف.
٣٠. بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار / الطبعة الثانية ــ ١٤٠٤ هـ ــ نشر مكتبة أية الله المرعشي النجفي ــ قم.
٣١. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي / نشر مكتبة الحياة ــ بيروت.
٣٢. تاريخ بغداد، احمد بن علي الخطيب البغدادي / الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ ــ نشر دار الفكر.
٣٣. تاريخ دمشق الكبير، ابن عساكر / الطبعة الأولى ــ ١٤٢١ هـ ــ بيروت ــ نشر دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.
٣٤. تاريخ المشاهد المشرفة، حسين أبو سعيدة الموسوي / الطبعة الثانية ــ ١٤٢١ هـ ــ مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت.
٣٥. تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، شرف الدين علي الحسيني الأسترابادي / الطبعة الأولى ــ ١٤٠٩ هـ ــ نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية ــ قم.
٣٦. التبيان في تفسير القرآن، الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي / الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ــ نشر مكتب الأعلام الإسلامي.
٣٧. التحصين في صفات العارفين، احمد بن فهد الحلي / الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ــ نشر مدرسة الإمام المهدي ﷺ ــ قم.
٣٨. تحف العقول، حسين بن شعبة الحراني / الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ ــ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية ــ قم.
٣٩. التحفة السنية، السيد عبدالله الجزائري / نسخة مخطوطة في مكتبة الآستانة الرضوية المقدسة ــ تحت الرقم ٢٢٦٩.
٤٠. تذكرة الموضوعات، محمد طاهر بن الهندي الفتنى.
٤١. تراجم الرجال، احمد الحسيني / ١٤١٤ هـ ــ نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ــ قم.
٤٢. ترتيب إصلاح المنطق، ابن السكيت / الطبعة الأولى ــ ١٤١٢ هـ ــ نشر مجمع البحوث الإسلامية ــ مشهد.

٤٣. تصحيح الاعتقاد، الشيخ المفيد / الطبعة الأولى ــ ١٤١٣ هـ ــ قم ــ نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.
٤٤. التفسير الأصفى، المولى محمد محسن الفيض الكاشاني / الطبعة الأولى ــ ١٤١٨ هـ ــ مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي ــ قم.
٤٥. تفسير الإمام العسكري، الإمام الحسن العسكري عليه السلام / الطبعة الأولى ــ ١٤٠٩ هـ ــ نشر مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه ــ قم.
٤٦. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف (أبي حيان الأندلسي) / الطبعة الأولى ــ ١٤٢٢ هـ ــ نشر دار الكتب العلمية ــ بيروت.
٤٧. تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الغراء البغوي / نشر دار المعرفة ــ بيروت.
٤٨. تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي / الطبعة الأولى ــ ١٤١٨ هـ ــ نشر دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.
٤٩. تفسير الصافي، المولى محسن الفيض الكاشاني / الطبعة الثانية ــ ١٤١٦ هـ ــ نشر مكتبة الصدر ــ طهران.
٥٠. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي / ١٣٨٠ هـ ــ نشر المطبعة العلمية ــ طهران.
٥١. تفسير غريب القرآن الكريم، فخر الدين الطريحي / انتشارات الزاهدي ــ قم.
٥٢. تفسير فرات الكوفي، أبي القاسم فرات بن إبراهيم الكوفي / الطبعة الأولى ــ ١٤١٠ هـ ــ مؤسسة الطبع والنشر في وزارة الإرشاد الإسلامي.
٥٣. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي / الطبعة الثالثة ــ ١٤٠٤ هـ ــ نشر مؤسسة دار الكتاب ــ قم.
٥٤. التفسير الكبير أو مفتاح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي / الطبعة الأولى ــ ١٤٢١ هـ ــ نشر دار الكتب العلمية ــ بيروت.
٥٥. تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهدي القمي / الطبعة الأولى ــ ١٤٠٧ هـ ــ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ــ قم.
٥٦. تفسير الملا صدرا، صدر المتألهين محمد بن إبراهيم / الطبعة الثانية ــ ١٤٠٨ هـ ــ منشورات بيدار ــ قم.
٥٧. تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي / الطبعة الرابعة ــ ١٤١٢ هـ ــ نشر مؤسسة إسماعيليان ــ قم.

٥٨. تقريب المعارف، تقي بن نجم الدين أبي الصلاح الحلبي / ١٤٠٤ هـ ــ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية ــ قم.
٥٩. تكملة أمل الآمل، حسن الصدر / ١٤٠٦ هـ ــ نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ــ قم.
٦٠. تكملة الرجال، عبد النبي الكاظمي / الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ ــ نشر أنوار الهدى ــ قم.
٦١. التمحيص، محمد بن همام الإسكافي / الطبعة الأولى ــ ١٤٠٤ هـ ــ نشر مدرسة الإمام المهدي ﷺ ــ قم.
٦٢. تهذيب الأحكام، الشيخ أبو جعفر الطوسي / الطبعة الرابعة ــ ١٣٦٥ ش ــ نشر دار الكتب الإسلامية ــ طهران.
٦٣. التوحيد، الشيخ محمد بن علي بن الحسين (الصدوق) / الطبعة الثانية ــ ١٣٩٨ هـ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية ــ قم.
٦٤. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، الشيخ محمد بن علي الصدوق / الطبعة الثانية ــ ١٤٠٦ هـ ــ دار الشريف الرضي للنشر ــ قم.
٦٥. جامع أحاديث الشيعة، إسماعيل المعزي الملايري / ١٤١٣ هـ مطبعة المهر ــ قم.
٦٦. جامع الأخبار، تاج الدين محمد بن محمد الشعيري / الطبعة الثانية ــ ١٤٠٥ هـ ــ دار الرضي للنشر ــ قم.
٦٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ــ ١٤١٥ هـ ــ نشر دار الفكر ــ بيروت.
٦٨. جامع الرواة، محمد بن علي الأردبيلي / ١٤٠٣ هـ ــ نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ــ قم.
٦٩. جامع السعادات، محمد مهدي النراقي / الطبعة السابعة ــ ١٤٢٢ هـ ــ نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ــ بيروت.
٧٠. الجامع الصغير، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي / الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ــ نشر دار الفكر ــ بيروت.
٧١. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم / عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي / الطبعة الأولى ــ ١٩٦٥ م ــ دار العلوم الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع ــ لبنان.
٧٢. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، محمد بن احمد القرطبي / ١٤٠٥ هـ ــ نشر مؤسسة التاريخ العربي ــ بيروت.

٧٣. الجعفريات، محمد بن محمد الأشعث الكوفي / نشر مكتبة نينوى الحديثة ـــ طهران.
٧٤. الحبل المتين، بهاء الدين العاملي / ١٣٩٨ هـ ـــ نشر مكتبة بصيرتي ـــ قم.
٧٥. الحدائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة، يوسف البحراني / الطبعة الثالثة ـــ ١٤١٣ هـ ـــ نشر دار الأضواء ـــ بيروت.
٧٦. حق اليقين، عبد الله شبر / الطبعة الأولى ـــ ١٤١٨ هـ ـــ نشر مؤسسة الأعلمي ـــ بيروت.
٧٧. الحقايق في محاسن الأخلاق، الملا محسن الفيض الكاشاني / الطبعة الثانية ـــ ١٤٢٣ هـ ـــ نشر دار الكتاب الإسلامي ـــ قم.
٧٨. حلية المتقين، محمد باقر المجلسي / الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ ـــ منشورات ذوي القربى.
٧٩. الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي / الطبعة الأولى ـــ ١٤٠٩ هـ ـــ نشر مؤسسة الإمام المهدي ﷺ.
٨٠. الخصال، محمد بن علي بن الحسين الصدوق / الطبعة الثانية ـــ ١٤٠٣ هـ ـــ مؤسسة النشر الإسلامي ـــ قم.
٨١. خلاصة الأقوال، الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي / الطبعة الثانية ـــ ١٣٨١ هـ ـــ نشر المطبعة الحيدرية ـــ النجف.
٨٢. دراسات في الأخلاق وشؤون الحكمة العملية، حسين المظاهري / نشر دار التعارف للمطبوعات ـــ بيروت.
٨٣. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، علي خان المدني (ابن معصوم) / الطبعة الثانية ـــ ١٣٩٧ هـ ـــ نشر مكتبة بصيرتي ـــ قم.
٨٤. دعائم الإسلام، النعمان بن محمد التميمي المغربي / الطبعة الثانية ـــ ١٣٨٥ هـ ـــ نشر دار المعارف ـــ مصر .
٨٥. الدعوات، قطب الدين الراوندي / الطبعة الأولى ـــ ١٤٠٧ هـ ـــ نشر مدرسة الإمام المهدي ﷺ ـــ قم.
٨٦. الدمعة الساكبة في أحوال النبي والعترة الطاهرة، المولى محمد باقر بن عبد الكريم البهبهاني / الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـــ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـــ بيروت.
٨٧. ديوان ابن الرومي، ابن الرومي / الطبعة الثانية ـــ ١٩٩٨ م ـــ دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر ـــ بيروت.
٨٨. ديوان الإمام علي ؛، الإمام علي بن أبي طالب ؛ / الطبعة الثانية ـــ ١٤١١ هـ ـــ دار نداء الإسلام للنشر ـــ قم.

٨٩. ديوان لبيد بن ربيعة، لبيد بن ربيعة / الطبعة الأولى ـ ١٤٢٥ هـ ـ دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت.
٩٠. ذخيرة الحفاظ، محمد بن طاهر المقدسي / الطبعة الأولى ـ ١٤١٦ هـ ـ نشر دار السلف ـ الرياض.
٩١. ذخيرة المعاد، ملا محمد باقر السبزواري / نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام.
٩٢. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرك الطهراني / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٣ هـ ـ نشر دار الأضواء ـ بيروت.
٩٣. ذكر أخبار أصبهان، احمد بن عبد الله الأصبهاني / ١٩٣٤ م ـ نشر مطبعة بريل.
٩٤. الذكرى، الشهيد الأول / طبعة حجرية غير مرقمة / خط كرماني سنة ١٢٧٢ ش.
٩٥. رجال ابن داود، الحسن بن علي بن داود الحلي / ١٣٨٣ هـ ـ مؤسسة النشر في جامعة طهران ـ طهران.
٩٦. رجال البرقي، احمد بن محمد بن خالد البرقي / ١٣٨٣ هـ ـ مؤسسة النشر في جامعة طهران ـ طهران.
٩٧. رجال الطوسي، الشيخ أبو جعفر الطوسي / الطبعة الأولى ـ ١٤١٥ هـ ـ مؤسسة النشر الإسلامي.
٩٨. رجال العلامة الحلي، الحسن بن يوسف الحلي / ١٤١١ هـ ـ نشر دار الذخائر ـ قم.
٩٩. رجال الكشي، محمد بن عمر الكشي / ١٣٤٨ هـ. ش ـ مؤسسة النشر في جامعة مشهد.
١٠٠. رجال النجاشي، احمد بن علي النجاشي / ١٤٠٧ هـ ـ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العملية ـ قم.
١٠١. رسائل الشهيد الثاني، الشهيد الثاني / نشر مكتبة بصيرتي ـ قم.
١٠٢. الرسائل العشر، الشيخ أبو جعفر الطوسي / ١٤٠٤ هـ ـ نشر جامعة المدرسين ـ قم.
١٠٣. رسائل الكركي، الشيخ علي بن الحسين الكركي / نشر مكتبة المرعشي ـ ١٤٠٩ هـ ـ قم.
١٠٤. الرعاية لحال البداية في علم الدراية، الشهيد الثاني / الطبعة الأولى ـ ١٤٢٣ هـ ـ نشر بوستان كتاب ـ قم.

١٠٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الآلوسي / دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.
١٠٦. روضة الواعظين وبصيرة المتعظين، محمد بن حسن الفتال / دار الرضي للنشر ــ قم.
١٠٧. رياض الصالحين، يحيى بن شرف النووي / الطبعة الثانية ــ ١٤١١ هـ ــ نشر دار الفكر.
١٠٨. الزهد، الحسين بن سعيد الأهوازي / الطبعة الثانية ــ ١٤٠٢ هـ ــ نشر السيد أبو الفضل الحسينيان.
١٠٩. سبل السلام، محمد بن إسماعيل الكحلاني / الطبعة الرابعة ــ ١٣٧٩ هـ ــ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
١١٠. سبل الهدى والرشاد في سيرة خيرة العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي / الطبعة الأولى ــ ١٤١٤ هـ ــ نشر دار الكتب العلمية ــ بيروت.
١١١. سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، عباس القمي / الطبعة الثالثة ــ ١٤٢٢ هـ ــ دار الأسوة للطباعة والنشر ــ قم.
١١٢. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد (ابن ماجة) / نشر دار الفكر ــ بيروت.
١١٣. سنن أبي داود، أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني / الطبعة الأولى ــ ١٤١٠ هـ ــ نشر دار الفكر ــ بيروت.
١١٤. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي / ١٤٠٣ هـ ــ نشر دار الفكر ــ بيروت.
١١٥. سنن النسائي، احمد بن شعيب النسائي / الطبعة الأولى ــ ١٣٤٨ هـ ــ نشر دار الفكر ــ بيروت.
١١٦. سير أعلام النبلاء، محمد بن احمد بن عثمان الذهبي / الطبعة الأولى ــ ١٤٢٥ هـ ــ نشر دار الكتب العلمية ــ بيروت.
١١٧. شرح الأسماء الحسنى، ملا هادي السبزواري / نشر مكتبة بصيرتي.
١١٨. شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني.
١١٩. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المعتزلي / مكتبة آية الله المرعشي النجفي ــ قم.
١٢٠. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبي الفضل عياض اليحصبي / ١٤٠٩ هـ ــ نشر دار الفكر ــ بيروت.

١٢١. الشهيد الأول محمد بن مكي، حسن الأمين / الطبعة الأولى ــ ١٤١٨ هـ ــ الغدير للطباعة والنشر ــ بيروت.
١٢٢. الشيخ الكليني البغدادي وكتابه الكافي، ثامر هاشم حبيب العميدي / الطبعة الأولى ــ ١٤١٤ هـ ــ نشر مكتب الأعلام الإسلامي ــ قم.
١٢٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح اللغة، إسماعيل بن حماد الجوهري / الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ ــ نشر دار العلم للملايين ــ بيروت.
١٢٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، علي بن بلبان (ابن حبان) / الطبعة الثانية ــ ١٤١٤ هـ ــ نشر مؤسسة الرسالة.
١٢٥. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري / نشر دار الفكر ــ بيروت.
١٢٦. صحيفة الرضا ﵇، الإمام علي بن موسى الرضا ﵇ / الطبعة الأولى ــ ١٤٠٦ هـ ــ نشر المؤتمر العالمي للإمام الرضا ﵇.
١٢٧. الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين ﵇ / الطبعة الأولى ــ ١٤١١ هـ ــ نشر مؤسسة الإمام المهدي ﵇.
١٢٨. الصلاة، الشيخ الأنصاري / الطبعة الأولى ــ ١٤١٥ هـ ــ نشر مؤسسة باقري ــ قم.
١٢٩. الصمت وآداب اللسان، عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا / الطبعة الأولى ــ ١٤١٠ هـ ــ نشر دار الكتاب العربي ــ بيروت.
١٣٠. طب الأئمة ﵈، عبد الله شبر / الإرشاد للطباعة والنشر ــ بيروت.
١٣١. طب الأئمة ﵈، عبد الله وحسن أبناء بسطام / الطبعة الثانية ١٤١١ هـ ــ دار الشريف الرضي للنشر ــ قم.
١٣٢. طبقات الشافعية، عبد الرحيم الاسنوي / ١٤٢٢ هـ ــ دار الكتب العلمية.
١٣٣. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد / نشر دار صادر ــ بيروت.
١٣٤. عدة الداعي ونجاح الساعي، احمد بن فهد الحلي / الطبعة الأولى ــ ١٤٠٧ هـ ــ نشر دار الكتاب الإسلامي.
١٣٥. العدد القوية لدفع المخاوف اليومية، علي بن يوسف بن المطهر الحلي / الطبعة الأولى ــ ١٤٠٨ هـ ــ نشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي ــ قم.
١٣٦. علل الشرائع، الشيخ الصدوق / نشر مكتبة الداوري ــ قم.

١٣٧. عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب، احمد بن علي الحسيني ابن عنبة / الطبعة الأولى ـــ ١٤٢٥ هـ ـــ نشر مكتبة سماحة آية الله المرعشي النجفي الكبرى ـــ قم.
١٣٨. عوالم العلوم والمعارف الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، عبد الله البحراني / الطبعة الأولى ـــ ١٤٠٩ هـ ـــ مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه ـــ قم.
١٣٩. عوالي اللئالي، محمد بن علي بن أبي جمهور الأحسائي / الطبعة الأولى ـــ ١٤٠٥ هـ ـــ دار سيد الشهداء للنشر ـــ قم.
١٤٠. عيار الشعر، محمد بن احمد بن طباطبا العلوي / الطبعة الأولى ـــ ١٤٢٦ هـ ـــ منشورات اتحاد الكتاب العرب ـــ دمشق.
١٤١. العين، الخليل بن احمد الفراهيدي / الطبعة الثانية ـــ ١٤٠٩ هـ ـــ نشر مؤسسة دار الهجرة ـــ ايران.
١٤٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي بن الحسين الصدوق / ١٣٧٨ هـ ـــ دار العالم للنشر ـــ جهان.
١٤٣. عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي / الطبعة الأولى ـــ ١٣٧٦ ش نشر دار الحديث ـــ قم.
١٤٤. غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي / الطبعة الأولى ـــ ١٣٦٦ هـ ـــ نشر مكتب الإعلام الإسلامي ـــ قم.
١٤٥. غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي / الطبعة الأولى ـــ ١٤٠٥ هـ ـــ نشر دار المدنة للطباعة والنشر والتوزيع ـــ جدة.
١٤٦. غريب الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري / الطبعة الأولى ـــ ١٤٠٨ هـ ـــ نشر دار الكتب العلمية ـــ بيروت.
١٤٧. غريب الحديث، القاسم بن سلام الهروي / الطبعة الأولى ـــ ١٣٩٦ هـ ـــ نشر دار الكتاب العربي ـــ بيروت.
١٤٨. الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام، عبدالحسين الشبستري / الطبعة الأولى ـــ ١٤١٨ / مؤسسة النشر الإسلامي ـــ قم.
١٤٩. الفردوس بمأثور الخطاب، شيرويه الديلمي / الطبعة الأولى ـــ ١٤٠٦ هـ ـــ نشر دار الكتب العلمية ـــ بيروت.
١٥٠. الفصول المختارة، محمد بن محمد بن النعمان (المفيد) / الطبعة الأولى ـــ ١٤١٣ هـ ـــ نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ـــ قم.

١٥١. الفصول المهمة في أصول الأئمة / محمد بن الحسن الحر العاملي / الطبعة الأولى ـــ ١٤١٨ هـ ـــ نشر مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا عليه السلام ـــ قم.
١٥٢. فضائل الأشهر الثلاثة، محمد بن علي بن الحسين الصدوق / نشر مكتبة الداوري ـــ قم.
١٥٣. فقه الإمام الرضا عليه السلام، الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام / الطبعة الأولى ـــ ١٤٠٦ هـ ـــ نشر المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام ـــ مشهد.
١٥٤. فلاح السائل ونجاح المسائل، السيد علي بن طاووس الحلي / نشر مكتب الأعلام الإسلامي في الحوزة العلمية ـــ قم.
١٥٥. فلسفة الأخلاق في القرآن الكريم، محمد حسين الطباطبائي / الطبعة الأولى ـــ ١٤١٦ هـ ـــ نشر دار الصفوة ـــ بيروت.
١٥٦، فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف المناوي / الطبعة الأولى ـــ ١٤١٥ هـ ـــ نشر دار الكتب العلمية ـــ بيروت.
١٥٧، القاموس المحيط، الفيروز آبادي.
١٥٨. قرب الاسناد، عبد الله بن جعفر الحميري / نشر مكتبة نينوى ـــ طهران.
١٥٩. قصص الأنبياء عليهم السلام، قطب الدين الراوندي / الطبعة الأولى ـــ ١٤٠٩ هـ ـــ مؤسسة البحوث الإسلامية في الآستانة الرضوية ـــ مشهد المقدسة.
١٦٠. قصص الأنبياء عليهم السلام، نعمة الله جزائري / ١٤٠٤ هـ ـــ نشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي ـــ قم.
١٦١. القواعد والفوائد، محمد بن مكي العاملي (الشهيد الأول) / نشر مكتبة المفيد ـــ قم.
١٦٢. الكافي، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني / الطبعة الرابعة ـــ ١٣٦٥ ش ـــ نشر دار الكتب الإسلامية ـــ طهران.
١٦٣. كشاف القناع، منصور بن يونس البهوتي / الطبعة الأولى ـــ ١٤١٨ هـ ـــ نشر محمد علي بيضون ـــ بيروت.
١٦٤. كشف الخفاء ومزيل الالباس، إسماعيل بن محمد العجلوني / الطبعة الثانية ـــ ١٤٠٨ هـ ـــ نشر دار الكتب العلمية ـــ بيروت.
١٦٥. كشف الريبة عن أحكام الغيبة، زين الدين بن علي الشهيد الثاني / الطبعة الثالثة ـــ ١٣٩٠ هـ ـــ دار المرتضوي للنشر.
١٦٦. كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام، علي بن عيسى الاربلي / ١٣٨١ هـ ـــ نشر مكتبة بني هاشمي ـــ تبريز.

١٦٧. كشف اللثام، محمد بن الحسن الفاضل الهندي / الطبعة الأولى ــ ١٤١٦ هـ ــ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ــ قم.
١٦٨. الكفاية في علم الرواية، أبي احمد بن علي الخطيب البغدادي / الطبعة الأولى ــ ١٤٠٥ هـ ــ نشر دار الكتاب العربي ــ بيروت.
١٦٩. الكنى والألقاب، عباس القمي / الطبعة الثالثة ــ ١٣٨٩ هـ ــ منشورات مطبعة الحيدرية ــ النجف.
١٧٠. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي المتقي بن حسام الدين الهندي / ١٤٠٩ هـ ــ نشر مؤسسة الرسالة ــ بيروت.
١٧١. كنز الفوائد، أبو الفتح الكراجكي / الطبعة الأولى ــ ١٤١٠ هـ ــ نشر دار الذخائر ــ قم.
١٧٢. الكنز اللغوي في اللسن العربي، نقلاً عن نسخ قديمة، نشر د. أوغست هفنر.
١٧٣. لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور / الطبعة الأولى ــ ١٤٠٥ هـ ــ نشر أدب الحوزة ــ قم.
١٧٤. لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، الشعراني / الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ ــ نشر مصطفى البابي الحلبي وأولاده ــ مصر.
١٧٥. متشابه القرآن، ابن شهر اشوب المازندراني / ١٣٦٩ هـ / دار بيدار للنشر.
١٧٦. المجدي في أنساب الطالبين، علي بن محمد العمري / الطبعة الثانية ــ ١٤٢٢ هـ / مكتبة آية الله المرعشي ــ قم.
١٧٧. مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي / الطبعة الثانية ــ ١٤٠٨ هـ ــ مكتب نشر الثقافة الإسلامية.
١٧٨. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي / الطبعة الأولى ــ ١٤١٥ هـ ــ نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ــ بيروت.
١٧٩. مجمع الزوائد، نور الدين الهيثمي / ١٤٠٨ هـ ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت.
١٨٠. مجمع الفائدة والبرهان، المحقق أحمد الأردبيلي / ١٤٠٣ هـ ــ جامعة المدرسين ــ قم.
١٨١. المجموع، محي الدين بن النووي / دار الفكر للطباعة والنشر.
١٨٢. المحاسن، احمد بن محمد البرقي / الطبعة الثانية ــ ١٣٧١ هـ. ش ــ دار الكتب الإسلامية ــ قم.

١٨٣. المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني / الطبعة الثانية ــ ١٤٠٣ هـ ــ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ــ بيروت.
١٨٤. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي / الطبعة الأولى ــ ١٤١٥ هـ ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت.
١٨٥. مسالك الافهام، الشهيد الثاني / الطبعة الأولى ــ ١٤١٣ هـ ــ مؤسسة المعارف الإسلامية ــ قم.
١٨٦. مستدرك سفينة البحار، علي النمازي / الطبعة الأولى ــ ١٤١٢ هـ ــ مؤسسة البعثة ــ طهران.
١٨٧. مستدرك الوسائل، المحدث النوري / الطبعة الأولى ــ ١٤٠٨ هـ ــ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ــ قم.
١٨٨. مستطرفات السرائر، محمد بن إدريس الحلي / الطبعة الثانية ــ ١٤١١ هـ ــ مؤسسة النشر الإسلامي ــ قم.
١٨٩. مسكن الفؤاد، الشهيد الثاني ــ نشر مكتبة بصيرتي ــ قم.
١٩٠. مسند ابن راهويه، إسحاق بن إبراهيم المروزي / الطبعة الأولى ــ ١٤١٢ هـ ــ نشر مكتبة الإيمان ــ المدينة المنورة.
١٩١. مسند احمد، احمد بن حنبل / دار صادر ــ بيروت.
١٩٢. مسند الشاميين، سليمان بن احمد الطبراني / الطبعة الثانية ــ ١٤١٧ هـ ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت.
١٩٣. مسند الشهاب، محمد بن سلامة القضاعي / الطبعة الأولى ــ ١٤٠٥ هـ ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت.
١٩٤. مشاهير علماء الأمصار، محمد بن حبان بن احمد البستي / ١٩٥٩ م ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت.
١٩٥. مشكاة الأنوار، علي بن الحسن الطبرسي / الطبعة الثانية ــ ١٣٨٥ هـ ــ نشر المكتبة الحيدرية في النجف الأشرف.
١٩٦. مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي / الطبعة الثالثة ــ ١٩٨٥ م ـ المكتب الإسلامي ــ بيروت.
١٩٧. المصابيح في إثبات الإمامة، احمد حميد الدين الكرماني / الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ــ دار المنتظر ــ بيروت.
١٩٨. مصابيح الأنوار، السيد عبد الله شبر / الطبعة الثانية ــ ١٤٠٧ هـ ــ مؤسسة النور للمطبوعات ــ بيروت.
١٩٩. مصادقة الأخوان، الشيخ الصدوق / ١٤٠٢ هـ ــ مطبعة الكرماني ــ قم.
٢٠٠. مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام / الطبعة الأولى ــ ١٤٠٠ هـ ــ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٢٠١. مصباح الكفعمي، إبراهيم بن علي الكفعمي / الطبعة الثانية ـــ ١٤٠٥ هـ ـــ دار الرضي ـــ قم.
٢٠٢. مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي / الطبعة الأولى ـــ ١٤١١هـ ـــ مؤسسة فقه الشيعة ـــ بيروت.
٢٠٣. مصفى المقال في مصنفي علم الرجال، آقا بزرك الطهراني / الطبعة الثانية ـــ ١٤٠٨ هـ ـــ دار العلوم ـــ بيروت.
٢٠٤. معارف الرجال، محمد حرز الدين / ١٤٠٥ هـ ـــ مكتبة آية الله المرعشي ـــ قم.
٢٠٥. معاني الأخبار، الشيخ الصدوق / ١٤٠٣ هـ ـــ مؤسسة النشر الإسلامي ـــ قم.
٢٠٦. المعتبر، المحقق الحلي / ١٣٦٤ ش / نشر مؤسسة سيد الشهداء عليه السلام.
٢٠٧. معجم ألفاظ الفقه الجعفري، د. احمد فتح الله / الطبعة الأولى ـــ ١٤١٥ هـ.
٢٠٨. المعجم الأوسط، سليمان بن احمد الطبراني / دار الحرمين.
٢٠٩. معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي / الطبعة الخامسة ـــ ١٤١٣ هـ.
٢١٠. معجم رجال الفكر والأدب في النجف، د. محمد هادي الأميني / الطبعة الثانية ـــ ١٤١٣هـ.
٢١١. معجم طبقات المتكلمين، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام / الطبعة الأولى ـــ ١٤٢٤ هـ ـــ مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ـــ قم.
٢١٢. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري / الطبعة الأولى ـــ ١٤١٢ هـ ـــ نشر جامعة المدرسين ـــ قم.
٢١٣. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة / دار إحياء التراث العربي ـــ نشر مكتبة المثنى ـــ بيروت.
٢١٤. معجم المفسرين، عادل نويهض / الطبعة الثالثة ـــ ١٤٠٩ هـ ـــ مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ـــ بيروت.
٢١٥. معدن الجوهر، أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي / الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ. ش ـــ نشر المكتبة الرضوية ـــ طهران.
٢١٦. المغني، عبد الله بن قدامه / نشر دار الكتاب العربي ـــ بيروت.
٢١٧. المغني عن حمل الأسفار، أبو الفضل العراقي / الطبعة الأولى ـــ ١٤١٥ هـ ـــ نشر مكتبة طبرية ـــ الرياض.

٢١٨. مفاتيح العلوم، محمد بن احمد الخوارزمي / نشر دار الكتب العلمية ــ بيروت.
٢١٩. مفتاح الفلاح، الشيخ البهائي / الطبعة الأولى ــ ١٤٠٥ هـ ـــ دار الأضواء ــ بيروت.
٢٢٠. المقنعة، الشيخ المفيد / الطبعة الأولى ـــ ١٤١٣ هـ ـــ المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ــ قم.
٢٢١. مكارم الأخلاق، الحسن بن الفضل الطبرسي / الطبعة الرابعة ـــ ١٤١٢ هـ ــ دار الشريف الرضي ــ قم.
٢٢٢. الملل والنحل، جعفر السبحاني / الطبعة الأولى ـــ ١٤٢٥ هـ ـــ مؤسسة التاريخ العربي ــ بيروت.
٢٢٣. الملل والنحل، الشهرستاني / الطبعة الأولى ــ ١٩٨١ م ــ مؤسسة ناصر للثقافة ــ بيروت.
٢٢٤. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق / الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ ــ مؤسسة النشر الإسلامي ــ قم.
٢٢٥. مناهل الضرب في أنساب العرب، جعفر الحسيني / الطبعة الأولى ــ ١٤١٩ هـ ــ مكتبة آية الله المرعشي ــ قم.
٢٢٦. منتهى الآمال، الشيخ عباس القمي / ١٤٢٣ هـ ـــ الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٢٧. منية المريد، الشهيد الثاني / الطبعة الأولى ـــ ١٤٠٩ هـ ـــ مكتب الإعلام الإسلامي ــ قم.
٢٢٨. مهج الدعوات، علي بن موسى بن طاووس / الطبعة الأولى ـــ ١٤١١ هـ ـــ نشر دار الذخائر ـــ قم.
٢٢٩. المهذب البارع، احمد بن فهد الحلي / ١٤١٣ هـ ـــ جامعة المدرسين ـــ قم.
٢٣٠. مواهب الجليل، الحطاب الرعيني / الطبعة الأولى ــ ١٤١٦ هـ ـــ دار الكتب العلمية ــ بيروت.
٢٣١. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، عبد الأعلى السبزواري / الطبعة الثانية ــ ١٤٠٩ هـ ــ نشر مؤسسة أهل البيت ــ بيروت.
٢٣٢. موسوعة أنساب العشائر العراقية، ثامر عبد الحسن العامري / الطبعة الأولى ــ ٢٠٠٤ م / دار الهادى للطباعة والنشر.
٢٣٣. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي / مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ـــ قم.
٢٣٥. نضد القواعد الفقهية، المقداد السيوري الحلي / نشر مكتبة آية الله المرعشي.

٢٣٦. نقد الرجال، مصطفى التفرشي / الطبعة الأولى ــ ١٤١٨ هـ ــ مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث ــ قم.
٢٣٧. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير / الطبعة الرابعة ــ ١٣٦٤هـ. ش ــ نشر مؤسسة إسماعيليان ــ قم.
٢٣٨. نهج البلاغة، الشريف الرضي / دار الهجرة للنشر ــ قم.
٢٣٩. الهداية في النحو، المنسوب لأبي حيان / الطبعة الرابعة ١٣٨٢ هـ. ش، تحقيق وتنقيح وتعليق حسين شير أفكن / نشر المركز العالمي للدراسات الإسلامية ــ قم.
٢٤٠. هداية المحدثين، محمد أمين الكاظمي / ١٤٠٥ هـ ــ نشر مكتبة آية الله المرعشي ــ قم.
٢٤١. هدية الأحباب، الشيخ عباس القمي / الطبعة الأولى ــ ١٤٢٠ هـ ــ نشر مؤسسة نشر الفقاهة ــ قم.
٢٤٢. هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي / دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.
٢٤٣. وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي / الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ــ مؤسسة آل البيت ــ قم.
٢٤٤. وفيات الأعيان، احمد بن محمد بن خلكان / الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.
٢٤٥. ينابيع المودة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي / الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ــ طبع ونشر دار الأسوة.



الركن الثالث

في المهلكات من الأخلاق الردية التي هي السموم القاتلة المهلكة للدين، وفيه أبواب

الركن الرابع

في المنجيات وفيه أبواب